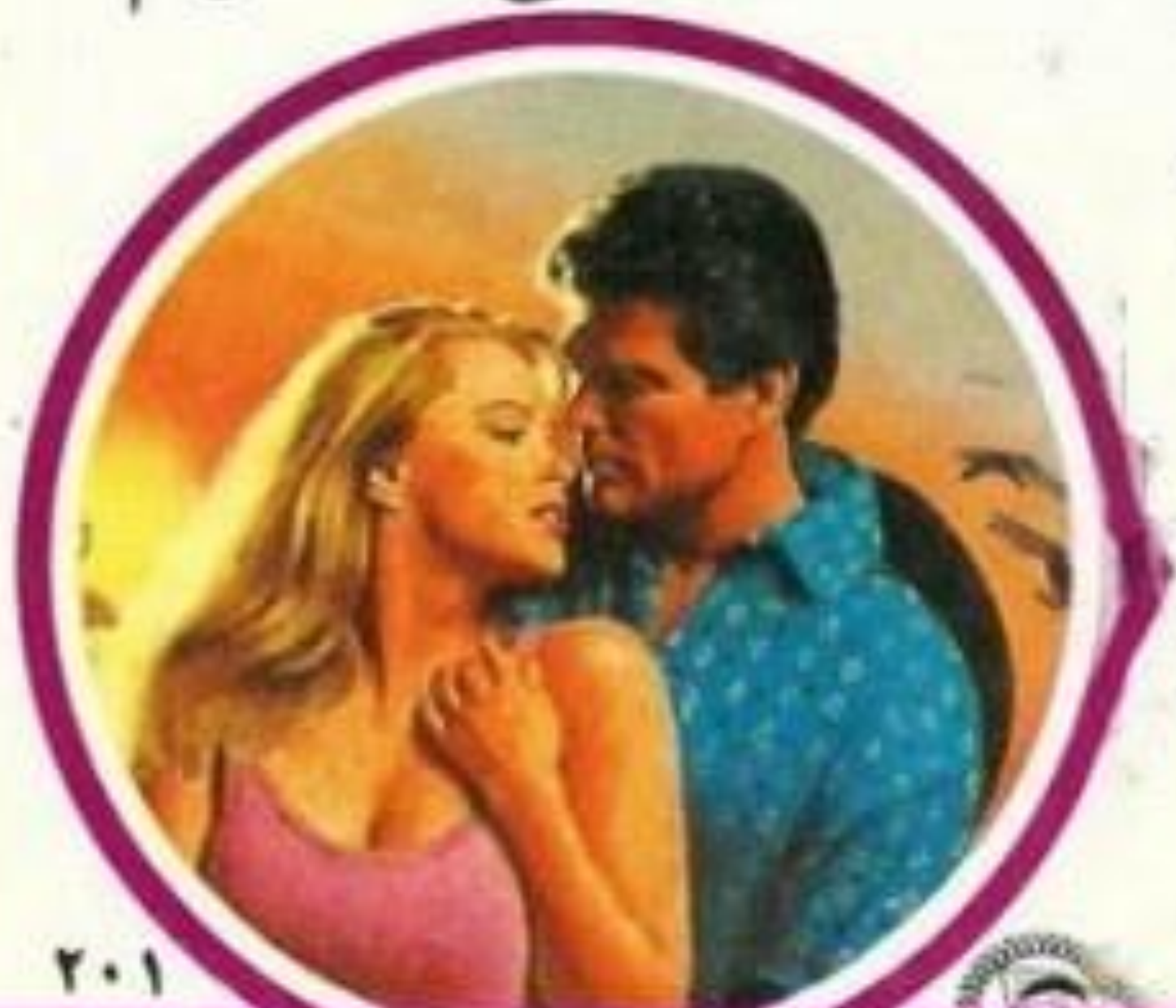


روايات عبير



بامبريشيا ولسون

لغواء في الظلام



٢٠١

مكتبة رواية www.rivaya.ga

لقاء في الظلام

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.rwaya.ga

لقاء في الظلام
العدد رقم 201
باتريشا ولسون
عبير مكتبة مدبولي

الملخص

قد تكون (جوليا) ممرضة ذات تأهيل رفيع المستوى ، ولكن كان لديها سبباً شخصياً وخصوصاً لوضع الصغيرة (جوستين) في قلبها. لقد وجدت أن راعي الطفلة (لوك مارشال) المتعجرف مستبدًا إلى حد كبير ولكنها كانت قادرة تماماً على التعامل معه بنفس المستوى.

بعد خيانة (جراهام) كان الرجل هو
آخر ما يمكن أن تحتاجه في حياتها. ولكن
بدأ الموقف يخرج من بين يديها عندما
أخذها (لوك) إلى جمال بلده الخلاب :
« كامارجو » . وبلا مفر وجدت (
جوليا) نفسها تستسلم لسحره ونفوذه.
ولكن هل كان مقدراً له أن يتزوج (
روزان) ؟

الفصل الأول

كان أصيلاً خلاباً لأحد أيام شهر مايو
عندما توقفت (جوليا) عن إزالة
الأعشاب الضارة من أرض حديقتهم
وجلست على عقيها برهه تستمتع
بشاهدة ما أنجزته من عمل . كانت
تشعر بأنهم سعداء الحظ لإمتلاكهم مثل
هذا الحديقة الكبيرة بالقرب من المدينة

ولإمتلاكهم مثل هذا المنزل الكبير الذي
صار أرحب مما يحتاجون إليه .

بدت عيناها حزینتان شاردتان وهی حالة
كانت تظن أن بإمكانها الخروج منها
ولكنها لم تجد لنفسها مهرباً أطلاقاً .
« آه . . . (لوسی) » .

قد يُسرى عنها أن تهمس بالأسم بصوت
مسموع طالما أن أباه لا يسمعها . لكن
هذه المره .. أغرورقت عيناها بالدموع
وغص حلقها بالأسى وشحبت ألوان

الحديقة فأصبحت مجرد ظلال شبحية
باهته .

مرت ثلاث أعوام ولا يزال وجه (لوسى)
الضحوك يتراقص أمام عينيها . كان
ينبغي أن تكون أختها الحبيبة فى الحادية
عشرة من عمرها الآن . لقد وُلدت بعد
(جوليا) بوقت طويل . ومنذ ولادتها
كانت شعاعاً

من ضياء الشمس ينير حياتهم .
وأزدادت مكانتها لديهم بعد رحيل أمهم

إذ قامت (جوليا) نفسها بدور الأم.

فمنذ أن كانت في الرابعة عشرة تولت

تربية (لوسى) بالمشاركة مع والدها

والسيدة (دوبسون) التى عملت مدبرة

لمنزلهم مدة طويلة .

ولن يعود أى منهم كما كانوا من قبل .

لقد صار أبوها رجلاً آخر . حتى السيدة

(دوبسون) لم تعد تملأ البيت غناء بصوتا

الحاد النشاز . لقد ذهب ضياء الشمس

مع (لوسی) . وقد يكون هذا هو سبب

أستسلام

(جوليا) بسهولة لسحر وسيطرة

(جراهام) وعندما صدقت حديثه عن

الزواج تدفق حبها له إذ أحست أنه

إنسان طموح متعقل ومثابر.

احست (جوليا) بوالدها آتياً تجاهها وقد

أمسك بمقص يستخدمه لتشذيب

الشجيرات . كانت تعرف أنه سيجلس

بالقرب منها على أريكة الحديقة أمام

المنضدة البيضاء . جفت عينيها خلسه
وأستعدت لترسم على
شفتيها أبتسامة مشرقة عندما يصلها .
وأبتدرها قائلاً : « ياله من يوم رائع في
هذا الوقت من العام » وبدأ يجذب قفاز
العمل بالحديقة عن يديه . كانت عيناها
تتابعان حركته وترقب يديه تنزغات من
القفاز : ذات أصابع رشيقة جميلة ..
فهى أيدي طيب

جراح . واعتورها الشعور الخانق مرة
أخرى . كان عليها أن تذهب لتخلع
قفازها أو تنفض الغبار عن سرواها
الجينز أو لتتصنع أداء أى عمل يعطيا
وقتًا لتستعيد رباطة جأشها .
وقالت بصوت مضطرب : « إن كل
شيء يبدو رائعًا » . ثم أردفت « أرانا
سنحصل على وفرة من زهور السوسن
هذا العام . فأشجاره كبر البراعم .

ووافقها والدها بينما كانت عيناه
تطوفان بأرجاء الحديقة وتحققان في
تلك الشجيرات . الأنجليزية القديمة
التي غرساها سويا كعلاج برد قلوبهما
من
آأأمها. وهو ما تفعله أأأاناً ولكن ليس
دائماً .

وغلفهما الصمت والسكون حتى أنهما
سمعا رنين جرس الباب الأمامى بينما هما

فى الحديقة . ورمقها والدها (بول

ردفورڊ) بنظرة سريعة .

وسألها بهڤوء : « هل تتوقعين حضور

أحد يا عزيزتى ؟ » لم يحدث على

الأطلاق أن ذكرأ (جراهام) وهجرانه لها

بقسوة ليرتبط بورثته إحدى الثروات

الضخمة ذات المكانة المرموقة والتى من

المؤكد أن بإمكانها مساعدته فى مستقبله

العملى . وهى تعرف أن والدها يتجاهله

عندما يلتقيا فى المستشفى . وتعرف

أيضاً أنهما – ولحسن الطالع – كانا
يعملان في قسمين مختلفين وفي مجالات
مختلفة كثيراً . كان الطبيب . (جراهام
ادامز) شخصاً هاماً بالنسبة لنفسه فقط
. أما بالنسبة للعالم البروفيسور (بول
ردفورد) فقد كان حقاً مجرد نقطة في بحر

.

ظهرت السيدة (دوبسون) عند الباب
الفاصل ما بين المنزل والحديقة وهي
تقول : « هناك رجل يرغب في رؤيتك با

سیدی البروفیسور « ثم خطت تجاههم
وقالت بصوت خفيض : « لقد سألته
عما يريد وذكرته بأن آليوم هو الأحد
لكنه أصر على مقابلتك » ثم همست :
« وأعتقد أنه أجنبي » وكأنها تجد في
ذلك تفسيراً لسلوكه .

أنفجر البروفیسور قائلاً : « اللعنه . إننى
أتمنى ألا يفعلوا ذلك . لماذا لا تتعامل
المستشفى مع مثل هذه الأمور في وقت
العمل ؟ إننى أتوقع أن يكون واحداً من

هؤلاء الطلبة الجدد يحمل مشكلة بلهاء

تماماً . أحضره إلى هنا يا سيدة

(دوبسون)».

كانت (جوليا) تعرف أن والدها لا يجب

أن يقلق أحد راحته . وفي العادة يأخذ

هذا الأمر أسبوعين أو ثلاثة حتى يتضح

لأى طلبة جدد.

تأهبت لتتركه قائله : « هل لي أن أذهب

و...».

رد والدها بلهجه آمرة : « (جوليا) ..
فلتبق هنا» ثم تابع « إننا نبدو مسترخين
لدرجة توضح تماماً أننا في أجازة » ثم
أضاف بصوت ضاحك : « على أي
حال قد يمكنك أجابة كل أسئلته وعدئذ
يمكنني أن أعود إلى
الوروه » .

أبتسمت (جوليا) وجلسا سوياً . كان
والدها طويل القامة مميز المظهر ذو شعر
أبيض كثيف وقد علاه بعض الغبار أثناء

عمله في الحديقة . أما (جوليا) فقد
كانت جميلة الوجه ممشوقة القوام ذات
شعر ذهبي كثيف جمعته على هيئة ذيل
حصان وقد بدت عيناها الزرقاوانتان
العميقتان الواسعتان تظللها مسحة من
حزن دفين .

كانت (جوليا) في الرابعة والعشرين من
عمرها ولكن كل ملامحها كانت تكذب
عمرها : قامتها الهيفاء وعيناها الواسعتان
العميقتان بريقها الحزين وفمها المتناسق

الجميل . فكأنها لم تتعد السادسة عشرة
هكذا يرى .

(بول ردفورد) جميلته البائسة (جوليا)
بعقلها الذكي وقلبها الذى عانى صدمتين
أليمتين .

لم يكن القادم أحد الطلبة الجدد . لقد
أحسا بذلك بمجرد أن شاهداه بالباب
المؤدى للحديقة . نهضا ببطء بينما توقف
هو للحظة ينظر إليهما . لم يكن هذا

بالرجل الذى يأتى لمشكلة غير ذات
أهمية .

كان طويلاً ذا مظهر رياضى . وبشرة
داكنه . شعره أسود كثيف . كان وجهه
الوسيم يكتسى بمظهر صارم . مظهر
رجل لا يتسم إلا نادراً . كان يشع هيبه
وبريقاً أخاذاً رغم المسافة التى تفصله
عنهما . مسحت عيناه

الغامضتين المكان بخفه ولم يكن هناك
مبرراً لصرامة وجهه . أحست (جوليا) أن

أياً منهم ليس بإمكانه المبادرة بشيء ما.
لقد بدا رجلاً أعتاد أن يطاع ولم يبد أى
استعداد لتغيير موقفه من أجلهم .
كان نحيلاً رقيقاً وتنبىء حركته عن ثقة
بنفسه وقد أحاطه الجمال والبهاء وهو
يخطو تجاههم عبر المرج الأخضر . سرت
رجفة رهبة فى أوصال (جوليا) .. كانت
هيئته تدعو للقلق وأزداد يقينها من ذلك
عندما رmqها
بنظرة خاطفة .

بعد هذه النظرة الغامضة تجاهل (جوليا)
وأتجه لوالدها متسائلاً : « (البروفيسور
ردفورد) وركز نظرات عينيه على وجه
والدها الرقيق وعينيه الزرقاويتين
اللامعتين ثم قال : « أنا (لوك مارشال) »

.

ثم صمت ولم يحاول مد يده للسلام .
كان حضوره طاغياً كما لو أن وجوده
أمر واجب التنفيذ.

وفجأة بدا والدها مرهقاً وكأنه أكبر من
سنه أشار بتثاقل إلى مقعد في مواجهة
(جوليا) وهو يقول : « تفضل بالجلوس
. يا مسيو (مارشال) » .

جلست (جوليا) أيضاً ببطء وترقب .
نادراً ما رأت والدها محبطاً بهذه الصورة
ولم يحدث مثل ذلك منذ ثلاث سنوات .
وتزايدت الرهبة بداخلها فأخذت تحقق
في ذلك الفرنسي .

شملها ذلك الفرنسي بنظرة فاحصة باردة
من عينيه الداكنتين وكأنه يسألها عما
تفعل في هذا المكان . قالت عيناه ذلك
بدون أى كلمات . ومن خلال رهبتها
حاولت النهوض لتطيع أمراً صامتاً .
قال والدها : « (جوليا) .. أرجو أن
تبقى » . كان والدها قد أمتلك زمام
نفسه وأستعاد نفوذه القديم . وأياً كان
سبب ما حدث فقد هدأ الروع .
وجلست (جوليا) مستأنسه بمبادرة

والدها وسندها المحنك لنجدتها عندما
عادت تنظر إلى العينين السوداويتين
اللتين أمرتاها بالمغادره .

قال والدها بلهجة جافة لم تألفها : «
هذه ابنتي (جوليا) يا مسيو (مارشال) » .
ورغم أن (مارشال) نهض من فوره وأنحنى
تجاهها إلا أنه لم يزد على أن قال
بالفرنسيه : « تشرفنا أنستي » . كانت
عيناه متجهة

كلية لوالدها. وحيث أنها لم تطع أمره
الصامت بالمغادره فها هو الآن يلفظها
باعتبارها غير ذات أهمية. إنه يبدو كما
لو كانت الكياسة خلقاً ثانوياً
بالنسبة له . وها هو يظهرها في أضيق
الحدود. فما دفعه للحضور يشغل
تفكيره ويملاً قلبه . لدرجة أنه لم يكن
ليعطى أكثر الأشياء بهجة غير مجرد
التفاته طفيفه .

قال (مارشال) بحدة : « إنك تعرف لماذا
أنا هنا يا سيدى البروفيسور (ردفورد) .
ثم أردف : « إننا لن نضيع الوقت فى
المقدمات » .

نظر إليه والدها بصرامة وقال : « إننى
أعرف لماذا أنت هنا يامسيو (مارشال)
» . ثم أضاف قائلاً : « لقد أجبت .
كل خطاباتك بصفة شخصية لأننى
متعاطف معك إلى أقصى حد لكن
الأجابة كانت وستظل : لا » .

قال (مارشال) : « إن الطفلة ستموت يا
سیدی البروفيسور ولا أستطيع أن أفهم
كيف يمنعك قلبك الكبير من إجراء
الجراحه لها ؟ » .

كانت هناك قوة رنانه في صوت الفرنسى
أبقت (جوليا) مبهوره رغم ان كل
دوافعها تحثها للثورة . على الطريقة التى
يخاطب بها والدها . كانت السخرية تملأ
الوجه النحيل البرونزى اللون بينما
كانت عيناه تبرقان

باللوم الصريح .

ولدهشتها رأت وجه والدها يتلون بحمرة

واضحة . لقد كان غاضبًا كما لم تـره

على مدى حياتها .

خاطبه والدها بشدة : « يا مسيو

(مارشال) لقد جئت إلى هنا بلا دعوة

لتزعجني وتزعج ابنتي » ثم أضاف : «

لقد أعطيتك ردي وهو إلى إنني لن أقبل

الطفلة كمريضة » .

قال الفرنسي : « إلإنها فرنسية ياسيدى
البروفيسور (ردفورد) ؟ أهذا هو السبب
الذي يجعلك أنت – أعظم جراح
أعصاب فى البلدين – ترفض أنقاذ
حياة طفلة فى الثامنة من عمرها ؟
صرخت (جوليا) : «آه.. كلا» . التفتت
إليها العينان السوداويتان وقد ملأتهما
الدهشة . وعندئذ هبت (جوليا) واقفه
وجسدها يرتعد بأكمله .

أعترضها والدها عندما استدارت
لتغادرهم وأحكم ذراعية خوفاً وهو يقول
: « (جوليا) ابنتى العزيزة » كانت
(جوليا) على وشك البكاء ولكنها
رفضت ترك العنان لمشاعرها أمام ذلك
الفرنسى المغرور .. وحاول والدها أن
يهدأ من روعها وهو يقول : « عزيزتى
.. لا تنزعجى » .

كان والدها شديد الغضب على الرغم
من شحوب وجهه هو الآخر كما

أنتصب (لوك مارشال) أيضاً وقد امتلاً
وجهه بالذعر والذهول التام لهذا الموقف

.

قال (مارشال) برقة : « يا آنسة... إذا
كانت كلماتي قد أحدثت لك ضيقاً . .
. » وقاطعه والدها بشدة : « لقد

أحدثت يا مسيو (مارشال) .

أجلسها والدها قبع بجوارها واضعاً يدها
في يده بينا شحب وجه (جوليا) . توجه
والدها (لمارشال) قائلاً : « حيث أنك لم

تقبل رفضى أجراء العملية الجراحية
وَحَيْثُ أَنْكَ أَقْتَحَمْتَ مَنْزِلِي طَالِبًا تَفْسِيرًا
لِقَوْلِي بِأَنِّي لَمْ
أَعِدْ أَجْرِي أَيَّ عَمَلِيَّاتٍ جَرَّاحِيَّةٍ وَإِنَّمَا
أَعْمَلُ بِالتَّدْرِيسِ فَقَطْ .. فَإِنِّي سَأَقْدُمُ
لَكَ التَّفْسِيرَ الَّذِي طَلَبْتَهُ .
وَأَسْتَمِرُّ مَخَاطَبًا (مَارْشَال) : « إِنِّي لَمْ أَجْرِ
أَيَّ عَمَلِيَّاتٍ جَرَّاحِيَّةٍ عَلَى مَدَى ثَلَاثَةِ
أَعْوَامٍ . لَقَدْ تَوَفَّيْتُ آخِرَ مَرِيضَةٍ بَيْنَ
يَدَيَّ . كَانَتْ طِفْلَةً أَيْضًا . طِفْلَةً صَغِيرَةً

في الثامنة من عمرها . ولم أجر أى عملية
جراحية من ذلك الوقت » .

قال (لوك مارشال) بهدوء : « إنك
لست الجراح الوحيد الذى يفقد مريضاً
يا سيدى البروفيسور » ، ثم أضاف : «
لقد حدث ذلك مع آخرين قبل وبعد
حدوثه لك ولكنهم لا يزالون
يستخدمون مهاراتهم لإنقاذ آخرين » .
وأنتفض والدها قائلاً : « لكننى لن أفعل
» . وتسارعت أنفاسه وأمتلأت عيناه بالدموع .

يغلفه غضب شديد وهو يقول : «

الطفلة يا سيدى كانت ابنتى ... (لوسى)

.. شقيقة (جوليا) «.

أستدار والدها وانطلق للمنزل بخطوات

ثقيلة دون أن ينظر خلفه . وحملت

(جوليا) فى (لوك مارشال) بنظرات اتهام

.

همس (مارشال) : « آنستى ... كيف

يمكننى أن أصف لك مدي أسفى لذلك

؟ فمن واقع تجربتى الخاصة فإننى لا أتمنى

أن أسبب آلاماً للآخرين » . ثم هز
كتفيه مستهجناً وقال : « كيف يمكنى
أن أعرف . إنه لم يقدم أى تفسير فى
خطاباته . لقد رفض ببساطة » . ثم
أردف : « من المفترض أن يقدم الناس
إيضاحات لما يفعلون » .
أخذت (جوليا) نفساً عميقاً هادئاً وهى
تقول : « هذا ... هذا صحيح » ثم
رفعت عينيها الزرقاوتين العميقتين إلى
عينيهِ . كانت عيناها تبرقان بدموع تحاول

مغالبتها وقالت : « من غير المحتمل أن
يمكنك معرفة ذلك . فهو لا يتحدث
عن هذا الأمر مطلقاً » .

وسأله (جوليا) بتهيب : « هل ... هل
الطفلة قريبتك » .

رد بصوت خفيض : « نعم » ورنث
عيناه بنظرة حزينة للأفق البعيد . ثم
أضاف قائلاً : « إنها أبنة أخى (جوليس)
.. لقد توفي وهي كل ما تبقى منه » .

سأله جوليا برقة : « ما اسمها » ؟

وأجابها بصوت يكابد الألم : « جوستين
« وأردف قائلاً : « هي في الثامنة من
عمرها ... سمراء ... ممتلئة حيوية ونشاط
.. تميل للعب والأنطلاق » .
وهمست (جوليا) وكأنها تحدث نفسها :
« إنك تصف أختي .. فهكذا كانت
(لوسى) تماماً » ثم أستدارت فجأة
وقالت : « يجب أن أودعك يامسيو
(مارشال) لأذهب لوالدي » .

وتبعها (مارشال) في صمت حتى وقفا
عند الباب الخارجى المفتوح . وقال
بهدوء : « لقد كنت متيقناً من حصولي
على مساعدة والدك لأجراء تلك
الجراحة الهامة غير أن كل مانجحت فيه
هو أنني جلبت التعاسة لأناس آخرين »

.

وقالت (جوليا) : « مسيو (مارشال)
... قد يستطيع بعض الجراحين
الفرنسيين إنقاذها عندما تعود لفرنسا » .

نظر لها وقال بهدوء : « لا أعتقد أن
هناك وقتاً يا آنستي . إن جوستين لم تعد
في فرنسا . لقد أحضرتها إلى إنجلترا هذا
الصباح . أنها الآن بحجرة خاصة
بمستشفى والدك . لقد قامرت بكل
شيء في سبيل الحصول على مساعدته »

.

ردت (جوليا) بأسى : «أوه .. إنني
آسف جداً» .

لوى (مارشال) شفّتيه مبتسماً بسخرية
وقال لها : « إنك إنسانه عطوفه ..
ولكن الشفقة لن تنقذ (جوستين) . إنها
تحتاج لمهارة والدك » . ثم أضاف ببرود
: « آنستى .. أرجو أن تسامحني لما
جلبته لكم من التعاسة .. إلى اللقاء » .
تابعت (جوليا) خطواته وهو يتعد عبر
الممر ثم أغلقت الباب بإحكام .
لقد فشلت في إخفاء تعاطفها ولكن هذا
الرجل بدا صارماً صعب فهمه . وسرت

قشعريرة في جسدها رغماً عنها . لقد
بدا كأنه يحمل أسراراً ... أسراراً عميقة
... وهو يلقي في النفس أحساساً قابضاً
يبعث على الخوف .

وأسرعت (جوليا) إلى والدها وهي تعلم
أن ما حدث قد أحيا الجرح القديم .
كانت عودتهم للمستشفى في اليوم التالي
متنفساً حفف عنهم ما يكابدون . لقد
شعرت بالقلق تجاه والدها ولكنه لم
يسمح لها بأن تقول شيئاً . فمذ أن

تركهم في الحديقة أحتجز نفسه في غرفه
وكان يرد بأقتضاب عندما تذهب إليه .
كان يعيش في الماضي مرة أخرى مثقلاً
بالذنب والأسى . لقد أهتز كثيراً بسبب
أنفعاله أمام ذلك الفرنسي حتى أنه لم
يعد يجد وقتاً (لجوليا) ذاتها . فلابد إذن
أن يسكن كل شيء مرة أخرى .
تسلمت (جوليا) عملها من ممرضة الفترة
الليلية كالمعتاد وتوقفت لتبادل معها

ذلك الحديث القصير الضروري . سألتها
(جوليا) : « هل هناك جديد ؟ »
أجابتها ممرضة الفترة الليلية : « بعد
جولة الطبيب (ايلتون) فقد تقرر خروج
السيدة (براون) اليوم . وسمح للصغيره (
سنثيا) بساعتين ولكن بدون سير على
قدميها . السيدة (واتكينز) تثير
المتاعب كالعادة » وأبتسمت الممرضة
(تود) أبتسامة عريضة وأجابتها (جوليا)
بأبتسامة مماثلة وهي تقول : « سيكون

هذا المكان هادئاً جداً عندما تعود لمنزلها
« . ثم أخذت (جوليا) تُحکم وضع غطاء
رأسها وتثبت ساعتها جيداً. كانت
ترتدى زى العمل الأزرق اللون وفوقه
معطفاً أبيض . إنها تبدو اليوم شخصاً
مختلفاً تماماً . فقد ملمت أطراف شعرها
الذهبي الطويل الكثيف وربطته من
الخلف بعيداً عن وجهها. وكانت تغطي
رأسها بغطاء أبيض أنيق وقد بدت أكثر
رشاقة فى زى العمل الأزرق اللون. ورغم

ذلك فقد كانت الممرضة (ردفورد) جادة
تماماً في تسلم عملها في رعاية مريضات

جناح

الجراحة النسائية بالمستشفى .

قالت (جوليا) لزميلها برقة : من
الأفضل أن تذهبي لفراشك يا (جين)
فإنك تبدين متعبة .

تنهدت (جين تود) قائلة : « نعم » ثم
عضت على شفتها السفلى برفق وهي
تقول : « كانت ليلة هادئة ولكنني

أخشى أن أكون قد أخرجت أسوأ الأنبياء
للنهاية يا (جوليا) . فهناك مريضة في
حجرة خاصة . إنها طفلة فرنسية صغيرة
. مصابه بجراح في رأسها . وهي في حالة
غيوبة تفيق منها على نحو متقطع .
سيقوم الطبيب (ايلتون) . غداً بإجراء
الجراحة لها حيث
أن والدك .. حيث أن البروفيسور (
ردفرد) ... » .

ولاذت (جين) بصمت حزين فربت
(جوليا) على ذراعها وهي تقول : «
حسنا يا (جين) إننى أعلم بوجود هذه
الطفلة الصغيرة وسأذهب لرؤيتها بمجرد
أنتهائى من جولاتى فى هذا الجناح » .
قالت (جين) : لقد كان والد الطفلة
شديد الغضب ولم يلجأ للطيب (ابلتون)
ولم يستطيع الاتفاق معه وكاد أن يرفض
بقائها بالمستشفى ولكنه فى آخر الأمر
أبقاها سعيًا وراء أمل أخير » .

قالت (جوليا) بهدوء : « مسيو
مارشال) هو عمها . لقد زارنا بالأمس «

.

قالت (جين) : « قلبي معك يا (جوليا)
... يكفيك ما مر بك من التجارب
القاسية ... ماذا عن ... أوه ... يا ألهي
.. ؟ سأذهب الآن فكل ما أقوله يزيد
الأمر سوءاً . يبدو أنني لا أستطيع
التحكم في لساني . يجب

أن يقنصر كلامي على تلك الليلة

البغيضة التي مرت بي .

قالت (جوليا) : « لا عليك يا جين » ثم

تهيأت للأنصراف . فهي تدرك ما كانت

(جين) على وشك النطق به . كل من

بالمستشفى يعرف أن خطبتها (لجراهام)

قد باءت بالفشل .. حدث ذلك بسرعة

درامية . استرجعت ذلك المشهد

السخيف مساء أحد الأيام منذ شهر

مضى .

وفى ذلك المساء أسقبت (جوليا) قائلة
: « جراهام » لقد رأيتك عصر اليوم مع
فتاة جميلة ... فمن هى ؟ لم يكن
الفضول من عادة (جوليا) ولا كانت
الغيرة من طبيعتها . توقعت (جوليا)
أجابة ضاحكة ولم تتوقع إجابة خطيرة
وصارمة كتلك التى نطق بها . لقد كانت
هذه هى الفتاة التى سيتزوجها . ابنة أحد
الأثرياء الذى يمكنه بسهولة إقامة

مشروع خاص (لجراهام) يزاوّل فيه مهنته
لحسابه إذا أرادت (جوليا) ذلك. وهو
ما فعلته .

أفاقت (جوليا) من خواطرها إثر لمسة
رفيقه من يد (جين) وهى تقول : « هل
أنت بخير » ؟

ردت (جوليا) : « بالطبع ... لقد كنت
أفكر فى عملى اليوم .. يبدو أنه سيكون
يوماً مليئاً بالعمل » .

قالت (جين) : « فعلاً ... من الأفضل
أن أدعك تبدأين .. أرجو الا أكون قد
ضايقتك يا (جوليا) » .

ردت (جوليا) بثبات : « لا ... لم يحدث
« ثم مدت يدها لتحسس غطاء رأسها .
ضيق ... كانت (جوليا) تشعر في بعض
الأحيان وكأنها تغالب أنهيأراً عقلياً وتكبته
إلى أجل مؤخر . ولذا فقد قررت تقديم
أستقالتها . وكانت تعد الأيام .

بمجرد أن خطت (جوليا) من الباب
الدوار بجناح عنبر الجراحة النسائية دوى
صوت السيدة (واتكينز) الحاد الواهن
وهى تقول : « الممرضة (ردفورد) ...
الحمد لله أنك قد عدت للعمل مرة
آخري » وأرتسمت أبتسامة ساخره على
وجه الممرضة المساعدة . ثم أكتسى
وجهها بجدية لا تخلو من السخرية وهى
تقول (جوليا) : « هل لنا أن نذهب لها

أولاً لنخلص أنفسنا من ذلك الشقاء «

.

ردت (جوليا) : « لن نفعل ذلك ..

يمكنها أن تنتظر دورها « . أخذت جوليا

تنتقل من مكان لآخر بالترتيب : تحدث

المرضى وتفحص تقارير علاجهم .

وأخيراً توقفت أمام فراش السيدة

(واتكينز) الغير مرتب

كالعادة .

وأبتدريتها السيدة (واتكينز) قائلة :

ممرضة (ردفورد) .

تستشيرى الطبيب اليوم لأننى . أنوى

العودة للمنزل فى الغد على أقصى

تقدير» .

وردث (جوليا) بهدوء : « إن ساقك لم

تلتئم بعد ياسيدة (واتكينز) » . ثم

أومأت للممرضة المساعدة التى سارت

إلى الجانب المقابل من الفراش ثم أخذت

يرتبانه سوياً.

وأنطلق الصوت الحاد للسيدة (واتكينز)

قائلاً : هلا شاهدتما نفسيكما ...

تهتمامان بالفراش أكثر من المريض . فما

أهمية الفراش المرتب ؟

أجابت (جوليا) بلهجة جادة : لا شيء

خطير ... غير أنه هام وطيب لمعنوياتك

ولمعنوياتنا فلو ظهرنا جميعاً بمظهر نظيف

وجميل فإن اليوم سيأخذ مظهراً مغايراً .

وفي حالتك أيضاً فإنه يمكنني بلمحة

سريعة إدراك ما إذا كنت تتسللين من

فراشك أم لا . إن ساقك لن تبرأ إلا إذا
تجنبت تحريكها . ولا يوجد لدينا العدد
الكافي من العاملين لمراقبتك طول الوقت
. وكما تعرفين فيجب عليك أن تتحملي
بعضاً من المسؤولية بخصوص
صحتك .

دمدمت السيدة (واتكينز) قائلة : «
حسناً . . إنني لا آبه بك غير أنني لا
أفعل شيئاً لساقى على الإطلاق» . ثم

حملت في الممرضة المساعدة وهي تقول
: « إنها إنسانه فظة » .

قالت (جوليا) بجدية : « بمجرد خروجنا
من هنا فساوجه لها تأنيب رسمي »
وغمزت بعينها للممرضة المساعدة بينما
كانتا تستديران مبتعدتين .

وقالت السيدة (واتكينز) بصوت ساخر
مغبط : « حسنًا وعندئذ فسألتزم
الهدوء » .

ابتسمت الممرضة المساعدة وهي تهمس
: « أريد أن أخرج للممر وأصرخ بأعلى
صوتي » .

تمت (جوليا) : « أفعلنى أى شىء
يقيها فى فراشها . فبهذا المعدل ستبقى
هنا للأبد » .

وعادت جوليا لغرفة مكتبها بعد أن
كتبت قائمة بعلاجات الصباح وناولتها
للممرضة المساعدة.

لقد أصبحت بمفردها الآن وهى تدرك
كم حاولت التأجيل .. ولكن لا بد من
مواجهة الموقف ... وبدون أن يصدر أى
صوت من خطواتها سارت بهدوء عير
الممر إلى تلك الغرفة التى تضم مريضتهم
الخاصة ذات الشعر الداكن والتمانية
أعوام التى كانت ذات يوم لا تكف عن
اللهو والأنطلاق .

كانت إحدى الممرضات تقف خارج
الغرفة وقد أرتسم على وجهها القلق

الواضح والتشتت ما بين الأوامر المتضاربة .

توقفت (جوليا) بجوارها وسألتها وقد
برقت عيناها الزرقاويتان العميقتان : «
ما المشكلة يا ممرضة (جيمس) ؟ » .
أجابت الممرضة بأضطراب : « من
المفترض أن أبقى مع الطفلة الفرنسية
وأبلغ أى تغيير يطرأ على حالتها غير أن
ذاك الرجل قد دخل الغرفة وطلب منى

الانتظار بالخارج , ولست أدري ماذا
أفعل » .

كانت الممرضة صغيرة السن وقد بدا
أضطرابها جلياً فأشارت لها (جوليا)
قائلة: « إذهبي إلى غرفة مكتبي وضعي
إبريق الشاي على الموقد . وسوف
استدعيك بعد قليل » . كانت (جوليا)
تعرف من الموجود بالحجرة وهي تعلم أنه
ليس بالأمر الهين بالنسبة للممرضة
(جيمس) كما أنه ليس بالأمر الهين لها

هي أيضاً . وعلى أية حال فعليةا أن
تتحمل المسؤولية الآن . نصبت (حوليا)
قامتبا ودخلت الغرفة.
كات (لوك مارشال) جالسا بجوار
الفراش بهيته ولونه البرونزي وقد
أمسكت يداه برفق بيد الطفلة الراقدة
بلا حراك , وعندما سمع صوت الباب
أستدار سريعا بوجهه غاضب متوقعا أن
برى تلك الممرضة . الصغيرة التي

أرسلها خارج الغرفة . ولكنه نهض ببطء
عندما رأى (جوليا) بينما رأت على
وجهه تعبيراً ساحراً لم تره في حياتها .
همس (مارشال) : « أنسة (ردفورد)
وأخذ يتفحصها بدءاً من شعرها المصفف
بعناية كبيرة وغطاء رأسها الجميل وزياها
الأزرق الداكن الذى ترتديه تحت البالطو
الأبيض.

تساءل (مارشال) منبهراً : « الممرضة

(ردفورد) ... إنك تبدين صغيرة.. ربما

اصغر من طفلة » .

ردت (جوليا) بجدية : « أربعة وعشرون

عاماً يا مسيو (مارشال) » كانت جوليا

تتحدث وهى غير مستعدة لتلك الموجه

من الوخزات المفاجئة التى تتابها عندما

تتلاقى عيونهم .

وقالت (جوليا) : « يجب أن تعلم بأن

هذه الغرفة تقع فى نطاق مسئوليتى اليوم

وليس لك الحق في أقصاء الممرضة

خارجها» .

ورد بصوت مطمئن : « لم يكن لها حاجة

في ذلك الوقت » .

كانت (جوليا) متأكدة أن هناك ما

يشغل فكره عن أستيعاب الموقف

وإلا لما سمح لها بالحديث بهذا الأسلوب

.

وعندئذ أضاف (مارشال) بحدة : « على
أى حال فهذه حجرة خاصة » وبدأ كأنه
يستعيد طبيعته بسرعة.

ردت (جوليا) بنفس الحدة وهى تخطو
نحو الفراش ناظرة للطفلة : « ولكنها لا
تزال تحت رعايتى يا سيدي » .

وأستجمعت (جوليا) كل شجاعته
وأخذت نفساً عميقاً فيل أن تجسر على
تركيز عينيها على الوجه الصغير . لم يكن
به أثر للحياة . أحاط اللون الأزرق

بالعينين المغلقتين . أرتسم شبح الموت
على الوجنتين الشاحبتين .

وبحركه آلية مدت يدها لتختبر نبض

الطفلة . كان واهياً لا يكاد يُلحظ .

وسألت بحده : « كم مضى عليها من

الوقت وهى بهذه الحالة ؟ » وأتجهت

(جوليا) إلى جهاز موضوع على منضدة

جانبيه وبدأت تعاین قراءة ضغط دم

الطفلة بينما رد (مارشال) بأقتضاب : «

بهذه الحالة الراهنه ؟ منذ الصباح » ثم

أضاف: « إنها لا تزال في غيبوبة تفيق
منها ثم تعود إلها بدون أن تتعرف على .
لقد بدت بعد الحادث وكأنها على ما
يرام بينما أودت حادثة التصادم بحياة
والديها ولم يبد عليها سوى الأصابة
ببعض الخدوش . ومؤخرا بدأت تتصرف
بطريقة غريبة ثم بدأت تشكو من عدم
قدرتها على تحريك ذراعها . ولم تظهر
الأشعة الصينية أى شىء ... وأخيراً
وجدو السبب ... » .

اكملت (جوليا) بهدوء بينما كانت تقرأ
ضغط دم الطفلة : « ضغط على المخ »

.

وأجابها : « نعم » وقد أستحال صوته
خشناً أجشاً ولكنها تجاهلته تماماً ومدت
يدها تتناول تقرير العلاج المثبت بجانب
فراش الطفلة وأخذت تقرأه . أتضح لها
أن حالة الطفلة قد تدهورت بسرعة
خلال الفترة الوجيهة

التي قضتها بالمستشفى. وقبل أن تجري
العملية التي تقرر لها الغد فإن الطفلة
ستلقى حتفها. وعلاوة على ذلك فإن
الطبيب (ديريك إيلتون) لا تتوافر له
مهارات والدها المتميزة .

أتجهت (جوليا) إلى باب الغرفة فوجدت
الممرضة (جميس) قد عادت تحوم بقلق
أمام الغرفة .

قالت لها (جوليا) بلهجة آمرة : « ممرضة
(جميس) ... أذهبي للجناح وأبق هناك .

ولترسلى الممرضة المساعدة إلى هنا
وأخبريها أن تنتظرني داخل الغرفة » .
وضغطت جوليا على كلمة « داخل »
لتؤكد لها .

قالت الممرضة الصغيرة وهى تكاد تعدو:
« آمرك .. ممرضة (ردفورد) » .
أستدارت (جوليا) وسارت عبر الممر .
ينبغى أن يكون والدها فى المستشفى
الآن . فلديه محاضرة فى التاسعة ويجب
أن ينتهى منها الآن .

عادت (جوليا) بعد خمس عشرة دقيقة
ومعها أحد الممرضين يسحب وراءه
منضدة متحركة من ذلك النوع الذى
يستخدم لنقل المرضى فى المستشفيات .
فتح باب الغرفة على مصراعيه وكان
هناك (مارشال) بعينه
الغامضتين .

أتسعت حدقتاه . وهو يصيح بجرارة : «
آنسة» وطبعت نظرتة الخاطفة أحساساً
رهيباً على وجه الممرضة المساعدة التى

تسمرت في مكانها بجوار الفراش . إن
(جوليا) تعرف هذا الأحساس جيداً .
صححت (جوليا) كلمته بحدة : « ممرضة
من فضلك » . فإذا لم يكن هناك بد من
المصاعب فيجب أن تتصرف بما يحفظ
هيبتها . قالت (جوليا) : « هل لك أن
تنتظر خارج الغرفة يا مسيو (مارشال) »
ثم

استدارت مهمة إياه وهي تقول «
يمكنك استخدام غرفة المكتب الموجودة
بنهاية الممر » .

ثم خاطبت الممرضة المساعدة: « حسناً.
دعينا نجهز المريضة لأجراء الجراحة » .
وتمتم (مارشال) : « آنسة ... ممرضة
(ردفورد) .. من المفروض أن تجرى
الجراحة في الغد .. قد يمكنى أقناع
والدك خلال هذه الفترة . فليس لدى
ثقة كبيرة في هذا السيد (ايلتون) » .

وردت (جوليا) بلهجة عملية جادة : «
إن السيد (ايلتون) جراح بارع وعلى كل
حال فهو لن يقوم بإجراء الجراحة .
وصاح (مارشال) غير مصدق : «
والدك؟» وبرقت عيناه بالأمل .
قالت (جوليا) بثبات : « مسيو
(مارشال) سوف يبدأ البروفيسور
(ردفورد) إجراء الجراحة بمجرد أَدْخَالنا
أبنة أخيك إلى حجرة العمليات .
ولذلك فكلما اسرعت بتنفيذ التعليمات

وغادرت المكان ... كلما كان ذلك

أفضل .»

أرتسمت على شفثيه أبتسامة رضا
أضاءت صفحه وجهه الصارم ومد يده
ممسكاً بيد (جوليا) . وهمس بهدوء كاد
يبلغ حد الأنكسار: « شكراً لك ممرضة
ردفورد ... لقد تمكنت من أقناعه ...
إنني لن أكف عن الأمتنان لك » .
قالت (جوليا) بهدوء : « إنه ليس الها يا
سيدي » . وأستشعرت وخزاً يسرى

بيدها من أثر ملامستها لتلك الأصابع
القوية الدافئة . وأضافت : « إن الطفلة
مريضة جداً جداً . »

أجابها وقد ثبتت عيناه على وجهها : «
أنا أعى ذلك تماماً وكانت عيناه
الغامضتان تتركزان على وجهها وهو
يقول : « ورغم ذلك فإن والدك في هذه
اللحظة أقرب ما يكون إلى الأله . الذى
يجب أن أشكره ... وأما أنت ... فملاك
جميل ... صارم وجاد أرسل لمساعدة

(جوستين) وآيا كان ما تقولينه لى

فسأنفذه « .

أجابت (جوليا) بصراحة : « لىس

مطلوباً منك يامسيو (مارشال) سوى

الجلوس فى غرفة المكتب . ودعنا نمارس

عملنا « .

قال (مارشال) بهدوء : « لك الطاعة يا

ممرضة (ردفورد) « ولثم يدها ثم غادر

المكان .

تلاقت عينا (جوليا) مع عيني الممرضة
المساعدة اللتين ملأهما الدهول أيضاً .
غير أنه ام يكن هناك وقت لألتقاط
الأنفاس حيث أنصب كل أهتمامها على
الوجه الصغير الشاحب الذى يرقد على
الوسادة البيضاء .

بدأت (جوليا) العمل فى توافق تام وألفة
كاملة مع الممرضة المساعدة مع أحرار
كل منهما لقدرات الأخرى

أخيراً وصلت منضدة العمليات لنهاية
الممر. كانت الممرضة المساعدة تمشي
بجوارها بينما أستدارت (جوليا) على
عقبها وأتجهت لغرفة مكتبها . توقفت
(جوليا) عند باب مفتوح وخاطبت
إحدى الممرضات « عليك برقع أغطية
الفراش في الحجرة الخاصة.» ثم
أستكملت سيرها لتواجه ذلك الفرنسي

قال (مارشال) : « لقد رأيتهم يأخذونها
.. ألن تذهبي معهم ؟ »

وردت (جوليا) بصوت مرهق : « إنني
لست ممرضة عمليات يا سيدى » ثم
أضافت : « فلنتفضل بالجلوس حيث
يمكنك أن تتناول معى قدحا من الشاي
» .

بقى (مارشال) واقفاً وقال بصوت
أجش : «إننى أريد إننى أفضل لو
أنك كنت معها» أستلقت (جوليا) على

مقعدھا ثم أخذت تنظر بجهد جهيد
لقامته المديدة وعينيه الزرقاء الغامضة.
وقد امتلئت ثقة وهدوء. قالت (جوليا)
: إننى لم أتلق تدريباً. بخصوص العمليات
الجراحية .

ثم أضافت : « سأنتظر خروجها من
غرفة العمليات وعندئذ يمكنى مساعدتها
« .

قال (مارشال) ببرود : « كيف يمكنك
ذلك ؟ إنها ستكون واحدة من كثيرين .

فلديك العديد من المرضى . ولن تحظى
(جوستين) من اهتمامك بأكثر من
قسطها المفروض. فكيف يمكنك أن
تجمعى بين وجودك فى . هذا المكان
ووجودك فى غرفتها فى نفس الوقت « .
أخذت (جوليا) نفساً عميقاً ثم نهضت
أزاحت إحدى الستائر المقابلة لمكتبها
فظهرت أمامهم غرفة صغيرة يتوسطها
فراش بينما تنشر الأجهزة الطبية فى
أرجائها.

قالت (جوليا) « ستوضع ابنة أخيك في
غرفة العناية المركزة يا مسيو (مارشال)
وساضع عيني عليها معظم الوقت حيث
سأقوم بتمريضها خلال الأيام القادمة
وهو افضل ما يمكنى عمله .. والآن
فلتفضل بالجلوس » .

وناولته قدح الشاي فأخذه منها وقد
بدت في عينيه نظرة قلقة . ألتفت عيناه
الزرقاء الغامضة بعينها ولاحظ نظرتها
المتفرسة .

سألها بأقتضاب : « ماهى فرص نجاح

الجراحة فى رأيك ؟

وردت بهدوء : « يمكنى فقط أن أخبرك

بأن والدى هو الأفضل » وحولت نظرها

إلى جناح مريضات الجراحة النسائية .

قالت (جوليا) بتردد : « إذا ... إذا

ماتت ... فأعتقد أن ذلك سيقتل

والدى ... أنا لا أتصور أن بإمكانه

مواجهة هذا الموقف مرتين ... وهى

تشبه ... تشبه (لوسى) إلى حد كبير » .

قال (مارشال) برقة : « وقد كنت أنت
التي أقنعتة » .

غرست (جوليا) اسنانها البيضاء في
شفتها السفلى وهي تقول : « كان
ذلك لسببين » وشردت بعينها بعيداً,
وقالت بصوات عميق كأنه يأتي من
الماضى السحيق : « إن أبنه أخيك في
حاجة إليه كما أنه هو

الآخر بحاجة إليها. ولا يمكن لأى إنسان
آخر أن يقوم مقامها . إذا كتبت لها

الحياة فاعتقد أنه سيعود لممارسة ماوطن
نفسه عليه وهو أنقاذ حياة الآخرين .
أما إذا ماتت ... » .

ولم تستطع أن تكمل جملتها بينما نظر
إليها (مارشال) بإمعان وقال برقة : «
إنك تمتلكين الكثير من الشجاعة
والشفقة ... إن ذلك يتبدى في عينيك
وفي فمك .. إنني حتى لم الحظ وجودك
بالأمس . أما الآن فمهما حدث فعتقد
أننى غيرت حياتك » .

أحست (جوليا) برعدة باردة تسرى
بأوصاها فأستجمعت كل حنكتها
العملية لتحفظ بوجهها خالياً من أى
تعبير . ولم تكن متأكدة إذا كان قد
أدرك هذه الرعدة التى أجتاحتها أم لا .
كانت عيناه الغامضتان تحقدان
فيها بلا شفقة فنهضت (جوليا) متجهة
إلى جناح مريضات الجراحة النسائية .
قالت (جوليا) بلهجة سريعة : « سوف
يأخذ الأمر بعض الوقت يا مسيو

(مارشال) . وأنا مشغولة جدًا الآن .
وإذا أردت الاتصال بي تليفونيًا بعد
حوالي ثلاث ساعات فقد يمكنني أن
أنقل لك بعض الأخبار» .
أوماً (مارشال) موافقاً ولكنه تساءل : «
هل يمكنني الاتصال بك شخصيًا ...
ممرضة (ردفورد) » .
أجابت (جوليا) : « نعم » . وأستأذنك
الآن في الانصراف » .

قال (مارشال) : « سأعود إلى الفندق
الذى أقيم به... فلا أريد أن أعطلك
عن أداء عملك ... وشكرًا لمساعدتك
وعطفك » .

أنحني أمامها تلك الأنحاء البسيطة
الجافة : « وفجأة بدا إنساناً أجنبياً تماماً
. لم تلحظ (جوليا) ذلك من قبل . كان
رجلاً غامضاً صامتاً وأحست بأن
المخاطر تحف به . كان ذلك مجرد
أحاساس ولكنه كان قوياً غالباً . وهى لا

تریده أن یغیر حیاتها . ولا تریده فی
حیاتها أساساً .

لقد فعلت لأجله الكثير ولكنها كانت
ستفعل ذلك لأى إنسان آخر . ورغم
ذلك خالجهما شعور مخيف بأنه قد أصبح
له بعض الوصایه علیها . تبعاً لذلك
القول القديم : « إذا أنقذت حیاتی
فإنك تصبح مسئولاً عنها » .

كان (مارشال) غاضباً لأن (جولیا) لم
تصحب (جوستین) فى حجرة العمليات

. وشعر بالغيرة لأن المريضات سيشاركن
(جوستين) فى وقت (جوليا) . ولكن
منظر الحجرة القرية من غرفة مكتب
(جوليا) جعله يلوذ بالصمت .
خرج (مارشال) وتابعته (جوليا) بنظراتها
وهو يتعد: طويلاً غامضاً وممتلئاً
بالرجولة . ولكنها تعرف أن بداخله
بعض التحضر الذى يكمن تحت السطح
فى أنتظار الانفجار إذا ما فشلت هذه
العملية الجراحية .

مررت (جوليا) يدها فوق معطفها
الأبيض وهى تسرع إلى جناح مريضات
الجراحة النسائية . فالعمل الجاد هو
الشيء الوحيد الذى يمكنه أن يصرف
تفكيرها بعيداً عن حجرة العمليات
حيث ترقد الطفلة الصغيرة بين يدي
والدها الماهرة . كما أنه سيشغلها عن
تلك الصور المتوجسة التى بدأت ترسمها
(للك مارشال).

وأخيراً أقبل والدها وكان بريق عينيه
ينبأها بكل ما تريد معرفته . وبمجرد
رؤيته صاحت (جوليا) بأنفاس لاهثة : «
أبي ... ، كيف حالها ؟ » ثم جذبتة إلى
غرفة المكتب وأغلقت الباب .
أجابها والدها : « هي بخير....
وسيحضرونها لك حالاً .. فقد نجحت
الجراحية يا عزيزتي » وطوقها بذراعيه
وضمها بشدة. وهو يقول بصوت
هاديء : « ربما يمكنني الآن أن أحيا مرة

أخرى لقد كنت بحاجة لهذا الأمر
لكي يعيدني مرة أخرى للحياة
لأبنتي الأخرى ... شكراً لك يا (جوليا)
... لقد كنت أكثر شجاعة مني .
عندما أتصل بها (لوك مارشال) تليفونياً
كانت الدموع لا تزال تملأ عينيها ولكنها
كانت دموع السعادة .
وسأل (مارشال) بصوت قلق : «
الممرضة (ردفورد)؟ » عندئذ أستيقظت
كل حواسها وصاحت بسعادة بالغة : «

إنها موجودة لدى الآن يا سيدى ويمكننى
رؤيتها من مكانى هذا ولكنها ستظل
تحت تأثير المخدر
حتى الغد .

سألها (مارشال) بإلحاح : « هل يمكن
رؤيتها الآن؟ ... هل ستسمحين لى
بذلك؟ » عندئذ أنطلقت ضحكها
وتفجرت ينابيع السعادة بداخلها وهى
تقول: « يمكنك أن تأتى إلى غرفة مكتبى
وتشاهدها من خلال النافذة الزجاجية

... يمكنك أن تحطم كل القواعد ...

وإذا وجه

لك أى إنسان سؤالاً فإننى سأفجر نوبة

غضبي» .

قال (مارشال) ضاحكا : « لست أدرى

ماذا تعنى « نوبة» هذه غير أننى متأكد

أنك مادمتم ستفجرينها فإنها ستكون

حادة وقوية خاصة لو كنت بمثل حالتك

هذا الصباح عندما أرسلتُ الممرضه

خارج الغرفة» ثم

علا صوته وهو يقول بحسم : « سأكون
لديك خلال عشرين دقيقة وسيكون
سلوكي على أفضل ما يمكن » .
وضعت (جوليا) سماعة التليفون ..
ولأول مرة منذ مدة طويلة ... كانت
تبتسم بسعادة .

الفصل الثاني

سرعان ما جاء (لوك مارشال) بعد أنتهاء
المكالمة ومكث مع (جوليا) في غرفة
مكتبها . وأخذ يحدق في (جوستين)
بوجه مضطرب ونظرات جامدة. لم يكن
هناك ما يمكن رؤيته سوى الوجه الصغير
الأبيض

والراس المحاط بالضمادات بعناية ورغم
ذلك كان بصره لا يكاد ينصرف عنها.

لم تلحظ (جوليا) أى أثر لتلك الروح
المرحة الخالية من الهموم والتي سرت
إليها من خلال التليفون. كان صامتاً
كئيباً وقد أنصرف وجهه

يرقب ابنة أخيه فى أستغراق تام .

وتصفحت عيناه وجه (جوليا) وهو يقول
: « هل ستتولين رعايتها جيداً.. ممرضة
(ردفورد) ؟ » .

ردت جوليا ببساطة: « إما مريضتى يا
مسيو مارشال » ولكنه أدخل الروع إلى

قلبها وهو يرد بقوة : « يجب أن تكون
(جوستين) أكثر من ذلك بالنسبة. لك
يا آنستي . لقد عانت بما فيه الكفاية ولا
يكفى أن تبفى على
قيد الحياة. بل يجب أن تكون سعيدة ...
آمنة بدون أدنى شك» .
قالت (جوليا) بصوت جاف : « يمكنني
أن أعدك بكل ذلك أثناء وجودها في
رعايتي يامسيو (مارشال

(« ثم أضافت : « إن السعادة لا تمنح

ولكنني سأفعل ما بوسعي » .

أستدار (مارشال) بكامله ناظراً إليها وقد

أستند بمرفقين على مكتبها واضعاً ساقاً

فوق أخرى وقد تجلت أناقته ثم قال لها :

« ما دامت معك فستكون في أمان»

نطق بهذه الكلمات بينما كان يرقب

وجهها في تحفز ثم

أستطرد قائلاً: « كنت أتمنى أن تكونين
معها طوال الوقت رغم معرفتي بأن ذلك
سيؤثر على عملك » .

قالت (جوليا) بتهكم : «مسيو
(مارشال) ... شكراً لك على حسن
ظنك وسلوكك الطيب كل هذا الوقت»
وبينما كان يحدق فيها استطردت
(جوليا) قائلة : « إن ممرضة الفترة الليلية
ماهرة جداً وستكون الطفلة نائمة

أغلب الوقت ثم أتسلم أنا العمل في

الصباح » .

وسألها (مارشال) : « وماذا عن أجازتك

» .

قالت (جوليا) بهدوء : « لدينا نقص في

عدد العاملين » وأستدارت ترنو إلى

ذلك الجسد الضئيل المسجى في الفراش

ثم أردفت قائلة : « طالما أنها بهذه

الحالة فيمكنني ترتيب تواجدى هنا يومياً

. ولا أعتقد أن هناك من سيعترض على ذلك .

قال (مارشال) بإمتنان : « شكراً لك
آنسة.... آ ممرضة (ردفورد) »
صحح (مارشال) خطأه بواحدة من
أبتساماته النادرة وقد بدا رأسه مثقلاً
بالتفكير العميق وهو يرقب أبنه أخيه .
وأضاف (مارشال) : « لم أتوقع أن
أصبح مديناً بالشكر إلى هذا الحد لفتاه
الانجليزية » .

قالت (جوليا) بسخرية باردة : « إنه
واجبي ياسيدى » ... لقد بدأت تنزعج
من نظراته المركزة إذا لم تأخذ حذرهما فإن
هذا الرجل وتلك الطفلة سيغزون حياتها
. لقد أستشعرت تحذيراً غريباً وكان رد
فعلها سريعاً وحذراً فهي ليست بحاجة
لمزيد من الأحباط فى حياتها .
قال لها (مارشال) بهدوء : « لم يكن
واجبك أن تقنعى والدك با ممرضة
(ردفورد) » .

قالت (جوليا) : « لم يكن هناك بديل

آخر وعلى أية حال فهو سعيد

وأعتقد أن كل منا قد اسعدته النتيجة يا

سيدى . والآن أجدني مضطره أن أطلب

منك المغادره إذا لم يكن فى ذلك ما

يضايقك . فيجب أن استعد لتسليم

العمل لمرضة الفترة الليلية » .

لم يكن ذلك هو رد فعلها التلقائي المجرد

تجاه أى أخلال بهدوء جناح مريضات

الجراحة النسائية ونظامه المحكم لكنها

أحست. وكأنها تغالب قوة ردود أفعالهم
بعد إجراء جراحة ناجحة تختلف كثيراً
عن رد فعل ذلك

القريب المثير. فلم تحتف صرامته على
الأطلاق إذ بعد ذلك الانفجار الأولى
للسعادة عاد إلى وضعه الطبيعي .. إذا
كان ذلك هو وضعه الطبيعي. لقد عاد
إلى القلق والترقب مما أوجد لديها
أحساساً بالخطر كما لو كان عليهم أن
يتحدثوا دائماً بأحتراس .

سيغادر (مارشال) المكان مكرهاً رغم أنه
لم يكن يريد أن يعرض فرص شفاء ابنة
أخيه للخطر.

بينها كان يغادر المكان ظهر (جراهام)
آتياً لغرفة المكتب . نظر (مارشال)
(لجوليا) وأرتفع حاجباه في دهشة لذلك
التعبير المفاجيء الذى طرأ على وجهها
حيث بدت عيناها باردة خالية من
الشفقة .

وتمتم (مارشال) : « طيب » وذلك
عندما رأى المعطف الأبيض والسماعة
الطبية في جيب (جراهام). عندئذ ألفت
(جوليا) قائلاً : « أرجو ألا يكون
وجودى يسبب لك أى مشاكل
ممرضة (ردفورد) .

وأندفعت (جوليا) قائلة فى حدة : « لا
تقلق » وقد كادت لا تلاحظ (مارشال)
فى طيات تيار القسوة الذى أجتاحتها
عندما رأت (جراهام) . وقالت (جوليا) :

« ليس لديه سلطة عمل شيء ... كما

أن هذا الجناح

يخصني حتى أسلمه للممرضة (تود) .

قال (مارشال) : « إذن دعيني أقول لك

: طاب مساؤك وسوف آتى فى الغد» .

عندما وصل (جراهام) لباب الحجرة

كان (مارشال) يترك المكان بينما هممت

(جوليا) بالخروج فلم يكن لديها أدنى

أستعداد للبقاء مع (جراهام أدمز) فى

حجرة المكتب .

وبينما كان (مارشال) يتعد عبر الممر
المضاء سألت (جوليا) ببرود : « هل
تريد شيئاً .. طيب (جراهام) » .
أجابها (جراهام) : « أوه ... بحق الآلهة
يا (جوليا) ... لا تكوني بهذه الصورة يا
عزيزتى » وحاول (جراهام) الأمسك
بيدها فتصلبت (جوليا) وأتخذت وضعاً
يكاد يكون قتالياً وأرتفعت رأسها في
صرامة منتزعة يدها من بين الأصابع
الممتدة .

أرتفعت نبرة صوتها وهي تقول : « إذا
كانت هذه زيارة شخصية فأرجو أن
تغادر الجناح .

غمغم (جراهام) وأطلق زفرات غاضبة
مدركاً خيبة مسعاة فاستدار ببطء وسار
عبر الممر الصغير متجهاً إلى الممر
الرئيسي أستندت (جوليا) إلى الباب وقد
تراخي كتفها المنتصبان وشحب وجهها
. لقد كانت على حق عندما لم تدع أحداً
غيرها يعرف بهذا الأمر . عندما هجرها

(جراهام) من أجل المال وتأمين مستقبله
. قد يصل للقمة سريعاً فهو يسحق كل
من يعترض سبيله .

مدت (جوليا) يدها تمسح دموع القسوة
التي ملأت عينيها . وفي هذه اللحظة
فقط رأت ذلك الفرنسي يقف على
مقربة في الممر الرئيسى وقد تركزت عيناه
الغامضتان عليها وأمتلاً وجهه بالعديد
من الاسئلة الصامته .

تراجع (مارشال) خطوة في اتجاهها وهو

يقول بهدوء : « ممرضة ردفورد ؟ »

لكنها أستدارت سريعاً وأتجهت إلى جناح

المرضى فهي لا تريده أن يذكرها الآن

بأن أمورها الشخصية لا يجب أن تكون

على حساب مصلحة أبنه أخيه. لم يكن

لديها شك في أنه سيعود ليقول ذلك .

أحست (جوليا) بسعادة عند نهاية اليوم

فقد كان يوماً مشحوناً مليئاً بالمواقف

الصعبة والمنعطفات الحرجة . وقد كانت

نهایته مثيرة بوصول (جراهام) وذلك
الموقف المستبد لهذا الفرنسي . شعرت
برغبة قوية في العودة لوالدها لتشاركه
فرحته بما أنجزه ولتري وجهه وقد أستعاد
أشراقه

وسعادته الهادئة التي ألفتها طوال حياتها
. غطت (جوليا) كتفها بوشاح ذي
خطوط حمراء ومرت من الباب الرئيسى
للمستشفى هابطة درجات السلم
الواسعة .

كان (جراهام) في أنتظارها وأقتحم
طريقها قبل أن تستطع الأبتعاد عنه .
قال (جراهام) : « (جوليا) يجب أن
أتحدث إليك ويجب أن أحصل على
فرصة لذلك، وجذب ذراعها ولكنها
انترعتها منه بعنف واستدارت إليه وقد
ملئها الغيظ والحنق وهى تقول: « كيف
تجروا على محادثتى فى هذا المكان حيث
يمكن لأى أحد أن يرانا؟ » ثم أضافت

بغضب مكتوم : « كيف تجرؤ على

محدثي أساساً بعد كل ما فعلته » .

قال (جراهام) بتوسل : « إنني لا زلت

أحبك يا (جوليا) هل تعلمين ما يحدث

لى كل يوم وأريد أن أضملك بين ذراعى ؟

إننى لم يتغير شىء من ناحيتى » .

فالت (جوليا) بقسوة وحدة : « لكنك

تغيرت فعلاً .. وأنت الآن مرتبط بأمرأة

أخرى وتستعد لحياة جديدة .. وأنت

على وشك الزواج » .

غمغم (جراهم) : « إنك لاتعرفينها يا
عزيزتى ... إن وجهها يشع بالأحباط .
ولم يكن لى رغبة فى ذلك ولكنها تمتلك
مقدرة فائقة على الأقناع . وكان على أن
أفكر فى مستقبلى إننى لم جد
جراحاً كبيراً يتولى رعايتى » .

قالت (جوليا) بتهكم : « وأبى أيضاً لم
يجد من مد له يد العون بداية طريقه»
وأمتلئت عيناها بدموع غاضبة خجلى

وهي تقول: « لقد عمل من أجل تحقيق
النجاح ولكنه لم يبع نفسه له » .

وهمس (جراهم) عندما رأى دموعها : «
(جوليا) « وأمتدت يده مرة أخرى
تلامس ذراعها ولكنه أبتعد فجأة عندما
أتاها صوت رابط الجأش أجفلت له
(جوليا) حتى كادت تقفز من مكانها وقد
أمتلاً وجهها بالأرتباك بينما غارت دموع
عينها .

ظهر (لوك مارشال) من حيث لا يدرون
وقال بصوت هادىء : « ها أنت هنا
أخيراً . لقد ظننت أنى لن أجذك على
الأطلاق ... ها هي سيارتي تنتظر قريباً
من هنا » . لقد بدا وكأنه يحلق فوقهم
بقامته الفارهة وقد أدرك الجو المفعم
بالألم الذي كان سائداً بينهما .
أمسك (مارشال) بذراع (جوليا) بثبات
بعيداً عن (جراهام) متجهاً إلى حيث
تقف سيارته . وتساءل مارشال برقة : «

هل تحضرين سيارتك الخاصة إلى

المستشفى... أنستي ؟ » .

ردت (جوليا) : « كلا ... فالأمر

لا يستحق . وفي العادة فإنني استخدم

المواصلات العامة » .

أحست (جوليا) أن جسدها يرتعد

ولابد أنه شعر بذلك إذا أحكم قبضته

حول ذراعها. قالت (جوليا) بصوت

صارم : « سوف استخدم المواصلات

العامة إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك ؟
« .

ورد (هارشال) بهدوء : « سوف آخذك
إلى المنزل » ثم فتح لها باب السيارة .
كانت (جوليا) مرهقة لدرجة أنها لم تقو
على الرفض. ظل (جراهام) واقعاً مكانه
يصوب نظرات البغض والعداوة إلى
ذلك الفرنسي دون أن يستطع الاعتراض
.

أبتعد (مارشال) بالسيارة دون أن تبدر

منه أدنى التفاته تجاه (جراهام أدامز)

الممتلىء غضباً . وبعد برهة ...

أستجمعت (جوليا) قواها لتسأله بتهيب

: «إنك إنك لم تكن تنتظرني في

الحقيقة .. اليس كذلك ؟ »

أجاب (مارشال) بلهجة تأكيدية : « في

الحقيقة ... كنت انتظرك » . فإنني لم

أستطع تمالك نفسي عندما لاحظت

أضطرابك عند لقاءك بهذا الطبيب في

المستشفى رغم أننى رأيتہ يطیع أوامرك
مثلاً يفعل الآخرون . ولقد رأيتہ ينتظر
بالخارج فدار بخلدی أن يكون فى انتظار
خروجك » .

قالت (جوليا) بجديّة: « شكراً لك
ياسيدى ولكنى لست بحاجة لحمايتى من
العاءلين بالمستشفى . كما أنه ليس من
عادتى أن أوافق على ركوب سيارات
أقارب مرضاى » .

ورد (مارشال) بنفس الجدية : « إن
مريضتك هي السبب الوحيد لوجودي
هنا ... يا آنستي ... إنني لا أريد أن
أسبب لك أزعاجاً وأتمنى أن تهدئي الآن
تماماً. لقد قمت بعمل الاستعلامات
عنك وتوصلت إلى أنك ممرضة فريدة
الطراز حسب ما يقولون فإن هذا هو
سبب ترقيتك كبيرة للممرضات رغم
حادثة سنك . وقيل لي أيضاً أن خطيبك
قد هجرك إلى فتاة أخرى ذات

أماكنيات أفضل . وإذا كان قد بدأ يعود

إليك فلانه

أدرك أن النقود ليست هي أهم ما
يبحث عنه الرجل لدى المرأة. وفي هذه
الحالة فإنه سيسبب لك أزعاجاً متواصلاً
... وأنا لا أنوى الوقوف متفرجاً بينما
يحدث لك ذلك .

صاحت (جوليا) بأستنكار: « كيف
تجرات على ذلك ؟ » .

ثم صمتت لمدة ثلاث ثوان كاملة لكي
تستوعب حديثة الطويل وتلتقط أنفاسها
في مواجهة هذا التدخل الصريح ثم قالت
: « كيف تجرأت على التطفل على
حياتي الخاصة والتدخل في شيء لا
يعنيك أنت على
الأقل » .

وأنطلقت كلماتة محتدة : « طالما أن
(جوستين) في رعايتك فليست لك حياة

خاصة فيما يرتبط بي ولقد أنقذت أنت
حياتها بالفعل » .

صاحت (جوليا) بعصية : « لقد فعل
والدى ذلك و... » ولكنة لم يسمح لها
بالاستمرار فقطاعها قائلاً :

« لقد كانت على وشك الهلاك . فقد
رأيت وجهك عندما رأيتهما بجبرتها لأول
مرة . ولم تحاول الممرضة الأخرى عمل
شيء بمجرد أن سلمتها لك . وكانت
قائعة بمحاولة إبقاء حالتها على ما هي

عليه. فهي لم تر ما رأيته أنت .
وتصرفت أنت بسرعة وشجاعة ومهارة.
لقد أنقذت حياتها وكان والدك مجرد أداة
أستخدمتها لمعاونتك .. وطالما الأمر
يرتبط بي فإنني أراك الأفضل و(جوستين)
تحتاج الأفضل . ولسوف أحملك من أى
مضايقة حتى لو تطلب ذلك أن أتبعك
أو أن آتى بك من أى مكان أو أن
أوصلك للمستشفى أو أن أستخدم
القوة لإيقاف ذلك الطبيب عند حده .

لن أسمح لأى شىء أو أى أنسان أن
يقف حائلاً ما بينك وبين (جوستين) .
كانت (جوليا) صامته تماماً. فلم يحدث
على مدى حياتها أن تصرف أحد تجاهها
بمثل هذا الأسلوب ولم يحدث أن رفعها
أحد إلى تلك المنزلة السامية بحيث لا
يعدو الآخرين إلا أن يكونوا ذوى
اعتبارات ثانوية لا أهمية لها . لقد عرفت
المشاكل بمجرد أن رأيت مسيو (مارشال)
ولكن لم يكن لديها تصور واضح لنوعية

هذه المشاكل ولم تتصور أن تتخذ هذا
الشكل .

خاطبته (جوليا) برفق : « مسيو
(مارشال) » .

لقد أصبح أسلوبها حذراً في مواجهة ثقته
الواضحة في قدراتها المتميزة .
وأستطردت بصوت هادئ :
« ليس لزاماً عليك أن تتخذ هذا
الموقف . وأنا أؤكد لك ... »

وقاطعها بحدة : « لا تخاطبيني كما لو
كنت مجنوناً يا آنستي . إن كل عالمي
يدور الآن حول طفلة صغيرة . وأنا
أعتزم العودة بها إلى فرنسا معافاة
صحيحة وسعيدة . وأى إنسان يحول ما
بينى وبينها سوف أطرحه بعيداً . وأنت
ضرورية لوجودها ومسئولة الآن عن
بقائها على قيد الحياة . وأنا عاقد العزم
على التعامل بلا شفقه مع أى إنسان
يضايقك» .

قالت (جوليا) بغضب متزايد : « إننى
مجرد ممرضة يا سيدى .
وصحح كلماتها بقسوة قائلاً : « أنت
ممرضة (جوستين) » وأدار نحوها وجهه
الغامض ورفعها بنظرة جعلتها تلوذ
بالصمت . ثم قال لها : « إلى أن تُشفى
(جوستين) فإنك تحت حمايتى .. ممرضة
(ردفورد) ... سواء رضيت أم أبيت ..
أننى أنوى مراقبتك ومراقبة كل من يجرؤ
على التدخل » .

لم تكن هناك فائدة فأذعنت في ذهول.
قد يمكنها أن توجه صفة قوية ولكنه
بدا قادراً على طرحها فوق ركبتية وضرها
على مؤخرتها ثم يطلب منها الذهاب
فراشها حتى تستيقظ بكامل نشاطها في
الصباح وتستطيع العناية (بجوستين) .
وبسبب إرهاقها الشديد شعرت بأحباط
تام تجاه هذا الموقف الذى لا يصدق .
لقد أبتعد (جراهام) كثيراً عن بؤرة

تفكيرها . وأحست (جوليا) بحيرة وتردد
ما بين الانفجار في الغضب أو
الانفجار في الضحك .
وقالت (جوليا) بهدوء: « ربما لم يتضح
لك الأمر يا مسيو (مارشال) فقد
أزعجتني أنت نفسك . وعلى كل ما
يعنيني الآن هو العودة للمنزل لأتناول
طعام العشاء مع والدي ونتحدث عن
(جوستين) ومشاكلها الطبية .

وصاح في لهجة رضا : « ممتاز إنك
ممرضة رائعة ... لقد كانت معجزة أن
تعز (جوستين) عليك . وعلى أية حال
لا داعي للقلق فسوف نصل للمنزل
مبكراً عن ميعاد وصولك بأستخدام
المواصلات العامة »

وردت (جوليا) بعصبية: « غير أن
سائقى المواصلات العامة لا يتدخلون في
حياتى محاولين التحكم فيها » أحست
أن الأمور قد بلغت حداً يجب الوقوف

عنده فما أن رأّت منزلهم بلوح على
مقربة حتى قالت : « ها نحن قد وصلنا.
لست بحاجة لأن تأخذني للعمل في الغد
يا سيدى فأنا أذهب مع والدي دائماً,
وأما في المساء فسأعود للمنزل بنفسى
وسأتعامل مع مشاكل الخاصة وأصد أى
طفلى يحاول أقترحام طريقى . طاب
مساؤك يا سيدى » .

تجاهل (مارشال) غضبها تماماً وقال
بإبتهاج : « كنت أتمنى لو انك ووالدك
تناولتما طعام العشاء معي الليلة » .
وأنفجرت قائلة : « أؤكد لك ياسيدى
أننا لا نود ذلك على الإطلاق . ويمكننى
الرد نيابة عن والدى أيضاً . لقد كان
يومنا مشحوناً بالعمل . كما أن رحلة
عودتى للمنزل كانت مليئة بالآثار
والقلق . ومرة أخرى : طاب
مساوك يا سيدى » .

وأحس (مارشال) أن كل ما يحدث يدعو
للضحك بينما لم تجده (جوليا) كذلك .
ولم تجد داعياً لأن تقص ما حدث على
والدها فتوقفت قليلاً تلتقط أنفاسها ثم
دخلت المنزل . وبادلت والدها الأبتسام
في سعادة . كانت أمسية سعيدة رغم أن
طيف مسيو (مارشال) كان يترأى أمام
عينها كلما تذكرت موقفه المحير . وبفضل
خبرتها أستطاعت تجاوز ذلك .

بدا (لوك مارشال) وكأنه يتواجد في
المستشفى باستمرار لمتابعة تقدم حالة
أبنة أخية وللتأكد من التزام (جوليا)
تماماً بالقواعد . ولم يكن شيئاً مريحاً على
الأطلاق . وكانت حالة (جوستن) عادية
بالمقارنة بمشكلاتها . كانت لا تكاد تتحرك
فلم تستعد بعد وعيها تماماً . ورغم انها
استطاعت التعرف على عمها بوضوح
فلم تبذل أى جهد للحديث معه.

فى معظم الأيام كان (لوك مارشال) يغادر

المستشفى مقطب الجبين ولا تنفرج

أساريه إلا عندما يأتى أحياناً على نحو

مفاجىء فيجد (جوليا) بجوار فراش

الطفلة الصغيرة تهمس تحاول محادثتها

بصوت هامس وقد أمسكت بأصابعها

الصغيرة الواهنة . ولم تكن (جوستين)

تحاول الإجابة .

وأخيراً أستعادت (جوستين) وعيها

وكانت السعادة ترفرف فى عينيها عندما

تقص (جوليا) عليها بعضاً من القصص
الممتعة التي كانت تقصها على (لوسى)
ولكن لم تضحك (جوستين) بصوت
مسموع على الإطلاق .
ومن الناحية الطبية فقد كانت حالة
الطفلة تتحسن على نحو ممتاز وكان (بول
ردفورد) يراها أكثر من مرة في اليوم
الواحد . لقد عاد إلى حياة العمل وبدأ
كل المستشفى مبتهجاً بذلك . كات يري
في (جوستين)

حالته الخاصة وتعويذته السحرية .

أحست (جوليا) ببعض الحيرة فقد أصبح

بإمكان (جوستين) أن تجلس وتتناول

طعامها كما تم تخفيض العلاج أقل ما

يمكن ورغم ذلك لم يصدر عنها أى

صوت سواء كان ضحكاً أو بكاءً أو

حتى كلمة واحدة .

فى عصر أحد الأيام جاء (بول ردفورد)

لرؤيتها فسأله (جوليا) عن سر حالتها

هذه ولكنه أنصرف إلى غرفة المكتب

بأدى القلق وبدون أن يجب لحقت به
جوليا متسائلة : « ماذا حدث؟ »
قال (ردفورد) فى صوت متحير : « لأ
شئ على الإطلاق يا عزيزتى . فقد
قمنا بعمل الفحوصات والأشعة السينية
على عمودها الفقرى ولكن لم نجد ما
يفسر هذه الحالة . فلا يوجد أى أثر
للإصابة من حادث السيارة » .
ثم أضاف فجأة : « إننى لا أفترض
وجود خطأ ما قبل هذه الحادثة . فنحن

إذن لا نتعامل مع طفلة بكماء أليس
كذلك؟ كما أننى لست متأكداً إذا ما
كان (مارشال) سيخبرنا بشيء كهذا.
فهو رجل غريب
على أية حال .

قالت (جولبا) بصوت عميق : « نعم هو
رجل غريب فعلاً » . وفى الواقع كانت
اهميته قد بدات تتزايد فى عقلها . أهمية
غامضة ولا تبدو لديها المقدرة على

دفعها . لقد خفت عنها بعض من

تعاستها بسبب

(جراهم) مما جعلها لا تتردد في

أستهجان محاولاته المتعددة للأقتراب

منها. عندما كانت بالمستشفى . وتكاد

(جوليا) الآن تقضى كل دقيقة من وقت

فراغها تفكر في الطفلة أو في عمها.

قالت (جوليا) : « أعتقد أنه قد يقول لى

شيئاً فهو يرانى ممرضة ذات قدرات

خاصة ولا أعتقد أنه سيحجب عني

معلومات هامة» .

قال والدها: « كلا » ثم أطلق ضحكة مفاجئة وهو يقول : « لقد حدثني عنك ولكنه لم يكن واضحاً تماماً وقد كنت عنه أنطباعاً وفضلت الأسترشاد برأيك خلال فترة وجود (جوستين) » .

قالت (جوليا) بإنفعال : « معك حق فهو أقرب ما يكون إلى الرجل المستحيل . وعلى أية حال فسوف أتحدث معه

بخصوص (جوستين) عندما يحضر عما

قليل « .

قال والدها : « إذن فلتخبرني الليلة يا

عزيزتي » ثم ألقى نظرة سريعة على

الطفلة الصغيرة من خلال النافذة

وأبتسم لها ملوحاً بيده . وخنق

قلب (جوليا) وتسارعت ضرباته عندما

رأت الطفلة تبتسم ببطء ثم تلوح بيدها

..

همس (ردفورد) : « حسنًا » ثم تبادل
مع أبنته نظرة تنم عن فهم مشترك .
قال والدها بهدوء : « (جوليا) ...
عليك معرفة شيء من ذلك الفرنسي
الغريب ... لاتدعينه يماطل في ذلك
فهناك . شيء بادی الخطأ في هذا الأمر
ومن الأفضل أن نعرفه بأسرع ما يمكن »

.

وبمجرد وصول (لوك مارشال) أقتادته
(جوليا) إلى غرفة المكتب وسألته بأهتمام

: « أنا لا أعتقد أن (جوستين) تتحدث

الإنجليزية يا سيدى » .

فأجابها وقد تركزت عليها عيناه : « هى

تحدثها فى واقع الأمر » .

قالت جوليا بعناية : « إذن فهى

تتحدث بالفعل » وتجهم وجهها وهى

ترى حاجبين يرتفعان وقد كسى الترقب

وجهه .

سأل (مارشال) بحدة : « ماذا تريدین
قوله بالضبط ؟ » وكأنه قد قرر اقتحام
الأمر مباشرة.

ردت (جوليا) : « أريد أن أسألك إذا ما
كان هناك شيء بخصوص (جوستين) لم
تخبرنا به... فهل هي طبيعية تماماً يا
مسيو (مارشال) ؟ » .

أجابها برود : « نعم كانت طبيعية تماماً
« وضافت عيناه بتریب وهو يتساءل :
« إذا كانت غير طبيعية الآن فإن

البروفيسور (ردفورد) لا يكون جراحاً
عظيماً كما تقول سمعته. فماذا حدث لها
بالضبط ؟ » وانتفض
مارشال واقفاً بقامته المريدة وقد أمتلاء
وجهه بالتهديد لكنه لم يكن من السهل
تخويف (جوليا) على الرغم من أن قلبها
دق دقة مفاجئة مثيرة .

قالت (جوليا) : « هي تخضع الآن
لأجراء الفحوص وعمل الأشعة السينية
. ومن الوجهة الطبية فإن حالتها ممتازة ,

ورغم ذلك فانا اعتقد ... فنحن نعتقد
إما انها لا تستطيع الكلام وإما أنها لا
تريده « .

ثبتت نظراته عليها في أنزعاج ثم أستدار
إلى النافذة الزجاجية وأزاح الستار جانباً
وجمدت نظرتة المرتعشة تحمق في الطفلة
الصغيرة الراقدة في سكون .

قال (مارشال) في دعر: « لقد كنت
أعرف ذلك ولم أصدقك وكنت أنتظر أن
تخبرونى به . من الواضح أنك تتخيلين

أنها لم تكن طبيعية قبل الحادثة وأننى قد
كتمت عنكم بعض الأمور. لكننى لم
أفعل . كانت كما أخبرتك منذ البداية
ممتلئة بالحوية والأنطلاق زلفة اللسان .
وأستدار (لجوايا) بعينه الجامدين وهو
يقول: « إننى لا ألومك بل أكرر أنك
كنت فى غاية اليقظة . إذا كانت
(جوستين) فد فقدت القدرة على النطق
فإن ذلك يرجع لخطأ ما أثناء الجراحة .

فأين أجد البروفيسور (ردفورد) لا بد من
مقابلته فوراً . «

قالت (جوليا) بحدة : « لن يمكنك عمل
شيء » . وأنتفضت بغضب في مواجهته
وهي تقول : « هل من عادتك يا مسيو
(مارشال) أن تلقى اللوم على الآخرين ؟
. لقد أعطت الاختبارات نتائج واضحة
وبكل المقاييس فقد تم شفاء (جوستين)
ولم يوجد أثر لحادثة السيارة » .

قال (مارشال) بأهتياج : « هناك شيء مفقود . إنه خطأ وقع بسبب عدم قيام والدك بأجراء عمليات جراحية لبعض الوقت » .

صاحت جوليا بغضب : « إن والدي لا يخطيء » . (جوليا) كل قواعد وانضباط العمل بالمستشفى لدى سماعها هذا الهجوم على والداها . ولكن لم يظهر (مارشال) أى بادرة للتراجع .

فقال بصوت مستفز: « لقد أرتكب
خطأً مأساوياً ذات مرة ، وكل منكما
يدفع ثمنه منذ ذلك الوقت » .
لو أن (مارشال) صفعها بقوة فلم تكن
تستشعر كل ذلك الألم الرهيب الذي
أحسته لدى سماعها كلماته هذه .
شحب لون وجهها تماماً حتى صار في
بياض الطباشير وكدت فيه عيناها
الزرقاء العميقة في أستنكار مذهل
وهمست :

« كانت (لوسى) مصابة بورم فى المخ
غير قابل للشفاء . وكان والدى يعلم
بذلك فكان اليأس فقط هو الذى دفعه
لأجراء الجراحة . لقد وضع كل اللوم
على عاتقه لا لسبب سوى أننا كنا نحبها
. »

وأنسكبت دموعها تغطى وجهها ولم
تبذل أى محاولة لإيقافها وفى هذه الموجه
من التعاسة نسيت المستشفى وواجباتها
وذلك الرجل الجاف.

تقدم (مارشال) نحوها هامسًا : «

سامحيني يا عزيزتي ... انني إنسان

هجمي » وجذبها بين ذراعيه ووضع يده

خلف رأسها يدفعه إلى صدره وقال : «

لقد ناضلت من أجل حياة أثيرة لدى ولم

أقدم بالمقابل سوى الآلام أرجوك يا

(جوليا) سامحيني .

قالت (جوليا) بصوت مهتز : « أسمى

... ممرضة (ردفورد) » ونصبت قامتها

مبتعدة عن ذلك الأحساس الرهيب
بالراحة الذى سرى بداخلها سريعاً .
قال (مارشال) بهدوء : « لم يكن أسمك
كذلك للحظة قصيرة » : ومد يده
بيضبط وضع غطاء رأسها الأبيض
المزركش وقد أشمئزت عيناه من همجيته .
قال لها : « الآن وقد أستعدت حالتك
العادية فدعيني اسألك سؤالاً ماذا
سنفعل بخصوص (جوستين) ... ممرضة)
ردفورد) ؟ » .

قالت (جوليا) بلهجة حادة وهى
تكفكف دموعها : سوف نجرى لها
فحص شامل . بطريقة منهجية تحليلية
وهى لا تزال على فراشها . ولن نصب
غضبنا على أحد حتى يأتى ذلك الوقت
« .

ووافقها قائلاً : « وأنا أيضاً سأحاول ألا
أفعل ذلك ». ولأول مرة رأت (جوليا)
فى عينيه ابتسامة خفت حزنها المفاجيء
ولكن لم تخذعها ولو للحظة واحدة .

فأمامها رجل جاف همجي يبدو واضحاً
أنه أعتاد إصدار الأوامر وتعود أن تطاع
أوامره . هو يستلزم الكثير من التعامل
الحذر ولكنها ليست متأكدة من قدرتها
على ذلك . وسيتضح ذلك بمرور الوقت

.

أخبرته (جوليا) أن عليه الذهاب
لمشاهدة (جوستين) التي كانت قد
بدأت تتقلب في فراشها .

ورراقبتهما (جوليا) من خلال النافذة
الزجاجية . بمجرد دخوله أمتدت إليه يد
الطفلة وأرتسمت إبتسامة على شفيتها
بينما رفعت وجهها لتقبله . لقد كانا
غريبين مليئين بالأسرار والغموض .
أزاحت (جوليا) الستارة لتغطي النافذة ثم
غادرت . غرفة مكتبها متجهة إلى البهجة
المشرقة في جناح مريضات الجراحة . لقد
بدا لها أن وجود كل من (مارشال) و
(جوستين) غير متوافقاً مع ما يحيط بهم .

فهما أجنبيان ويعيشان في عالم صعب
الأختراق. وعلى أى حال فيجب أن تجد
مدخلا لهذا العالم وإلا فقد لا تستطيع
(جوستين) الكلام مرة أخرى. أحست
(جوليا) عندئذ بأتهام داخلي عميق يدعم
أحاسيسها .

(جراهام) موجوداً في جناح مريضات
الجراحة وقد مرت به ولم تكذ تلحظ
وجوده . كان رجلاً آخر يشغل تفكيرها.
رجل غامض صعب المراس ذا مشكلة

بالغة الصعوبة . ولم يكن لديها أدنى شك
فى أن (لوك

مارشال) يتوقع منها أن تحلها له.
مرة أخرى كان (مارشال) ينتظرها عند
مغادرتها المستشفى ولكنها كانت تتوقع
ذلك هذه المرة . وبدون أى تردد ركبت
سيارته وهى تدرك تمامًا أنها إذا كانت
ستقترب من (جوستين) بحيث يمكنها
مساعدها فيجب أن تقترب أولاً من
عمها .

وبينما أخذوا طريقهم للمنزل قال لها
(مارشال) : « يجب أن يتضح لك أننا
لا بد أن نتحدث حديثاً خاصاً . فأنت
تكونين مشغولة جداً في المستشفى ...
وأنا اطلب منك مرة أخرى أن نتناول
العشاء معاً » .

ردت (جوليا) بهدوء وأتزان « حسناً »
وكتمت ضحكتها عندما لمحت دهشته
لقد كان نصرًا صغيراً لا يستحق أن
يفاجيء مسيو (مارشال) .

وسألها باهتمام : « الليلة ؟ »

أجابت (جوليا) : « نعم ياسيدى

فسأكون مستعدة فى الساعة والنصف

.. إذا أمكنك المرور على » .

وسأل (مارشال) بشغف : «

والبروفيسور؟» ثم أضاف : « يمكننا أن

تناول حديثاً مشتركاً » .

ردت (جوليا) بجدية : « كلا ... فوالدى

كان لديه الكثير من العمل فى نهاية اليوم

وسيكون متعباً جداً » .

وسألها بلطف : « وأنت الأخرى كان
لديك الكثير من العمل طوال اليوم ..
أفلا تشعرين بالأرهاق؟ .. إن ماتقصدينه
... ممرضة (ردفورد) هو أنك لن
تسمحى لى بالأقتراب من والدك بدرجة
كافية لمساءلته . وأنا أتفق معك . فأنت
حارسة (جوستين) . ولا أتوقع ألا
تكونين كذلك مع الآخرين وخاصة
والدك . فهذه هى أخلاقك ...

وسيكون لى الشرف أن أتناول العشاء
معك » .

قالت (جوليا) بجدية : « أمن أجل
الحديث عن (جوستين) فقط يا سيدى .
سيكون ذلك مضيعة للوقت إذا لم نصل
إلى شىء مفيد » .

قال (مارشال) بتهكم . « لن أعتبره وقتاً
ضائعاً يا آنستى ... لقد قلت أنه
سيكون شرف لى وأنا أعنى ذلك » .

لم تكن واثقة من التصرف الأمثل في هذا
الموقف لكنها كانت ترى أن أفضل
أسلوب لمعاملته في أى حال هو
الأسلوب الجاد . عندما وصلا للمنزل
غادرت السيارة بعد أن أومأت له
مبتسمة . وبمجرد دخولها المنزل
أحست بسعادة وهى توصلد خلفها
لتفصله عن حياتها للحظة .

روت لوالدها بأختصار ما حدث أثناء
مقابلتها لذلك الفرنسي في المستشفى ثم
أخبرته بميعاد خروجهم لتناول العشاء.

سألها والدها بهدوء وهو يرقب وجهها :
« أترك تسيرين لنهاية المطاف كالعادة
يا عزيزتى ؟ » كانت تعرف ما يقصده
فهي دائماً تستغرق في عملها إلى أقصى
الحدود . لقد كان ذلك الالتزام التام
تجاه الحياة هو الذى أوصلها لما حدث

مع (جراهام) . لقد عانت معاناة مريرة

وكان والدها يعرف ذلك .

قال والدها برقة : « ليس عليك سوى

الحذر من مغالطة نفسك » .

ردت (جوليا) : « إن هذا الفرنسي هو

شيطان وسيم . وهو أقوى رجل رأيته » .

ثم أردفت بصوت عابث : « إنه مجنون

يا أبي » . ضحك والدها قائلاً : « إذن

فهذا شيء طيب » ثم أستطرد قائلاً : «

تحدثني إليه بهدوء وأهتمام » .

لقد حاولت (جوليا) ذلك بالفعل . وهى
تكاد تقترب منه أكثر عندما تثير غضبه
رغم احساسها بأنها لم ترى سوى النذر
اليسير من هذا الغضب ... وبالتأكيد
هناك الكثير يموج فى الأعماق .

الفصل الثالث

لم تكن بحاجة إلى اقتراح مكان لتناول
العشاء فقد أخذها من تلقاء نفسه إلى
أفضل مكان . كانت تشعر بالسعادة
لوجود الكثيرين ممن يعرفونها ويعرفون
(جراهام) . كان عزاءً بسيطاً أن يرونها
مع رجل وسيم جداً سيقولون أنها لا
تتشبه بحب ضائع.

كان (لوك مارشال) يعطى أنطباعاً
بالحماية القوية وبدا وكأنه على استعداد
لأن يهدم المكان على من فيه إذا حدث
وجرححت (جوليا) نفسها عن طريق
الخطأ . كانت (جوليا) تعرف أنه إنما
يحرس حارسة (جوستين) ولكنها أدركت
أن الناس سيكونون أمتتاجاتهم الخاصة

.

كانت سعيدة لأنها أحسنت اختيار
ملابسها . فمنذ فشل خطوبتها

(لجراهام) وهى تكاد تنسى نفسها تماماً .
لم تكن ترتدى سوى الجينز فى المنزل ثم
زى العمل فى المستشفى . لقد نسيت
إلى حد كبير الأستمتاع بأنوثتها .
إنها تمتلك الكثير من الملابس , وقد
أرتدت الليلة فستاناً حريراً أصفر
شاحب زُين نصفه الأسفل برسومات
لأوراق الشجر . كان حزام خصرها
متماشياً تماماً مع تلك الأوراق الريشية
الشكل . وتركت شعرها مسترسلاً على

سجيته يلمع في الأضواء بلونه الذهبي .
كانت عينا (لوك مارشال) تتفحصان
جسدها بإعجاب لم تتوقعه .
قال (مارشال) مبتسماً : « يسعدني أن
أكون بصحبتك يا آنستي »
وشكت أن تكون بسمته سخرية مجردة .
لكن نبرته جعلت وجنتيها تتوردان خجلاً
غمرتها السعادة عندما وجدته خلفها
يسحب مقعدها برفق ويساعدها على

الجلوس . لقد تركزت عليها الكثير من
العيون ولكنها

بالتاكيد لم تكن تريد أن تجعل من نفسها
مشهداً لافتاً للنظر .

جلس (مارشال) في مواجهتها وجاءهما
النادل في الحال . كان (لوك مارشال)
رجلاً فريداً وكانت هي تسترق النظر إليه
من بين أهدابها الثقيلة . بدا عليها
الأرتباك بسبب الأسلوب الذى بدأ يعبر
به عن أعجابه بها . بدا هادئاً غير متوثر

وكانهما التقيا في لقاء معتاد وليس لقاء
للحديث عن أبنه أخيه وتحسن حالتها .
كان وسيماً جداً . وكان يرتدى بدلة
رمادية داكنة وقميصاً أبيض بدا ساحراً
إزاء وجهه الداكن ، وأنسدل على صدره
رباط عنقه الذى عقد بعناية . كادت
صرامته وحدته تتلاشيان . وبدا أقل
تحفظاً بعيد عن
المستشفى ومشاكله .

صرفت بصرها بعيداً قبل أن يلحظ
تفرسها فيه وعندما رفعت عينيها كانت
أنفاسها تضطرب في فزع .
في الناحية الأخرى من القاعة كان يجلس
(جراهام) و (جلوريا) ووالدها ووالدتها
يتناولون . عشاءهم وقد تركزت عيونهم
عليها وعلى ذلك الفرنسي الوسيم .
وهمس (مارشال) : « أوه ... لقد وقع
بصرك عليه ... أنا أسف لذلك يا
آنستي لم تكن لدى أى فكرة أنه سيكون

هنا الليلة. وإذا شئت فيمكننا أن نلغي
ما طلبناه للعشاء ونغادر المكان فهناك
أماكن أخرى يمكننا أن نتناول فيها
عشاءنا».

قالت (جوليا) : « كلا فلا أهمية لذلك
على الإطلاق » وتنبهت إلى حديثها
وأضطرابها فأبتسمت (لمارشال) وهي
تقول : « لا يوجد أى داعى لأن »

وقاطعها قائلاً : « لا أريد أن أسبب لك
حرجاً. فقد كنت مخطوبة له وهو الآن
على وشك الزواج من هذه الفتاة » .
وأظلمت عيناها غضباً وهي تقول بحنق :
« أعلم أنك كنت تستقصي أخباري
ياسيدي كما قلت لي من قبل » ثم
أضافت بصوت هادئ : « إنني أفترض
أن ذلك كان لتحدد مدى ملاءمتي
لرعاية ابنة أخيك » .

قال (مارشال) وهو ينظر إليها محذراً : «
أنت مضطربة ولذلك فساغفر لك هذا
التعليق » ثم تابع قائلاً : « لا بد أنك
تعلمى أن هناك أحاديثاً تدور في
المستشفى وقد عرفت أنك إنسانة محبوبة
جداً على عكس الطبيب (أدامز) .
ويبدو أن عودة والدك لأجراء العمليات
الجراحية قد رفعت من معنويات الجميع .
إنني أفاجأ دائماً بأن الناس يتخيلون أن
الآخرين مصابون بالصمم , إنني لم

أستقص أنباءك يا انستي . كل مافعلته
أننى أنصت لأحاديث الناس .
كانت (جوليا) متنبهة تماماً للنظرات
المحيطة بها . وقالت بصوت محبط : « لقد
فوجئت بأنك تستمع للقليل والقال يا
مسيو (مارشال) » ,
قال (مارشال) بهدوء : « إننى مهتم بك
يا آنسة . وبمجرد ذكر أسمك فإننى
أنصب أذناى إرهافاً للسمع » . وعندئذ
أمتدت يداه برفق تحيطان بيديها فوق

المائدة ثم أطبق عليها بشدة عندما
حاولت سحبهما وقال: « دعيهما ...
فلتقدم لهم شيئاً تدور حوله أفكارهم ». .
وعندما رفعت إليه عينيها كان يتسم
ساخراً. وعلى الرغم من كل شيء
أحست وكأنها تضحك . منذ دخول
(لوك مارشال) و (جوستين) حياتها
وجدت أن تفكيرها في (جراهام) وغدره
قد تراجع إلى خلفيات عقلها . كانت
تعلم أنه إنسان تافه تماماً. وقد كانت

عاطفتها. هي السبب الوحيد الذى
جعلها تفكر فيه . لقد أسدت (جلوريا)
لها معروفاً بالفعل . وأحست بقلبها
يرتفع كأن به مسا من السحر .
كان شيئاً سهلاً بدرجة مذهلة أن تركز
تفكيرها على (لوك) وتحمل الآخرين . إنه
رجل قوى يمكن الاعتماد عليه . أبقى
(مارشال) يديه القويتين فوق يديها حتى
أنصرف عنها الآخرون فسحب يديه
وغمغم قائلاً : « فتاة بارعة » .

وأبتسمت عيناه لقدرتها على أخراج
نفسها من حالة الغضب والخرج ثم قال
: « لتكلم عن (جوستين) ... فماذا
تعرفين عنا؟ »

ردت (جوليا) بسخرية : « لاشيء
تقريباً » ثم تابعت وهي تنظر إلى وجهه
النحيل : « إنني لا أنصت للقليل والقال
« .

صاح (مارشال) مستحسناً ملاحظتها :
« أحسنت ... يا آنسة » ثنى شففيه

مبتسماً ثم أضاف : « إذن فيها أنت مرة
أخرى لا تبدين اهتماماً بي بينما أؤكد أنا
اهتمامي بك » .

ورأت (جوليا) أنه لا يمكن أن يكون
سوى رجلاً فرنسياً بنظرات عينيه وشفثيه
الرشيقتين ولون بشرته الخفيف وثقته
بنفسه ... كل ذلك ينبىء عن تميّزة . لا
يزال هناك شيئاً آخرأ أكثر غموضاً
ولكنها لا تستطيع أن تضع يده عليه .

وأستمر (مارشال) قائلاً : « قد نبدو
لإنسان مثلك عائلة غريبة . فهناك
(لوسيل) زوجة أبي وأختي غير الشقيقة.
(مارسي) وأخيها (فيليب)» وصمت
برهة قبل أن يكمل : « كان هناك أيضاً
أخى (جوليس) وزوجته
(دايردرى) وهما والدا (جوستين) وقد
توفيا في حادثة السيارة التى حدثت
عنها » .

وقطب جبينه للحظة فحبست أنفاسها .
كان فعلاً رجلاً صعب المراس وقد بدأ
مظهره الصارم الذى ميزه منذ البداية
يعود إليه مرة أخرى.

وتابع (مارشال) قائلاً : « إنها أسرة
غريبة متنوعة العناصر . كان من الصعب
دائماً (لجوستين) أن تعيش وتكبر وتتسع
مداركها . ومنذ ولادتها كان الجميع
يدللونها ماعدا والدتها فقد كانت سليطة
اللسان . ومنذ

الحادثة أحاطت الكآبة بالطفلة . فقد
كانت (جوستين) رقيقة لدرجة لم تتمكنها
من إخفاء مشاعرها رغم أنها حاولت
ذلك .

وقاطعته (جوليا) : « هل لا حزم أى
صعوبة فى مقدرتها على الكلام بعد
الحادثة عندما ظننتم أنها بخير؟ » لقد
أضطرت إلى مقاطعته بعد أن خالجه
أحاساس بأنه قد نسى الدافع لهذا اللقاء
. بدا عقله غارقاً فى الماضى بينما كان

ينظر لها بعينين لا تريا شيئاً. من الأفضل
لها أن تبقى في الحاضر فهي لا تحب
التدخل في شئونه الخاصة بأى حال .
كانت متأكدة أن ذلك سيكون مؤلماً .
رد مارشال) : « كلا ... لقد كانت
لطيفة جداً .. وبالذات معى ولم أفاجأ
بذلك . فأنا أشبه (جوليس) إلى حد كبير
فكأنها كانت تجد في تذكار دائم لوالدها.
كانت تتحدث بطريقة جيدة وطبيعية .
ولكننا افقدنا ثروتها هذا شىء طبعى

بالنسبة لطفلة فقدت والديها .. ألا ترين
ذلك ؟ »

وفجأة بذا كأنه ينظر للماضى وأخذ
يتنهد بعمق ثم ضحك فجأة وقال برقة :
« كان لدى قليل من الوقت لحماية
(جوستين) من أسوأ أنواع الكآبة التي
يسببها الكبار » . ثم ضاقت عينيه وهو
يقول : « قد لا يكون
لديك شك في أن سبب الكآبة هو أنى
كبير هذه العائلة » .

وأحمر وجهها خجلاً ثم بدت عليها
الجدية وهى تقول : « لم أفكر بشيء
كهذا » .

قال (مارشال) بلهجة حادة : « ربما
يكون من رأيك ان (جوستين) لن
تحدث مرة أخرى. فهل تنصحين
بعرضها على أخصائين آخرين لأجراء
المزيد من الفحوص ؟ » .
قالت (جوليا) بحماس : « كلا .. دعنا
نتنظر بعض الوقت . أنا أريد أن أحاول

أولاً.» كانت تعرف أنه لا يتفق إطلاقاً
مع قواعد العمل أن تقول ذلك ..
وأضافت بسرعة وهي تلمح عينيه
تتركزان على وجهها المتورد
خجلاً : « على أية حال هي لا تزال
مريضة بدرجة لا تسمح بنقلها » .
لم تكن تحب نظراته المتأملّة على الأطلاق
فحاولت تغيير مجرى الحديث قائلة : «
أين تعيش بالضبط يا سيدى ؟ » لم تكن
ترغب فى المعركة بقدر ما كانت ترغب

في صرفه بهذا السؤال عن إنعام النظر في
وجهها. عند ذكر بلده بدا عليه التفكير
العميق وركز عليها كل انتباهه فملأها
قلقاً. ثم قال بهدوء وفخر:

« إنا يا آنسة من (كامارجو) » .

صاحت (جوليا) : « أوه ... إنها بجنوب
فرنسا. أليس كذلك ؟ »

أجاب (مارشال) وهو يوجه لها نظرات
مثيرة نابضة بالحياة: « نعم ... إنها مكان
غريب منعزل . بلاد تتكون من السماء

والبحر. وأهلها ليسوا كباقي البشر ولا

يحبون أن يكونوا مثلهم » .

قالت (جوليا) ساخرة : « أنا أصدق

ذلك تماماً يا مسيو (مارشال) .

وضحك فجأة فأضاء وجهه مرح حقيقي

حواله إلى شخص آخر. شخص جذاب

بدرجة خطيرة. وسألها :

لماذا لاتناديني (لوك) ؟ فنحن نتناول

عشاءنا معاً خارج البيت كما أنه إسمى

على أية حال » .

ردت (جوليا) : « لم تطلب منى أن
أدعوك باسمك الأول ... وأنا لا أحب
أن أتصرف بوقاحة »
وضحك برقة قائلاً : « وقاحة ؟ » ثم
أضاف : « وأنا أعتقد يا آنسة أنك ند
لى بمخاوفك الأنثوية الرقيقة وبانفجارات
غضبك المتحفظة . إننى لم أعرف على
الأطلاق من ذاك الذى أواجهه » .

أندفعت (جوليا) قائلة بقوة : « لم تكن
لدى أى شكوك بهذا الصدد يا سيدى »

.

قال برقة : « إننى أحذرك » .
ردت (جوليا) : « هكذا أنت ... أجنبي
غريب تمامًا » وأحست بسعادة لمجىء
النادل في هذه اللحظة .

قال (مارشال) مؤكداً بصوت رقيق : «
هذا لأنك لا تعرفينى . وسيتغير كل
ذلك » ثم ختم كلامه قائلاً ببرود : «

دعينا نتناول الطعام . فمن الأفضل أن
يكون الحديث في الأمور الهامة بعد تناول
الطعام » .

جاش بداخلها أحساس بالخديعة والوقوع
في الشرك ولم تعرف سبباً لذلك . فهي لم
تقابل رجلاً كهذا من قبل . ومثلما تفعل
الحيوانات ... استشعرت (جوليا) رائحة
الخطر ولكن لم تعرف من أى اتجاه يجيء
أما .

(لوك مارشال) فقد أنعمك في طعامه

وتجاهلها .

أستأذنت لإصلاح زينتها . وبينما كانت

عائدة كان (جراهام) يروح ويجيء أمام

البار ثم خف مسرعاً وأعرض طريق

عودتها لمائدتها وقال لها بغضب : ساخر :

« أرى أنك تجيدين السعى لمصلحتك

هل يعرف أنه الاختيار الثاني ؟ » .

ردت (جوليا) بنفس السخرية : « وهل

تعرف (جلوريا) ؟ . »

قال متوتراً : « هـى لا تبدى الكثر من
الأهتمام ما دامت قد نالت ما تريد » .
برقت عينا (جوليا) الزرقاوتين وهى تقول
: « وكذلك أنت مادامت هناك ثروة »

.

همس قائلاً : « أنت امرأة عاهرة » .
ردت (جوليا) : « الآن فقط ...؟... من
فضلك فهناك من ينتظرني الآن » .

قال (جراهام) مهتاجاً : «إننى أرى ذلك
إنه يتقلب فى نعيم الثراء ولكنه صلب
كالسمار» .

قالت (جوليا) : «أوه هل لك مخبر
خاص يتبعنى؟» ثم أضافت بصوت
عذب : «يا للأسف ... إننى لم أكن
أعرف بذلك عندما كنا مخطوبين ... لك
أن نتخيل ما كان سيحدث لو عرفت
ذلك؟» .

رد (جراهام) بصوت كئيب وقد تركزت
عيناه على وجهها الجميل : « في واقع
الأمر فإن والد (جلوريا) يعرفه . السيد
(مارشال) يربي الثيران والخيول . ووالد
(جلوريا) يعرفه لأنه يربي الخيول أيضاً إن
(مارشال) له نفوذ كبير في فرنسا .
القت (جوليا) نظرة سريعة على (لوك)
وهي تقول : « إنني أتخيل أن له نفوذاً في
أى مكان » أحست أن هناك جواً

خطيراً من القلق يحيط بالوجه الوسيم

فسرت رعدة في جسدها.

قال (جراهام) في صوت لطيف: « إنه

سيذهب » ومد يده إلى ذراعها وبدأت

أصابعه تلاطف أصابعها كما فعلا كثيراً

من قبل . أحست بالغضب الشديد

يغمرها ولكنه كان مصحوباً بإحساس

ذاهل بالسعادة لا تعرف مصدره . فلم

يبد عليها أى أنفعال كأن من يلمسها هو

أحد الغرباء . لقد شهدت حياتها منعطفاً

جديداً في اتجاه آخر. ولم يحرك

أحاسيسها أى شىء مما فعله (جراهام) .

قال (جراهام) منفِعلاً : « إننى لا زلت

أريدك يا (جوليا) وعندما ينتهى كل هذا

الأمر فسوف نعود كما كنا » .

قالت (جوليا) وهى تبتسم بسخرية : «

لن يكون ذلك بينما (جلوريا) تراقبنا

بشدة مثلما تفعل الآن . إذا لم تبعد يدك

فإن (لوك) سيأتى إلى هنا. وكما قلت أنت

فهو رجل صلب » .

سحب (جراهام) يده سريعاً وعادت
(جوليا) إلى مائدتها. ونظرت مبتسمة
(للك) الذى نهض يساعدها على
الجلوس.

قال (لوك) بصوت أجش وقد أمتلاً
وجهه غضباً : « إنه لن يدعك وشأنك
على الإطلاق » ثم أضاف وهو يحملق
فيها : « إنه يتمنى امرأتين »
وتورد وجهها خجلاً عندما أسترسل
يقول : « لقد جرى وراء المال ولكنه لا

يستطيع التخلي عن جمالك. ولسوف
أتحدث إليه فلا أريد أن يحدث لك أى
ضيق » .

كانت عيناه تمتلئان بالأنفعال والغضب
الشديد . حدثت فيه (جوليا) للحظة
بإرتباك تام ثم سألته فى هدوء : « هل لنا
أن نذهب الآن يا مسيو (مارشال) ؟ »
.

وأثارة سؤالها الرقيق فى الوقت الذى كان
يتوقع فيه الأزعاج فصاح قائلاً : «

أوه.. ها أنت تعامليني على أننى إنسان
معتوه ... من الواضح أننى قد سببت
لك ضيقاً».

قالت (جوليا) بدون أن تنظر إليه : «
يمكنك أن تقول ذلك»

والتقطت حقيبة يدها ونهضت واقفة
وهى تقول : « سوف أساعد (جوستين)
ولكننى لن ألقى أوامر بخصوص ذلك.
إن الحماية التى هددت بفرضها على
سوف تحدث أضراراً شديده مالم تتحكم

في نزعة السيطرة هذه . دعني أذكر بأني
لا أعرفك ... وبالتحديد لا أرغب في
معرفتك وكل ما يهمني هو سعادة
(جوستين) .»

أرتعشت شفتاه ثم أرتسمت عليها
أبتسامة أضاءت وجهه الفامض وهو
يقول :

« إن مكانتك محفوظة يا آنسة بدون
الحاجة إلى إتفاقات مشكوك فيها .
فنحن بحاجة إليك وسوف أحاول كبح

جماح رغبتى فى حكم العالم سوف نفعل
ما تشاءين وأى مقترحات أخرى سوف
أطيعها بسرور».

قالت بلهجة قاطعة : « دع (جوستين)
لى فترة قصيرة فإذا لم يمكنى عمل شيء
أها فإن والدى سوف يجد لها أخصائياً
يعالج مثل هذه الأمور عند مغادرتها
للمستشفى » .

أنحني (مارشال) قائلاً : « سمعاً وطاعة »
ثم أضاف : « دعينا ننصرف يا آنسة
وأنت تملكن اليد العليا » .
وعلى الأقل كان هناك شخصين على
مائدة (جراهام) بالغى الأهتمام بهذه
المحادثة القوية . وتمنت (جوليا) ألا يعرفا
بأن هذا كان لقاء عمل أنتهى بكلمات
حادة .

أتسعت أبتسامة (لوك) بينما كان ينظر
لها وكأنه يقرأ ما يدور بخلدها ومد يده

إلى يدها وأمسكها بقوة وحرارة وهو
يقول: « دعينا ننصرف كي ينبغي
فليست لديهم أدنى فكرة عن المكان
الذى سندهب إليه فى هذا الوقت المبكر
من السهرة . إذا لم يمكنى الحديث بقوة
إلى طبيبك. هذا فدعينا نغادرهم بما
يشبه حركة مسرحية »
نظرت (جوليا) له بتهكم وزمت شفيتها
ثم قالت ساخرة : « هل يعنى مصطلح

« إنصرف الديكتاتور » شيئاً بالنسبة
لك».

أجابها مبتسماً : « ليس إلى حد كبير.

لكني أستطيع فهم المعنى العام .

وستعودين عليه بمرور الوقت وبعد فترة

لن نتقاتل » .

سألت (جوليا) باستخفاف : « أوه ...

هل تنوى الأستسلام ؟ »

أجابها مؤكداً : « لا يا آنسة ... إنني

أتوقع ذلك منك ».

أحست (جوليا) بشعور غريب بالسعادة
. لقد مضى وقت طويل بدون أن تعيش
هذا الأحساس . فعلى نحو مفاجيء سار
كل شيء إلى الأفضل . لقد عاد والدها
يفعل ما ولد لأجله وأستعاد ثقته بنفسه
. لم يكن هناك أمل في شفاء (لوسى)
وكان يعرف ذلك فى قرارة نفسه . وقد
أستمر الحزن منذ ذلك الوقت . أما الآن
ومع تحسن حالة (جوستين) بإستمرار
يوميّاً فيها هو يبدو على وفاق مع الحياة

بأجمعها مرة أخرى . وملأت سعادته
المنزل . وأحست (جوليا) بالدفع يملأ
بيتهم رغم أنهم يقضون يومهم في العمل
الجاد منذ الصباح حتى المساء .
لم يكن هناك سوى مشكلة (جوستين)
ورفضها الكلام . كانت الطفلة الصغيرة
على وشك مغادرة حجرتها الخاصة .
وكانت تتألق بهجة وسعادة في وجود
(جوليا) ولكن لم يصدر منها أى كلمة
حتى صوت .

كاد تحسن حالتها يكون هو الموضوع
الوحيد للحدث في المنزل ولكنهم لم
يتوصلوا إلى اتفاق . ولم يكن هناك وقت
كاف للبقاء مع (جوستين) . كانت
(جوليا) على وشك ترك المستشفى
ويكاد ذلك يتزامن مع مغادرة (جوستين)
أيضاً . لم يبد على (لوك مارشال) إدراك
أن (جوسنين) على وشك مغادرة
المستشفى . كان يقوم بزيارات ضرورية
سريعة لفرنسا ولكنه لم يكن يتغيب

لفترات طويلة ثم يعاود الظهور مستفسراً
عن بعض النقاط من (جوليا) وكاد يتوقع
منها القدرة على إيقاف كل شيء من
أجله .

كانت : (جوليا) تدرك أنها تغوص بعمق
في حياتهم . وتعرف أن ارتباطها بالطفلة
وأرتباط الطفلة بها ليس شيئاً محبذاً لكنها
كانت تدرك أيضاً أن وراء هاتين العينين
البراقتين الغامضتين فإن (جوستن) تفكر
بصفاء ذهن ولكنها تصر على الصمت

. كان شيئاً محبطاً يكل ما في الكلمة من

معنى .

حاولت (جوليا) ووالدها إعادة صقل
معرفتهم باللغة الفرنسية حتى يتحدث
أمام (جوستين) ومعها بلغتها الأصلية
لكنها ظلت ملتزمة الصمت رغم
تبسمها عندما كانا يقعان في خطأ لغوي
. كان الوقت يمر سريعاً. وعما قريب
ستكون (جوستين) في فرنسا حيث
يتحمل مسؤوليها شخص ما غيرهم .

أحست (جوليا) أنها ستفتفدها وبأنها
قد خالفت أول قاعدة من قواعد
التمريض وأرتبطت عاطفياً بأحد المرضى
. ولكن ذلك حدث وهى لا تكاد
تلاحظه .

لم تعد تطيق صبراً على البقاء بعيداً عن
عملها . وفى المساء كان عقلها يمتلىء
بالأفكار عن الطفلة وعمها . لقد
استطاعت (جوستين) بهدوء أن تجد
لنفسها مكاناً فى قلب (جوليا) . مكاناً

كان خاوياً على هدى ثلاثة أعوام
وأصبحت (جوليا) تخشى اليوم الذى
تقبل فيه أستقالتها ولا تسطيع أن ترى
الطفلة مرة أخرى .

دخلت (جوليا) إلى غرفة (جوستين)
ورأتها جالسة على فراشها وقد بدأ
شعرها ينمو بعض الشيء فصاحت
جوليا : « ها أنت ... يا ذات الشعر
المجعد » وأرتمت أبتسامة على وجهها
رغم حزنها البادى فى ذلك اليوم . ولم

نتنبه (جوليا) لوجود (لوك مارشال) وإلا
لكانت آخرت زيارتها . ولكنها لامت
نفسها على ذلك التفكير الغبي وزمت
شفتها بقوة بينما أرتسمت علامات
الكآبة والحزن على وجه (جوستين) .
وسألها (لوك مارشال) بصوت ضاحك
وهو ينقل بصره ما بينها وبين ابنة أخية :
« هل أنت غاضبة من ممرضة (ردفورد)
؟ أنا لا أدري كيف أرتكبنا ذنباً بينما
نحن نجلس هنا في هدوء تام » .

أبتسمت (جوليا) (لجوستين) أبتسامة
مطمئنة وهي تقول : « أنا لست غاضبة
« وسارت برشاقة إلى الفراش وتناولت
التقارير المثبتة بمؤخرته وقد تورد وجهها
خجلاً . كانت عيون (جوستين) الحادة
الغامضة تغوص بداخلها . وكانت
(جوليا) في ذلك اليوم تشعر بالأحباط
التام .

قالت (جوليا) (لجوستين) إنك تجيدين
تصفيف شعرك بطريقة الشعر المجعد .

أليس كذلك؟ ثم أضافت بإبتسامة محبطة
: « أنت ترفضين بكل بساطة أن
تحدثني ... كنت أتخيل أنك ستحدثين
لي بعد مرور كل هذا الوقت » .. كان
تأثير إبتسامتها المحبطة شديداً . ركزت
(جوستين) نظراتها عليها ثم أخذت تنقل
بصرها ما بينها وبين (لوك) . وللحظة
قصيرة أحست (جوليا) أن الرعب
يتجسد أمام ناظريها . فكيف يمكن أن
يحدث هذا ؟ وترقبت (جوستين) عمها

الذى أقرب منها فأحاطته بذراعيها
ونفست عن انفعائها بكل وسيلة ماعدا
الكلام .

أتجهت عيون (جوليا) إلى وجه (لوك)
الذى نظر إليها بحدة وهو يقول : «
أنت مخطئة تماماً » . وأنقذتها الممرضة
المساعدة من تكلف أى رد عندما
أندفعت إلى الحجرة على غير المعتاد
وهى تقول : « لقد عرفنا لتونا من
ستحل محلك . فمن تظنين ... أوه ...

آسفة « وتوقفت الممرضة فى ارتباك
عندما رأت وجه (جوليا) ولحت التعبير
الصارم المفاجىء على وجه الرجل
الفرنسى فاستدارت سريعاً وهى تقول :
« سأخبرك فيما بعد » .

سبق السيف العذل وأنتهى الأمر .
قطبت (جوستين) جبينها عندما سمعت
هذه الكلمات بينا بدا على (لوك)
الغضب الشديد .

وأنطلقت (جوليا) لحجرة المكتب ولكنه
تبعها بعد قليل . قال لوك (مارشال)
بصوت هادىء عميق وكأنه يوجه اتهاماً
: « أنت سترحلن .. ممرضة (ردفورد) .
أنت تتخلين عن (جوستين) » .
ردت (جوليا) : « لقد قدمت أستقالتى
قبل أن أرى أبنة أخيك بوقت طويل »
وأحست (جوليا) بالضيق لأنه يحاول
أشعارها بالذنب بينما لم ترتكب ما يدعو

لذلك . وتابعت تقول : « أنا لا أتخلي

عن أحد . وعلى أية

حال فإن (جوستين) سترحل قريباً وهي

على وشك المغادرة » .

تجاهل (لوك مارشال) تعقيبها وقال بحسم

: « أخبريني عن المستشفى التي

ستذهبن إليها وسأنقلها لتكون معك »

.

لم تكن فكرة فرض نفسة بهذا الأصرار
تروقها على الإطلاق . وجلست (جوليا)
وهى تقول :

« على المدى القريب فلن أتقدم للعمل
بأى مستشفى فلدى الكثير من الأشياء
التي تحتاج لإعادة ترتيبها » ودار بخلدتها
أن حياتها ذاتها تأتي فى مقدمة هذه
الأشياء .

أمسك (لوك) بيديها وهو يقول بقوة :
« إذن قومى بتمريض (جوستين) لحسابى

فسأدخلها بيت تريض خاص وتكونين
أنت معها . فأنا لم أبعدھا بعد عن
البروفيسور (ردفورد) ولكنني بالتأكيد لن
أبعدھا
عنك » .

نظرت إليه (جوليا) بجدية وقد بدا عليها
الخوف الآن من خطة العلاج التي
تناولتها بالحديث مع والدها.
قالت (جوليا) بهدوء : « يمكنكی أن
أساعدها .. لقد تحدثت بشأنها مع

والدى . وإذا كنت تشدد على بقائها

بالقرب منا فإننى أقترح أن تأتى

(جوستين) لتقيم معنا فترة من الوقت

بعد مغادرتها المستشفى . سيكون

بإمكانى أن أعطيها كل أهتمامى . وإذا لم

يأتى بنتيجة فعلى الأقل لم يحدث ضرراً

« .

بدا (لوك) مذهولاً . ظل ينظر إليها بضع

دقائق حتى أحست وكأنها أقترحت شيئاً

غير مناسب على الإطلاق .

سألها وقد سدد لها نظرة قوية : « هل
ستفعلين ذلك من أجل (جوستين)؟ هل
ستأخذينها إلى منزلك الخاص؟
وفجأة وجدت نفسها تبسم وهي تجيب
: « بكل سرور.. وقد تندم على ذلك
يومًا عندما يمر الوقت ونرفض أن دعها
ترحل » .

أنفجرت شفتاه بواحدة من أبتساماته
القليلة وهو يقول : « أوه .. كلا ..
على العكس تماماً. فأنا و(جوستين)

متمسكين بك إلى أبعد الحدود ولكنك
ان تطيقى الأستمرار معنا » .

أندفعت (جوليا) تقول فى قلق غير
متوقع: « أتمنى أن تدرك بأن ذلك
سيكون لوقت قصير فقط . فبرغم كل
شئء هناك مستقبلى العملى ولا بد
عاجلاً أم آجلاً أن أعود للعمل بإحدى
المستشفيات » .

لاح بعينه أنفعال عميق وهو يقول : «
نعم . إننى أفهم . فذلك من أجل

(جوستين) فقط . وعندما تصبح
(جوستين) أقوى مما هي عليه الآن –
وحتى لو لم تستطع الكلام – فسوف
نودعكم مقدمين آيات شكرنا . ولكن
خلال هذه الفترة قد يمكنك الأتيان
بمعجزة . وكلى ثقة فى قدرتك على
ذلك . «

لم يُجد ذلك فى تهدئة شكوك (جوليا)
المفاجئة . فماذا يتوقع منها بالضبط ؟
ماهو المزيد الذى يمكن توقعه؟ لقد

أنجرفت إلى حياته والآن - وعلى نحو
مفاجيء يزداد ذلك بسبب تعاطفها مع
طفلة صغيرة لم تكن تعنى لها شيئاً على
الأطلاق وبسبب عدم قدرتها على
الأنسحاب من مشكلة الا بعد أن تتم
حلها. وهناك غير ذلك الكثير ولكنها
تخشاه فهي لا تريد المزيد من التدخلات
.

وفي تلك الليلة سر والدها كثيراً بأمر
هذا الحديث مع (لوك) وقال في سعادة :

« سوف نرى ما يمكننا عمله هنا

ستكونين أنت معها طوال اليوم .

وسأعاونك قدر ما يتيسر لى . وعلى

الأقل فسوف نحسن لغتنا الفرنسية » .

أخذت (جوليا) تنظر إليه وقد أحست

ببعض القلق تجاه قرارهم . وسألته بهدوء

:

« هل نحن نفكر بحكمة يا ابى ؟ هل ندع

ذلك الأمر يتفاقم لأسباب شخصية ؟ »

.

ورد بصوت خافت : « من الممكن »
ووضع يديه على كتفيها ونظر إلى وجهها
الذى بدا عليه القلق وقال : « أنا
أعرف أننا بدأنا نبرأ مما أصابنا فما
الضرر لو ساعدنا (جوستين) أيضاً » .
وتنهدت (جوليا) وهى تقول : « أعتقد
أنك على حق . أنت أكثر حكمة منى
بمراحل كبيرة » .

وضحك والدها وهو يقول : « هذا
ليس رأى (لوك مارشال) فهو يراك كائنًا
فريد الطراز » .

أستدارت (جوليا) وهى تقول بغضب : «
بل أنه هو الإنسان الغريب فعلاً» فالآلهة
تعلم كم حاولت أن تبلغ بحياتها تلك
المعايير التى وضعها لها (لوك مارشال).
قال والدها بلهجة هادئة مرتابه : «
أعتقد أنها ستكون لفته طيبة أن ندعوة
للأقامة معنا أثناء وجوده فى أنجلترا . فلا

يتفق أن تقيم (جوستين) معنا وقيم
عمها في فندق بينما نحن نمتلك كل هذا
البيت « .

استدارت له (جوليا) في فرع شديد وهي
تقول : « كلا كلا كلا . فلا يمكنني
مواجهة (لوك مارشال) بصفة مستمرة
يوميًا. إن جرعة صغيرة في وقت ما تبدو
أكثر من المحتمل « .

وسألها والدها بهدوء : « (جوليا) ...
هل تخشين الارتباط مرة أخرى ؟ إنك
جميلة جداً ورقيقة جداً فلا تدعى هذا
الكلب الحقير (أدامز) يفسد حياتك
للأبد » .

قد يكون (جراهام) كلباً حقيراً فعلاً
ولكن (لوك مارشال) يستحوذ على
تفكيرها بصفة مستمرة وبدرجة مزعجة .
قالت (جوليا) بحدة وقد ترودت وجنتاها
خجلاً : « ليس هناك مجالاً للارتباط معه

. إنه يشبه ماكينة ذات نرعة للسيطرة
على كل البشرية . وكل ما يشغل تفكيره
هو (جوستين) وما يفترض أنى أملكه
من مهارات لا نظير لها . إنه إنسان ثائر
ويصعب التعامل معه » .
قال والدها ضاحكاً : « إذن فهى شدة
تزمته التى تحول بينكما . قد يمكنك
مساعده على التحسن بأن تحدثيه عن
ذلك » .

قالت (جوليا) بتبرم : « لقد فعلت .
لقد قلت له ذلك على مدى أيام كثيرة
ولكن لا يبدو أنه فهم ذلك . كما أن
(جوستين) كانت ستتحسن بصورة
أفضل لو بقى هو فى فرنسا بصفة
مستمرة » .

قال (بول ردفورد) بهدوء : « أنا لا
أعتقد ذلك يا عزيزتى . فالطفلة تحبه
بشدة » .

وغمغت (جوليا) وكأنها تحدث نفسها :
« أنا أعرف ذلك » ثم تابعت : « ولكن
أليس غريباً أن يبدو عليها القلق في كل
مرة يلتقيا فيها ؟ وهي تحتاج إلى سماعه
يتحدث لفترة قصيرة قبل أن يختفى قلقها
أنا لا أدري ما الذى تخشاه ؟ » .

الفصل الرابع

كان متبقياً شهر واحد على الموعد الذى
حدده (لوك) لعودة جوستين إلى
(كامارجو) . وبالنسبة (جوليا) ووالدها
كان شهراً من السعادة التامة التى
يشوبها الأحباط . لقد دخلت الطفلة
الصغيرة حياتهم بسهولة فالتأمت الفجوة
الغائرة التى كانت تفصلهم عن السعادة
 . وذلك على الرغم من أنها لم تتفوه

بكلمة واحدة . وقد أصابهم اليأس
وأقروا جميعاً بعجزهم بما فيهم (جوليا) .
وأصبح لزاماً أن تعرض (جوستين) على
أحد الأخصائيين في هذا المجال .. ولكن
(جوليا) كانت لا تزال مقتنعة بأن
السبب لا يكمن بعيداً عن السطح.
لقد حاولت عمل كل شيء. أصبحت
لغتها الفرنسية الآن جيدة حيث رأت أن
من الأفضل لطفلة صغيرة في مثل هذا
السن أن تلاطفها بلغتها الأصلية. وحتى

السيدة (دويسون) حاولت أستخدام
بعض الكلمات ولكن لم نكن هناك
فائدة. وحيث أن (جوليا) لم تعد مرتبطة
بالعمل في المستشفى فقد عادت لهوايتها
القديمة «رسم اللوحات» . وأنتشرت
ألوانها في كل مكان. وأفتنت (جوستين)
بالطيور والأزهار التي كانت تنبت . من
لمسات فرشاتها. كانت الطفلة تبدو
أحيانا في غاية الأثارة وتشير بيدها
ولكنها لم تكن تنطق بحرف.

بينما كان (لوك) في زيارتهم في إحدى
المرات قال (لجوستين) : « لقد حسنت
(جوليا) من لغتها الفرنسية كثيراً يا
حلوتي . إنها تعمل على نحو جيد وأعتقد
أنه سيكون أفضل لو أنك قدمت لها يد
العون » .

ولم يجد ذلك شيئاً ولكن (جوستين)
أنطلقت إلى حجرة أخرى ثم عادت
ببعض اللوحات . وأحست (جوليا)
بالخرج . غير أن والدها أقبل عليهم

متباهياً بعمل (جوليا) ثم ذهب إلى
حجرته للحظات وعاد يحمل المزيد من
لوحاتها التي اعتاد أن يصنع لها أطران
يضعها فيها . نظر (لوك) إلى اللوحات
بتقدير ملحوظ وهو يقول: «إنك
موهوبة جداً» وأخذ يتفحص الألوان
القوية المتوهجة للطيور والورود ثم قال :
« لا أدري لماذا قررت أن تكوني ممرضة
بدلاً من السير في هذا الطريق ؟ »

وجهت (جوليا) نظرة غاضبة لوالدها
وهي تقول : « إنني لست بارعة بالدرجة
التي تمكنني من إعالة. نفسي كفنانة
ولكنني أفعل ذلك الآن طلباً للراحة
والأسترخاء » .

لم نكن نريد أن تتجه إليها هاتين العينين
الغامضتين . إن (لوك مارشال) رجل
مخير وفي أغلب زياراته (لجوستين) كان
يمضي وقتاً كبيراً مركزاً نظراته التي لا
يسبر غورها على وجه (جوليا) .

كانت (جوليا) تتمنى أن تتجنبها لا أن
تجذبها إليها . فهو يجعلها تشعر في
داخلها بالآثارة لدرجة غريبة ومحيرة .
وهي لم تتعود على أحاسيس من هذا
النوع ولم ترحب بها .

صار (لوك) يقضى أوقاتاً أطول في فرنسا
بعد أن أطمئن على استقرار حالة
(جوستين) وكانت (جوليا) تتوتر بشدة
عندما يحادثهم نليفونيا . وفي زيارته التالية
كان يحيطه جو مختلف . وكم كانت

صدمة مروعة (لجوليا) أن تواجه حقيقة
أنتهاء هذا الأمر . فقد جاء لوك في
بداية أحد الأسابيع وأعلن أن الأسبوع
التالى سيكون هو آخر أيام (جوستين) فى
أنجلترا.

قال (لجوستين) وهو يحتويها بين ذراعيه :
« لقد وجدت لنفسك عائلة أخرى يا
حلوتى . وهى أضافه وليست لتحل محل
عائلتك الأصلية . فى الأسبوع القادم

ستعودين لبلدك وتودعين صديقك
(جوليا) « .

لاحظت عيئه ذاك الحزن المفاجيء
الذى غطى وجه (جوليا) . ولكن لم يكن
أى منهم يتنبأ برد الفعل الذى بدأته
(جوستين) تجاه هذا الخبر . لقد تصلبت
في ذهول ونظرت إلى (لوك) ثم إلى
(جوليا) وقبل أن يستطيع أى منهم
تهدئتها أو حتى مجرد التحرك كانت قد
أنفلتت من بين ذراعى (لوك) وأخذت

تعدو إلى حيث تجلس (جوليا) وألقت
بنفسها عليها ومدت ذراعها تطوق بها
عنق (جوليا) بشدة.

« كلا » نطقها بالفرنسية بصوت واه
متحشرج لقلة أستخدمه مدة طويلة . ثم
قالت بكلمات أختلطت فيها الفرنسية
والإنجليزية : « كلا ... لتأت .. لتأت يا
(حوّليا) ... لتأت معي » .

تفجرت فرحة طاغية على وجه (جوليا)
وأنهمرت دموع عينيها عندما التقيا مع

نظرة (لوك) الذاهلة . وشهق (لوك)

قائلاً بالفرنسية : « غير معقول ... هذا

شيء لا يصدق » .

كانوا جميعاً قد هبوا منتصبين على

أطراف أصابعهم وقد اتسعت ابتسامة

(بول ردفورد) بينما أمتزج ضحك

(جوليا) وبكائها وهي تحتضن الطفلة

الباكية التي تشبثت بها ورفضت أن

تدعها. وتسمر (لوك) في مكانه مبهوراً

وبدا غير قادر على الحركة وقد جمدت

نظرات عينيه السوداويتين على وجه

(جوليا) المتألق .

ساد بيهم الأضطراب لفترة ثم أستطاعت

(جوليا) تهدئه (جوستين) وأشارت

بذهابها للنوم لبعض الوقت . لقد أنهك

الجهد والأنفعال الطفلة الصغيرة التي

تشبثت برقبة. (جوليا) وهي تحملها

للفراش بعد أن هدأ بكائها.

وبعد دقائق أخذ (ردفورد) (مارشال) إلى

الطابق العلوى وأشار في صمت إلى باب

حجرة (جوستين) النصف مفتوح . كانت
(جوليا) تجلس على حافة الفراش وقد
وضعت يدي الطفلة الصغيرتين في يديها
وأستطاعت بالمداعبة الرقيقة الحذرة أن
تنتزع بضع كلمات من الشفاة التي
كانت صامته في وقت من الأوقات .
أقبلت (جوليا) إلى حيث يقف والدها
و(مارشال) وقالت: « لتلق عليها نظرة
يا أبي ... إنها تبدو على ما يرام ولكنها
كانت صدمة كبيرة لها مثلما كانت لنا .

إن عينيها متسعان قليلاً وأفضل أن

تلقى عليها نظرة » .

وبينما ذهب والدها إلى (جوستين)

أستدارت إلى (لوك) بإبتسامة مرتعشة ثم

قالت بتهيب : « أعتقد أننا بحاجة إلى

قدح من الشاي يا سيدى . فلنهبط إلى

المطبخ » .

كانت السيدة (دويسون) قد انصرفت ،

فذهبت (جوليا) إلى المطبخ لإعداد

الشاي. كانت يداها لا تزالان تهتران. لم

تنبيه إلى أن (لوك) كان يقف قريباً منها
حتى فوجئت به يديرها على عقبيها
لتواجهه وقد بدا نافذ
الصبر .

قال بصوت مهتز: (جوليا) كان لا يزال
ساكناً بينما ترسل عيناه نظرات متقده
إلى عينيها . وكرر أسمها بنفس النغمة:
« (جوليا) » . وفجأة جذبها إلى صدره
وأحكم ذراعيه حولها ودس وجهه في
شعرها وتوسل في صوت أجش : لتأت

يا (جوليا) ... لتأت». رفع رأسه إلى
عينها الذاهلة وهو يقول : « لتأت معنا
إلى فرنسا» ثم أضاف بالفرنسية في
صوت بائس مثلاً

فعلت (جوستين) تماماً : « لتأت معي »
. وفي هذه اللحظة أحست (جوليا) أنها
لا بد ستذهب. كان الباب إلى قلب هذا.
الزجل الغريب المتحفظ مفتوحاً على
مصراعيه وهي ترغب في الدخول كما لم
ترغب في أى شيء على مدى حياتها .

وحتى عندما أستقلت الطائرة إلى فرنسا
في الأسبوع التالى كانت تتساءل عما إذا
قد فعلت الأجراء الصحيح . لم يكن
هناك شك فى سعادة (جوستين) . وبعد
استعادة الطفلة لمقدرتها على النطق فى
هذا الموقف

الدرامى فقد وافق (ردفورد) على أن
إبعادها عن (جوليا) فى هذا الوقت ليس
من الحكمة فى شىء. كما أاتفق مع
(لوك) أيضاً فى أن هذا هو الوقت الذى

يجب أن تعود فيه (جوستين) إلى أهلها.
ورغم أن (ردفورد) لم ينوه بذلك إلا إنه
أعتبر أنه من الأفضل وجود (جوليا)
معهما عندما تواجه مرة أخرى نفس
المكان الذى يعتقدان أنه أحدث لها
الصدمة.

وتحت أصرار (لوك) جمعت الواثما المائية
ووضعتها فى حقيبة سفرها . فقد قال لها
أن هناك القليل مما يمكن عمله لقضاء
الوقت وذلك بالنسبة لإنسان مثلها

عاشت أغلب حياتها في المدينة أو
بالقرب منها. وعندما تكون (جوستن)
مع معلمتها الخاصة فيمكن (لجوليا)
عمل تسجيل كامل لإقامتها في
(كامارجو). وقد راقّت الفكرة (لجوليا)
وأسعدها أن تأخذ وأسعدها أن تأخذ
الوانها معها. وأحست أنها ستكون ملجأ
لها معظم الوقت حيث أنها ستدخل
مجتمعا أجنبياً تماماً. وفجأة أحست أن

هدوء جناح الجراحة النسائي قد أصبح
بعيدًا جدًا .

لم تسأل على الإطلاق عن بيت (لوك)
أو عن (كامارجو) نفسها وكانت تلتزم
الصمت عند وصولهم .

ورغم أن المسافة التي قطعوها بالسيارة
من (مرسيليا) لم تكن طويلة إلا أن
الانتقال إلى عالم آخر أدخل عليها بعض
الرغبة .

قال عنها (لوك) أنها بلاد تتكون من
البحر والسماء .. بلاد مختلفة .. وقد
بدت كذلك. كانت محاطة من الجنوب
بفرعى نهر (الراين) . وهى عبارة عن
سهل فسيح أحاطت به المياه الرقراقة
فبدت كأنها أرض تحيطها عناقيد الدر
والجواهر. كانت هناك مساحة شاسعة
غير مأهولة تهبط إليها الطيور المهاجرة .
أمتدت حقول الأرز ومسطحات الملح
اللامعة بالأضائة

لمساحات شاسعة من الأرض الخضراء
التي يغطيها العشب حيث توجد مزارع
تربية الثيران الضارية في (كامارجو) ,
كان هذا هو المكان الذي قدر (لوك)
أن يعيش فيه .

وبينما كان (لوك) يمر بالسيارة قريباً من
مستنقعات (دى فاكيريه) حملقت
(جوليا) في ذهول في الأسراب اللانهائية
لطائر البشروس . طويل العنق والرجلين
التي كانت تحلق فوق المياه وقد أكسبت

السماء بجمالها الأخاذ لوناً وردياً بينما
كانت تغدو بحثاً عن غذاءها .

قال (لوك) بإبتسامة هادئة وهو ينظر

لوجهها المنبهر : « هل تشعرين

بالسعادة الآن لأنك أحضرت ألوانك

المائية ؟ »

وهمست وهى تتابع أسراب الطيور : «

نعم . . . ليتني فقط كنت أمتلك المهارة

الكافية » .

قال مؤكداً : « أعتقد أنها لديك . . .

وأنا أرى أن الفرصة قد واثتک » .

قالت (جوليا) : « لا تنس أنى هنا

لمساعدة (جوستين) » ثم أشاحت

ببصرها بعيداً عندما وجدت عينيه

مثبتان على وجهها .

ورد (لوط) وهو يرنو لها : « ليس كل

الوقت . فأعتقد أنك ان تجدى صعوبة

كبيرة مع (جوستين). وأعتقد أنه لا

يوجد من يشكل صعوبة بالنسبة لك » .

رمقته بنظرة قصيرة ثم جلسا في صمت .
ليس لديها أى فكرة عن المظهر الذى
تبدو به الآن. كانت ترتدى فستاناً من
الكتان الأزرق بلون عينيها وقد ملمت
شعرها خلف رأسها ولكن خصلاته
الذهبية كانت تتسابق لتلف حول وجهها
الرقيق. إنها تكاد أن تكون طفلة مثل
(جوستين) لولا تمام أستدارة خديها
النضرين ورشاقة ساقها الجميلتين .

كانت عينا (لوك) تطوفان بجسدها في
تمهل وعندها فقط أدركت أنها أيضا
كانت تنظر إليه بلا تحفظ فترى ذلك
الوجه الوسيم الداكن النحيل والشعر
الأسود الكثيف الذى تداعبه رياح
(كامارجو) .. وتلاقت

نظراتهما وطالت ولكن لم تكن هناك أى
أبتسامة فى نظرتيه وإنما تردد مترقب
متساءل جعلها تطلق زفيراً طويلاً
مرتعشاً. كان يحدث بينهما شىء ولكنها

لم تدرك ماهيته . وتنبهت فجأة فصرفت
بصرها وقد أشد تورد وجنتها .
رمقتهما (جوستين) بنظرة حائرة ثم قالت
بصوت واثق : « إن عمى (لوك) لا يرى
صعوبة في التعامل مع أى شخص إنه
رجل مهم . فهو ماركيز دى سانت
ميتشاد . وهو مهم جداً » .
قال لوك بحدة : « من فضلك يا
(جوستين) .. الزمى الهدوء » ولوى

شفتيه مبتسماً عندها بدت على وجهها
أمارات الخجل .

قالت (جوستين) وقد عبس وجهها : «
لماذا لا يجب أن تعرف (جوليا) يا عمى.
فكل الناس تعرف ذلك و(جوليا)
صديقتنا .. أليس كذلك ؟ » ثم التزمت
الصمت وتراجعت في مقعد السيارة
الخلفى وأغلقت عينيها كأنها توصلد
الباب في وجه كل شيء .

أحست (جوليا) أنهم تراجعوا للوراء في
هذه اللحظة . فقد صمتت كل الثرثرة
التي تزايدت على مدى الأسبوع المنصرم
. وأدركت أنها يجب أن تكون حذرة
ومتيقظة . فقد تأثرت (جوستين) بشدة
من تأنيب (لوك) . وهي لا تريد أن تبدأ
من الصفر مع طفلة صامته .
قالت (جوليا) بسرعة: « إنه فعلاً أمر
غير مهم يا (جوستين) ووجهت إلى
(لولد) نظرة تأنيب وهي تقول : « أنا في

الواقع لا يهمنى من يكون عمك (لوك) .

أنا لا يهمنى إلا أنت» .

قالت (جرستين) فى أبتهاج : «هذا

رائع» ووثبت تحيط عنق (جوليا)

بذراعيها ثم قالت : «والآن فلن أشارك

معكم فى الحديث حتى يتوقع عمى

(لوك) عن معارضتى» .

وأبتسمت (جوليا) عندما وجدت (لوك)

يقول بنظرة ساخره مضطربة : «لقد

توقفت. وأسف لأى مضايقة يا حلوتى
«.

أندفعت (جوستين) تكاد تخنقه بين
ذراعيها وهى تقول : « الآن عدنا جميعاً
اصدقاء » ثم تابعت : « إن لدى رغبة
جارقة فى رؤية جدتى (لوسيل) فهل
سنذهب الآن؟ »

رد (مارشال): « بالطبع » بأبتعد بالسيارة
عن الياه بيا جلست (جوليا) صامته.

أحست أن (جوستين) كانت تأخذ
طريقها لتكون مشكلة مزمنة . لقد
تحدثت مرة أخرى ولكنهم لم يعرفوا سر
صمتها. ربما كان ذلك يرجع إلى الحادثة
وفقدان والديها. إنها لم تذكرهما على
الأطلاق. كانت رغبته في رؤيته جدتها
(لوسيل) هي الشيء الوحيد الذي ذكرته
بخصوص منزلهم .

كان الأمر محيراً. ولكن كانت حيرتها
أكبر عندها أكتشفت لقب (لوك) وما

سري بينهما من أحاسيس عندما تلاقت
عيونهم .

في (كامارجو) بدا وكأن قناعاً يسقط من
على وجهه فكان مختلفاً إلى حد ما .
وأحست (جوليا) بالقلق وهي تحقق في
الطريق الممتد .. وقالت في نفسها أنها
تصنع معروفاً ولا شيء في ذلك ويمكنها
أن تعود لوطنها عندما ترغب . إذن لماذا
تشك في هذا عندما تحتل النظر إلى

تلك الأيدى الداكنة القابضة على عجلة
القيادة .

لقد أطلق عليها « صديقة جوستين »
فمن يمكن أن يكون صديقها في هذه
البلاد الجديدة الغريبة . مع كل ميل
يقطعون كان (لوك) يتغير وهي توهن أنها
الآن في بلده وبين أهله .

أخذت نفساً عميقاً وشدت ظهرها .
كانت صامته هادئة . ووجدت عيني

(لوك) الداكتين ترمقأها بنظرات خاطفة

.

وقال (لوك) بلهجة جافة : « هل قررت

إرجاء رحيلك بعض الشيء يا (جوليا) ؟

« ثم تابع : « أعرف أنك تمتلكين

الشجاعة يا عزيزتي ولكنك لن تحتاجين

إليها في مواجهة. فنحن سوياً في هذا

الأمر من أجل (جوستين) وعليك بتذكر

ذلك عندم تجدينني أجنبياً غريباً .

كانت « سانت دى ميتشاد » مفاجأة
(لجوليا) ... فلم تكن تتوقع شيئاً بعينه .
ربما بعض المزارع على نمط الغرب
الأمريكي . لكن هذه كانت مختلفة تماماً .
وكانت الليل يقبل سريعاً يلف كل شيء
بالظلام الحالك .

مروا من خلال بوابة بيضاء عالية إلى
طريق خاص يؤدى للمنزل . أحست
(جوليا) بالقلق يتزايد داخل (جوستين)
رغم أنها لم تنطق بأى كلمة . وفى هذه

اللوحة الطبيعية الغامضة الهادئة أخذت
(جوستين) تبدو غير عادية مثلما هو
الحال بالنسبة (للوك). كانت تبدو
أجنبية غريبة غامضة. وأحست (جوليا)
أنها يجب أن تشحذ قواها ولا تستسلم
لهذا التفكير.

وعلى جانبي الطريق كانت أشجار
السرخس نحيلة الأغصان تلقى بظلالها
على الأرض وكانت السيارة تندفع من
الشمس إلى الظل في كل قدم من

الرحلة. وراء الأشجار كانت هناك

مساحات شاسعة من الأرض

حيث أقيمت مراعى الثيران السوداء

الضارية. أخبرتها (جوستين) أن لديه

أكثر من مائتي ثور في مزارعه . ولكنها لم

تتمكن من رؤيتهم في ذلك الوقت رغم

أنها كانت تتجول ببصرها في وجل بحثاً

عنهم .

بين الأشجار كان هناك قطعاً من الخيول

البيضاء ترعى الكلاً . كانت تبدو في

الظلام كأنها أشباح وقد رفعت رؤوسها
في ضيق عند مرور السيارة .

قالت (جوليا) في صوت مرتعد: « إنهم
يبدون هائجين »

قال (مارشال) بصوت ساخر: « إنهم
هكذا في الغالب. لابد أنك قد سمعت
عن خيول (كامارجو) البيضاء. فقد
تعود قليل منهم على المزارع » بشرط أن
يكونوا مطلقى السراح . أما أغلبهم
فيتجولون بحريهم في المستنقعات

العشبية. ومن وقت لآخر فإن الرعاة
يقودون هذه القطعان برماحهم إلى
المزرعة » .

وسألت (جوليا) في صوت خفيض :
« رعاة ؟ » وتعجب من غبائها الذى
تخيل أنها قادمة إلى بقعة عادية من
فرنسا. لقد كان هذا المكان يبدو قارة
مختلفة تماما .

ورد مارشال بسخرية : « رعاة بقر ...
يا آنسة . أنا أتخيل أنك ستجدينهم في

غاية الرومانسية لأننى أعتقد أن
رومانسيته ترقد وراء هذا الهدوء
الخارجى ... إنك لا تبدين هادئة دائماً»

.

وسرت (بجوليا) رجفة مفاجئة وهى تقول
لنفسها: إن ذلك حقيقى فعلاً. لقد
كانت الصعوبة تتزايد بإطراد فى أن
تجلس هادئة وتواجه (لوك مارشال) .
فلم يكن وجودهما الآن سوياً هو ذلك
اللقاء المرتب سلفاً كما كان يحدث فى

المستشفى أو في بيتها . وحتى تلك
الحالات كان الأمر صعباً إلى حد كبير.
أما هذا المكان فهو مقاطعته الخاصة.
وهي تشعر أنه فيها أشبه ما يكون
بالمملك .

وفجأة أنحرفت السيارة عن الطريق
الضيق لتسير بمحاذاة سياج أبيض يحيط
بمراعى لانتهاءية. كانت أمتدادات
الأشجار والأرض الخضراء تشكل لوحة
من الجمال المنسق . كانت الحدائق

توهج بأزهار الصيف والأشجار والأجام
الزاهية الألوان . كان هناك بريق حمام
سباحة بجوار المنزل . أما المنزل نفسه فقد
كان ضخماً أبيض اللون مبنياً على
الطراز البروفانسي
وينحدر سطحه نحو الجانبين .. وقد بدا
جذاباً مريحاً.

قال (لوك) بصوت رقيق : « لقد وصلنا
... مرحباً بك في منزلي يا (جوليا) . من
الآن فصاعداً ستكونين ضيفتي مثلاً

كانت (جوستين) ضيفتك . ولن ندع
شيئاً يكافئ عطفك وعنايتك إلا
وفعلناه» .

قالت (جوليا) بقلق : « أنا لا أريد
مكافأة يا سيدى » . وأستدار لها
بأبتسامة ساخرة باهتة ثم قال مصححاً
بقوة : « لوك » ... أرجو لا تنادينى
بكلمة « سيد » . وأما بخصوص
مكافأتك فلست مضطراً لقراءة ما
بداخل عقلك لكى أعرف أننا لا نزال

في بداية رحلة شفاء (جوستين) . لقد
تصرفت منذ البداية بدافع من فطرتك
وشفقتك المجردة ولكنك ستتجاوزين
ذلك بمراحل وأنا متأكد من ذلك .
وعندئذ سيكون ما أدين به من العرفان
لا يقدر بثمن . لقد قلت لك أنني
أمضى أغلب وقتي منهمكًا في عملي وأنا
أريد أن تكون (جوستين) في رعايتك
وسأخبر الأسرة بأنك ستتولين الأشراف

الكامل عليها . فلدى ثقة عمياء فيك «

.

قالت (جوليا) بارتباك : « لكنى أجنبية

... زائرة ... وهم سوف ... »

وقاطعها قائلاً بحدة : « دعيهم لى . إن

(جوستين) لا تزال معرضة للخطر . وكما

تعرفين ، فيمكن أن تعود للصمت مرة

أخرى . إنها بحاجة لك . ولن أسمح

لأحد بالتدخل . »

لقد عاد إلى هذا الأسلوب. أحست
(جوليا) أنها هي نفسها معرضة للخطر.
فمجرد خطوة واحدة خطأ كفيلة
بتحطيم كل شيء. خالجهذا ذلك
الأحاساس القلق وكأنها تتوقع هبوب
عاصفة.

لم يكن هناك ما يقال أكثر من ذلك.
وبينما نزلوا من السيارة بقيت (جوستين)
بداخلها وبدأ عليها نفوراً واضحاً من
النزول على الرغم من رغبتها في رؤية

جدتها (لوسيل). وفي آخر الأمر أضطر

(لوك) لحملها

بأمساكها بإحدى يديها بينما مدت يدها

الأخرى وأمسكت بيد (جوليا) كما لو

كانت ذاهبة لمواجهة محنة كبرى.

نظرت (جوليا) للمنزل في الغسق المعتم.

ووصلت لأسماعها بعض الأصوات

الغريبة . أصوات الموسيقى الليلية »

لكامارجو». لم يكن هناك سبيل للتراجع

. على الأقل الآن . كان هذا ما أحسسته

من وجه لوك الممتلىء فخراً . ولكنها
أحست ذلك بدرجة أقوى من خلال
اليد الصغيرة التي كانت تشد على يدها
. وأياً كان الأمر فهي في أرض (لوك)
... في (ماناد دى ميتشاد) وطن (لوك)
مارشال) ماركيز دى سانت ميتشاد لقد
وافقت على المجيء إلى هنا المكان بدافع
من حبها الجارف (جوستين) . لقد غير
(لوك) حياتهم جميعاً إلى الأفضل ويجب
أن تسعد ذلك . فلماذا إذن كانت

تشعر كأنها أسيرة؟ إنه سؤال لم تهتم
بالأجابة عليه . وأحست كأنها فى أجازة
لا شىء غير ذلك .

بعد فترة أفرغت (جوليا) حقائبها وبدلت
ملابسها أستعداداً لتناول العشاء فى
تلك الحجرة المريحة المتسعة المجاورة لغرفة
(جوستين). وفى تلك الأثناء سألت
نفسها عن السبب الذى يدعوها هذا
القلق . إنهم جميعا يحبون الطفلة .

وأحست (جوليا) بأنها كانت على خطأ

تماماً. فلا شيء هنا يدعو (جوستين)
للصمت .

عاد تفكيرها إلى لحظة وصولهم .

وتذكرت كيف كانت (جوستين) تتطلع
للتراجع . كان (لوك) (جوستين) كأتهما
شخصين غريبين . وأحست بهما شيئاً
مثيراً. كانا يختلفان عن أى وقت مضى .
وعند دخول المنزل

كان سلوك (جوستين) غريباً بعض
الشيء. أستدارت نحو (جوليا) وتركت

يد (لوك) . وبدون تردد حملتها (جوليا) .
كانت (جوليا) نفسها نحيفة ولكن
الطفلة كانت لا تزال نحيفة الوزن بسبب
المحنة التي مرت بها .

ومرة أخرى أمتلأت (جوليا) بالرغبة في
حمايتها .

كان المنزل جميلاً دافئاً ومنظماً .
وبالتأكيد لا يوجد هنا ما يخيف الطفلة .
تلاقت نظرات . (جوليا) و (لوك)
عندمها حدق بحيرة في (جوستين) ثم في

(جوليا). كان على وشك الكلام ولكنه
توقف عندما دخلت سيدة مسرعة إلى
الحجرة وصاحت : « جوستين ..
صغيرتى .. ها قد عدت إلى بيتك أخيراً
« . وفتحت ذراعيها إلى أقصى ما
تستطيع وخفضت (جوليا) ذراعيها حول
(جوستين) التي أنزلت إلى الأرض
واندفعت ترمى . بين ذراعى هذه
السيدة وهى تقول : « جدتى (لوسيل)

.. لقد كنت أتوق إلى رؤيتك . لقد

أفقدتك كثيراً » .

وطوقتها الذراعين الدافئتين بقوة .

وكانت عينيها الداكنتين اللتين التقتا مع

عيني (جوليا) تشعان بالدفع أيضاً.

كانت في حوالى الخمسين من عمرها

ولكنها لا تشبه (لوك) فى أى شىء.

فليس لها ذلك المظهر المتعجرف ولا

الوجه الصارم . وبينما كان (لوك) ذا

بشرة بنيه ذهبية فقد كانت زوجة أبيه

داكنة البشرة. كان بها شيء غير عادى
يتحدى الوصف . إنه ذلك الوميض
الحاد فى عينيها الداكنتين . كان صفة
مميزة فى وجهها البنى الداكن بلون البندق

.

قالت الجدة بصوت رقيق بينما كانت
تمرر يدها على شعر (جوستين) الخفيف
القصير : « أنت الممرضة (ردفورد) ...
لقد حدثنا (لوك) عن شفقتك الكبيرة

تجاه (جوستين) وعن مهارة والدك
العظيمة « .

نظرت (جوستين) لجدتها وهي تقول: «
إن البروفيسور هو الأفضل في العالم .
وهو يعيش في بيت كبير . إنه رجل مهم
جداً . وهو أيضاً صديقي . وكم كان
يقذف بي في الهواء ثم يستقبلني بكلتا
يديه . ويوماً ما سوف
أعود إلى أنجلترا مع (جوليا) لأعيش
معهم « .

قالت الجدة برقة « حق ... صغيرتى ...
من ذاك الذى يكون أهم منك؟ إذا
رحلت عنا فسوف نذبل مثل العشب فى
المستفعات. فأنت محبوبة أثيره لدينا» .
وجاءهم صوتاً من ناحية الباب يصيح :
« أوه .. أيتها الوغدة ... ها أنت
بالمنزل » وصرخت جوستين هرباً
وأنطلقت لتقذف بنفسها فى أحضان
جديدة لشاب فى عمر (جوليا) وهتفت
: «(فيليب)». كان يقف بحركة شبه

مسرحة لدى الباب وتلقفها بين ذراعيه
ورفعها في الهواء ثم أحكم ذراعيه حولها .
وأستدار إلى (جوليا) محيياً. وهو يقول
بإعجاب صريح : « أوه ... لقد
أحضرتم لنا أميرة أنجليزية » . ثم تابع
وهو ينظر إلى (جوستين) . « لقد
سمعتكم تتباهون بأهميتها. وعلى كل فأنا
سعيد بعودتك لتحديثي المزيد من
الضوضاء يا عزيزتى. لقد كان الهدوء يخيم
على المكان في غيابك » .

قالت (جوستين) بهدوء وقد طوقت عنقه
بذراعيها : « إنني لم أكن أتحدّث في
منزل (جوليا) ولكنني اضطررت
للتحدّث في نهاية الأمر لأنها كانت
ستتركنا نرحل بدون أن تأتي معنا فكان
لابد من التحدّث عندئذٍ » .
قال (فيليب) : « ربما تكون هذه الأميرة
الأنجليزية قد أفسدتك بالتدليل » .
كانت عيناه تمسحان جسد (جوليا) في
أعجاب.

قال (لوك) بصوت حاد : « إن الأميرة
الأنجليزية ممرضة ملتزمة جداً بأحد
مستشفيات إنجلترا » ثم أخذ بذراع
(جوليا) وهو يقول بصوت جاف : «
سوف أقدمك كما ينبغي بعد أن مرت
مفاجأة اللقاء الأول » .. زوجة أبي
(لوسيل) ... أخى غير الشقيق (فيليب)
« . وأشار لكل منهما على التوالى وكان
سلوكه بارداً إلى حد ما وقد شدد قبضته
حول ذراع (جوليا) بدون داع .

قال (لوك) : « لقد أبدت الممرضة
(ردفورد) استعدادها بمنتهى النبل لترك
عملها مؤقتاً والمجيء إلى هنا لمساعدة
(جوستين) . وسوف تناوبها (جوليا) .
وستكون لها بد مطلقة فيما يختص
(بجوستين) . وستكون مسئولة أمامي أنا
فقط » .

وعلق (فيليب) ساخراً : « وأنت –
كما تعلم – لست مسئولا أمام أحد »
وأرتمت على وجهه ابتسامة مازحة

عندما وجه له (لوك) نظراته الحادة ورد
بسرعة مازحاً : « أنا أفعل أحياناً ولكن
للدعابة فقط » قال (فيليب) : « لقد
رايت . ما حدث لأولئك الذين حاولوا
رفع سيوفهم في وجهك .. أيها الأخ
الكبير » .

قال (لوك) ساخراً : « إذا لم تتوقف عن
المزاح فسوف تجد نفسك حيث تعلم »
. وأما الآن فأرشد (جوليا) لجرتها . سوف
أقدم لكي أمتياز حمل حقائبهم . ثم قال

فجأة بصوت حاد : « أين (مارس) ؟ »

.

قالت (لوسيل) بسرعة : « أنها ستتأخر
هذا المساء ولكنها ستأتى قبل موعد
العشاء » . وأحست (جوليا) براحة
غريبة عندما أمتدت يد (لوك) إلى كتف
زوجة أبيه وتبادلا نظرة متفاهمة . إذن
فليس كل شىء يتم عن طريق الحرب فى
هذا المنزل . كان واضحاً أن (لوك) قد
أستاء لموقف أخيه من (جوليا) . كانت

تأمل ألا يشعر بأن (فيليب) سيكون
عقبة في طريقها . وسوف يتطير الشرر
إذا أصر (لوك) على هذا الموقف
الصلب.

عندما أنزل (فيليب) (جوستين) إلى
الأرض قال لها (لوك) : « تعالى حلوتي
... أستخدمى قدميك هاتين في السير
إلى غرفتك .. إنك إذا تركت (جوليا)
تدير بصرها في أرجاء المنزل فسوف ترى
أن هذه الجدران

عارية تمامًا وتحتاج للوحة او اثنتين . ومن
يدري فقد ترسم لوحة لك أنت » .
إمتلاً وجهه (فيليب) بالشغف وهو يسأل
في أعجاب : « أنت فنانة أيضاً يا
(جوليا) ؟ » .

ردت (جوستين) بفخر : « فنانة رائعة »

.

فال (لوك) بصوت جاف : « وذات
شأن عظيم » وأستدار نحو الباب كأنه
يحث (جوليا) و(جوستين) على الخروج .

أرشدتها إلى الحجرة التي خصصت لها ثم
تركها عائداً لهم. وأحست ببعض الضيق
فلم يكن لديها شك في أنه قد عاد
ليحدد لهم مكانها هنا بالضبط . ولكنها
لم تشعر أن مهمتها ستكون صعبة في
وسط هذا الحب الذي يحيط (يجوستين)
. ولكن كيف تبدو مارييس ؟ لم يكن
فيليب يشبه والدته سوى في لون البشرة
إلى حد ما. كان أقرب في مظهره إلى
(لوك) ولكنه كان أكثر رقة ووسامة.

فهل كانت مارييس مثل ذلك؟ وهل
ستجد صعوبة في التعامل معها؟ كانت
تتوق لأكتشاف كل هذه الأمور وإن
أحست ببعض الخجل لذلك.
قد تجلى أمامها الآن أن صمت
(حوستين) كان نوعاً من الصدمة حلت
بها من جراء تعرضها للحادثة . وقد
حال مرضها دون ظهور هذا الأمر قبل
إجراء الجراحة .

أنهت

(جوليا) أرتداء ملابسها. إنها تريد أن
تبدو الليلة بصورة طيبة لتعطى أنطباعاً
طيباً وخاصة أنها لن تمكث هنا طويلاً.
فبمجرد أن تشعر بالأطمئنان تجاه
(جوستن) ويصبح ذلك واضحاً أمام
(لوك) فسيوافق
على عودتها لوطنها .

كانت ترتدي سروالاً حريراً ضيقاً
وقميصاً فضفاضاً أرجوانى اللون ذا
أكمام متسعة. وقد أعطى تبايناً أخاذاً
مع شعرها الذهبى الكثيف. الذى
أسدلته مسترسلاً خلف أذنيها اللتين تدلى
منهما قراطاً فضياً يلمع فى الأضواء .
وأحاطت معصمها بسوار قضى بينما
وضعت قدميها الصغيرتين الجميلتين فى
صندل فضى اللون ذا كعب مرتفع.
بدت (جوليا) كأنها إحدى بنات الشرق

بمظهرها الفريد. كانت ثيابها شديدة

الأناقة. بأسعدها ذلك كثيراً.

عند سماعها طرقاً على باب حجرتها

تخيلت أنها (جوستين) فردت بإبتهاج : «

أدخلي يا (جوستين) » ولكنه كان

(لوك) وقد تألق جسده الطويل في حله

داكنة بينما كان قميصه ذا اللون الأزرق

الثلجي يبرق في تباين مع بشرته الذهبية

اللون .

قال (لوك) بهدوء وهو يتأمل جمالها

الأخاذ : « لقد تناولت (جوستين)

عشاءها في الفراش فقد كانت متعبة جداً

وربما تستسلم للنوم الآن»

قالت (جوليا) : « أوه ... إنني ذاهبة لها

« .

وأتجهت نحو الباب لكنه أوقفها بهزة من

رأسه قائلاً : « ليس الغد بعيد حيث

يمكنك تحمل مسؤوليتك تجاه (جوستين)

. أما الليلة وبلا تكلفة فلتكونى ضيفتى

« .

توقفت (جوليا) فى وسط الحجرة وقد
أحست بنذر الخطر بينما تولد داخلها
إدراك مفرط لجسدها وإدراك خجول
لجسده . وببساطة راح يتفحص جسدها
وكأنها أصبحت عادة أكتسبها منذ أن
رآها لأول مرة ثم ثبتت عيناه على
وجهها وهو يقول بهدوء : « أنت
تعتقدين أنه أنا . أليس كذلك ؟ » .

كان يقصد سبب مشكلة (جوستين).
وللحظة لم تفهم ما يقصده ثم توردت
وجنتاها خجلاً وأطرقت ببصرها إلى
الأرض وهي تقول : « لا ... ليس الآن
. أعترف بأنني طنت ذلك ممكناً في

البداية. إن (جوستين)

تحبك ولكنها توجه لك نظرات غريبة في
بعض الأحيان «

قال (لوك) : « إنني أتفق معك تماماً »

ثم خطا إلى داخل الحجرة ببطء متكئا
على منضدة الزينة وقد وضع يديه في
جيبه وثنى إحدى قدميه في رشاقة قال :
« إنها كذلك منذ الحادثة . وقد يكون
ذلك لشدة شبهى (بجوليس) كما ذكرت
لك من قبل . وعلى
أيه حال ... فماذا يدور بعقلك الآن
بعد أن تخليت عن هذه الفكرة ؟ »
قالت (جوليا) بصوت قوى : « من
المحتمل أن تكون صدمة مؤجلة » .

ولم تسترح جوليا لهذه المحادثة ولا لوجوده
في غرفتها فتابعت قائلة : « سوف ننتظر
أسبوعاً فإذا أستمريت حالتها مطمئنة
سأعود إلى بلدى » .

قال (لوك) بهدوء: « هذه فكرة لم أضعها
في اعتبارى بعد. وقد تكتشفين أننا
نحتاج اليك لمدة أطول من أسبوع » .
قالت (جوليا) بأقصى ما أستطاعت من
قوة : « إن (جوستين) تعى أن لى عملاً
يجب أن أعود إليه » .

قال (لوك) بصوت رقيق : « هى تعى

ذلك. ولكن هل تطيق فراقك ؟ » .

أحست (جوليا) بأنها قد وقعت فى

شرك . كانت كل حواسها تدعوها الآن

تبت فى هذا الأمر فوراً .

قالت (جوليا) بحدة : « عاجلاً أو آجلاً

فلا بد أن أرحل. لقد قدمت كل ما فى

وسعى » ولكن من الواضح أن ذلك

سينهى حتما. فلسوف تستقر (جوستين)

هنا وأصبح أقل أهمية لها. وسيحدث

ذلك سريعاً . فالكثير من صغار المرضى
يتعلقون بمرضىهم وحتى الكبار فإنهم
يفعلون ذلك . وعندما يستقرون في
منازلهم فإنهم قد لا يتذكرون أسماءهم» ثم
أضافت وبحزم : « وهذا ما يجب أن
يكون » .

قال لوك بصوت مرتعش : « ولكن
(جوستين) ليست كأي طفلة عادية .
فلم تكن (دابردري) أما حقيقية لها
مطلقاً . فهي لم تكن تريد الأنجاب . ولم

تعرف (جوستين) حنان الأم على

الأطلاق , وعندما كان

(جوليس) حياً لم يكن هناك أهمية لذلك

فقد كان يعطيها كل الحب الذى تتمناه.

أما الآن فقد أتضح لها الأمور على

نحو مؤلم بينما لا تزال تتذكر ماضيها « .

قالت (جوليا) وقد غامت . عيناها

بالدموع : « يالها من بائسة » ثم نظرت

له فى صمت.

قال (لوك) بصوت رقيق : « إن الأطفال
يجب أن يكون كل شيء بمتناول أيديهم
. إن لها أقارب يحبونها ولكن هذا ليس
كافياً. أنها تحبني ولكن هذا أيضاً لا
يكفى . عندما وصلنا للمنزل لم أستطع
عمل شيء عندما وجدتها تتركني وتذهب
إليك . لقد تحيرت أنت أمام هذا
التصرف وكذلك أنا. ولكنني وصلت
لحل هذا اللغز. لقد قررت (جوستين)

أنها بحاجة إلى أم . وأعتقد أنها قد

أختارتك أنت» .

جحظت عينا (جوليا) وهي تحملق فيه
قائلة : « هذا مستحيل . غالبًا بالتأكيد
أن أقامتى هنا مؤكنة. أنت تعلم هذا ولو
كان لدى أدنى شك في ذلك لما أتيت
معكم. إذا كان هذا هو شعورها فمن
الأفضل أن تنفصل عني تمامًا » ثم
أضافت « هذه بالطبع هي وجهة نظرك
إنت فقط ».

قال (لوك) مؤكداً : « لقد كانت مجرد وجهة نظر لدى لفترة من الوقت » .
وعندئذ أدركت المصيدة التي أوقعت نفسها فيها . وتذكرت قوله : « لتأت إلى فرنسا يا (جوليا) لتأت معي » .
تري ماذا كان يتوقع منها أن تفعله الآن بالضبط ؟ أتراه أتى بها بحيلة بارعة إلى (كامارجو) . وعلى أية حال فلقد تصرفت حتى الآن على نحو طيب في مواجهة هذا الرجل الغامض الغريب .

وقبل أن تنطق (جوليا) بأى كلمة
أستمر (لوك) قائلاً : « إننى لا أتواجد
هنا باستمرار يا (جوليا) . فلدى الكثير
من الأعمال فى أماكن أخرى من فرنسا ,
ونحن نقيم هنا كنا فقط من أهل
« كامارجو » ونعشق جمالها البرى » . إن
ثروتنا تتمثل فى الفنادق وكروم العنب
وأشياء أخرى كثيرة ويعد السفر شيئاً

ضرورياً بالنسبة لى ولهذا فنحن بحاجة

إليك ... أنا و(جوستين) « .

سألت (جوليا) بحدة : « على أى أساس

بالضبط يا سيدى . » وبدأت عيناها

تمتليء بالتحفز القديم .

قال (لوك) بإبتسامة ساخرة : « كصديقه

بالتأكيد . فماذا يمكنك أن تكونى غير

ذلك ؟ » .

قالت (جوليا) : « لا يمكنى أن أكون

أما أحتياطية لسبب واحد فأنا مغرمة

جداً (بجوستين) ولكن لي وطنى وحياتى
الخاصة . وكما قلت من قبل فستعطى
هذا الأمر أسبوعاً » .

قال (لوك) فى صوت غاضب : « سوف
نرى ذلك . وإلى أن يأتى ذلك الوقت
فلا تبسطى حنانك وشفقتك بلا قيود
أيتها الأميرة الأنجليزية . فسرعان ما قد
تجدينى أتقبله بطمع . وأنا متأكد أن
(فيليب) سيتقبله من أول لحظة . وقد
رأيت كيف كان ينظر لك الليلة . فركزى

جهدك على (جوستين) ودعي الآخرين
لشأنهم .

قالت (جوليا) في صوت جاد : (سوف
أتذكر ذلك يا سيدى « وعاد إسلوبها
إلى ما كانت عليه أبان عملها بالمستشفى

.

وصحح (لوك) كلمتها قائلاً بركة :
«(لوك)» وأتسعت أبتسامته لمظهرها
المرتبك ثم قال : « هيا دعيني أرافقك
إلى العشاء » .

سارت (جوليا) ببطء وقد داخلها القلق
إذ ستضطر للمرور بالقرب من جسده
القوى الممتلىء بالرجولة . وفجأة
أرتفعت يداه وأحاطت بوجهها ثم أمالة
تجاه الضوء قائلاً بصوت هادىء مريثاً :
« انك باهرة الجمال بدرجة مذهلة .
ولست أدري هل تدركين ذلك أم لا .
ومن نواح شتى فأنت ذاتك مجرد طفلة
لكنى أعرف أن (جوستين) ستكون فى

مأمن معك ، هيا جميلتي لنواجه الأمور
سويّاً .

أخذ ذراعها برفق وخرجنا من الغرفة لكن
المشاعر التي بدأت تتزاحم بداخلها
بمجرد أن لمسها بيده كانت ملتهبة
ومرعبة . لقد كان قوة غامضة أعادت
تشكيل حياتها . وفجأة – مثلما يفعل
الأطفال – أحست أنها تتوق لرؤية
والدها . فهي لم تعرف ماذا يقصد (لوك)
بكلماته هذه؟ ومن ناحيتها لم تجد ما

يمكنها عمله . ولكنها أحست بأن عليها
أن تعود لبلدها بأسرع ما يمكن . لقد
كان مجيئها إلى هنا فكرة سخيفة جدا .

الفصل الخامس

عندما هبطا الطابق الأرضي كانت هناك
(ماريس) أخت (لوك) غير الشقيقة .
كانت قرية الشبه من (فيليب) ولها عينا
أمها الذكيتين الغريبتين .
كانت سمراء ذات شعر أسود طويل
يصل إلى خصرها ويحيطها جمال متعال
شابته نظرة عدائية نافرة . وبدا ذلك
تعبيراً راسخاً بداخلها ، وقد حيت

(لوك) بنظرة واسعة جمعت ما بين القلق

والتحدى .

سألها (لوك) بهدوء : « هل يعمل البنك

حتى وقت متأخر هذه الأيام ؟ » كانت

هناك بعضاً من الشدة الكامنة وراء

السؤال الهادئ .

ودت (جوليا) لو أتجهت لأحد أركان

الحجرة ولكن يد (لوك) كانت تقبض

على يدها بشدة.

قالت ماريـس : « إني في الثامنة عشر
ويمكن أن أفعل ما أريد » وادارت
رأسها لأعلى تواجه نظرتة المـحدة وقد
أمتلاً وجهها كطفل ضبط أثناء قيامه
بـعمل عابث .

قال (لوك) بلهجة غاضبة : « أنت
مـحظوظة. فأنا في السادسة والثلاثين ولا
أستطيع أن أفعل ما أريد. فأنا أفعل ما
هو متوقع مني . . وستفعلين أنت نفس

الشيء لتقللي من القلق الذي تسببينه
لوالدتك .

قالت (لوسيل) بسرعة وقد اضطرب
وجهها : « أنت على حق يا (لوك) » .
وقبل أن يرد (لوك) أندفعت (ماريس)
قائلة في غضب : « ليس هناك من
يأمرك بما يجب أن تفعله يا (لوك) فأنت
السيد المطلق اليد هنا ولا نعرف ما
تفعله » . وومضت عينها بخفه في اتجاه
(جوليا) معطية إichاء طفيفاً بالشك ..

وأنفجر (لوك) مزجراً وقد أظلم الغضب

وجهه :

« إن العجرفة لا تجدى نفعاً معي ...

وإذا كنت تقصدين إهانة ضيفتي

فسيكون عليك أن تتناولي طعامك في

غرفتك طول مدة أقامتها. فأنا لن أدع

شيئاً يضايق الآنسة (ردفورد) معها

كانت الظروف. وعليك الآن بالأعتذار

لها عن تلك النظرة المختلطة التي ضمت

الكثير من السم» .

قالت (ماريس) : « أنا آسفة يا (لوك) »
وتهاوى رأسها الداكنه تحت وطأة هذا
الهجوم الضارى . بينما تجمدت (جوليا)
فى أرتباك تام .

وأضافت (ماريس) : « أنا آسفة يا
آنسة (ردفورد) . إننى أعلم فعلاً سبب
مجيئك إلى هنا وندين جميعاً ندين لك
بالأمتنان » .

قال (لوك) بصوت أجش : « هذا يكفى
» كان وجهه لا يزال يموج بالغضب وهو

يضيف قائلاً : « في الغد سوف أذهب
لمقابلة ذاك الرجل في البنك. فأنت لا
تزالين فتاة غره ولا ينبغي تعريضك
للمخاطر » .

قالت (ماريس) في أنكسار تام : « أوه
... أرجوك يا (لوك) » لكنه بيده منهاياً
الحديث وهو يقول : « هذا يكفي .
فهذه وجبة (جوليا) الأولى معنا :
فلنتصرف كعائلة فهذا ما تعودته وما
تتوقعه » .

قال (فيليب) في جراه واضحة : « وهى
أميرة أنجليزية ذات أهمية

كبيرة « ولكن عينا (لوك) برقتا في حزم
توقفان هذا المزاح .
كان (لوك) لا يزال قابضاً على يد
(جوليا) . وقادها إلى الحجرة المجاورة

لتناول العشاء . كانت (جوليا) تحس بما
تشعر به (ماريس) من الضيق والأحباط
نتيجة تحطم محاولتها المتحدية بهذه
القسوة . لم يبد على
(لوك) أن وجود شيء غريب في تلك
الليلة يشكل له أمراً هاماً. فقد أنزل
القصاص سريعاً وبلا رحمة . لقد كان هو
السيد ومن الواضح أنهم جميعاً يعرفون
ذلك. لم تستطع (جوليا) أن تتخيل
طريقه تصرفه في الظروف العادية .

فسؤاله الحاد عن (ماريس) عندما لاحظ
غيابها ثم غضبه الآن يبين أنه مسئول
مسئولية كاملة عن كل فرد هنا. وهذا
يوضح امام ناظرها ما يتوقعه منها .
أثناء تناول الطعام هدأت أعصابهم جميعاً
بما فيهم (لوك) . ورغم أن (ماريس).
كانت صامته معظم الوقت فيما عدا
بضع كلمات وجهتها (لفيليب) – فإنها
كانت تختلس النظر إلى (جوليا) من حين

لآخر ثم ابتسمت : لها ابتسامة مترددة
قابلتها (جوليا) بابتسامة قلبية خالصة .
وبدأت (لوسيل) تسأل (جوليا) عن
عملها وعن والدها والعملية الجراحية
التي أجريت (لجوستين). أحست (جوليا)
بسعادة لأنها أستطاعت تغيير مجرى
الحديث وإزالة التوتر الذى أصابهم .
كانوا جميعاً مهتمين بحديثها خاصة
(ماريس) .

وعندما انتقلوا إلى حجرة الصالون قالت

(ماريس) (جوليا) : « إن لدي رغبة

كبيرة في أن أصبح ممرضة » .

قال (فيليب) ضاحكاً : « عظيم ثم بعد

ذلك ستريدين أن تصبحي أخصائية في

جراحة المخ » .

وجهت له (ماريس) صفعة مازحة فحنى

(فيليب) رأسه مسرعاً ليتفادها .

وخاطب (لوك) (ماريس) برقة قائلاً : «

إن (جوليا) في الرابعة والعشرين من

عمرها وهى ممرضة فعلاً » . وفوجئت
(جوليا) برقة نظراته ولهجته الذي كاد
يبلغ حد التدليل بعد الكلمات الحادة
التي وجهها للفتاة منذ قليل . ثم أسترسل
(لوك) قائلاً : « هل تعلمين ما يتطلبه
ذلك من العمل الشاق؟ إنك . أشبه ما
تكون بالفراشه يا صغيرتى . وأعتقد أن
فكرة أن تشقى طريقك من البداية
كممرضة ستكون شيئاً عسيراً بالنسبة

لك . فلدى (جوليا) الكثير من المهارات
« .

أرتبكت (جوليا) لهذا المديح المفرط فهي
لا تريد أن تكون محط أنظار مثل هذه
الكثرة من العيون المعجبة .

قالت (جوليا) ببعض الأرتباك : « يجب
أن يكون لديها وفرة من الوقت للتعلم
إذا كانت تعنى ذلك فعلاً . فقد بدأت
أنا من أول الطريق وهكذا يفعل أى
فرد » .

قال (لوك) بحدوء : « إنها منبهرة بك .
وهي لا تعي أنك . مجرد حالة أستثنائية
ولا يعد شيئاً مسلماً به أن تصل لمستواك
.»

قالت (جوليا) في غضب : « إنني مجرد
ممرضة . ويمكن (لماريس) بسهولة أن تحقق
ما تريد . فهناك حاجة دائمة
للممرضات . وما دامت لغتها الإنجليزية
جيدة فلماذا لا تتدرب في إنجلترا . »

قال (لوك) : « هل لى أن أسألك عمن
سيتولى رعايتها ؟ » وأغاظها أبتسامته
الساخرة وهو ينظر إلى وجه (جوليا)
الغاضب المتورد خجلاً .

قالت (جوليا) : « بإمكانها أن تعيش
معى . وستنزل على الرحب والسعة فى
منزلنا ويمكننى أن أساعدها فى أمتحاناتها
« .

قال (لوك) بصوت هادىء وقد أمتلأت
عيناه بالضحك الساخر : « كم أنت

مندفعة ... يا ممرضة (ردفورد). إنك .
لا تعرفين صغيرتنا (ماريس) . إنها جمع
من المشاكل».

أعترضت (لوسيل) بصوت رقيق وهي
تنظر (لماريس): « إنها فتاة بارعة جداً يا
(لوك) ». كان وجه (ماريس) قد بدأ
يكتسى بعلامات التمرد .

ووافقها (لوك) قائلاً في صوت هادئ :
« إنها تكاد تبلغ الكمال » ثم وضع
ذراعه حول كتفى أخته وتابع قائلاً : «

لكننى أحس أحياناً أن هذا يرجع

لوجودى بجوارها « .

وأشتركت (ماريس) مع الجميع الذين

أنطلقت ضحكاتهم مما حير (جوليا).

ماذا هنا يمكن أن يدعو طفلة لأن تقرر

النزام الصمت. لقد كانوا جميعاً يحبون

بعضهم البعض. وفي كل الحالات قلم

يكن هناك أدنى شك فى أن (جوستين)

كانت تحظى بحب عظيم . وأحست

(جوليا) أنها زائدة إلى حد بعيد عن

أحتياجاتهم بل داخلها شك كبير فيما
إذا كانوا يحتجونها أساسًا . لقد كان
توسل (جوستين) الذى عضده (لوك)
هو الشيء الوحيد الذى أتى بها إلى هنا.
ولم يكن لديها أدنى شك فى أنه جلياً
خلال الأيام القليلة القادمة أن هذه مجرد
أجازة لها .

كان الحديث مع (لوسيل) سهلاً. وبعد
أن هدأت ثورة (ماريس) فقد أبدت
شغفاً كبيراً بمعرفة الكثير عن أنجلترا

والتمريض وكيف كانت (جوليا) تتعامل
مع (جوستين) . بينما أختفى (فيليب)
فقد أخذ (لوك) لنفسه مقعدًا وثيرًا في
أحد جوانب الحجرة وأستغرق في قراءة
أحد الكتب .

أستقرت (جوليا) النظر إليه وكانت
أهدابه الكثيفة المقوسة تبدو داكنة إزاء
عظام وجنتيه البارزتين وبدت يداه طويلة
الأصابع بنية اللون قوية . وحتى هذه
اللحظة بدا أنيقًا رغم أنه نزع سترته

وعلقها على ذراع المقعد . أتجهت عيناها
إلى ذراعيه القويتين وسرت
رعشة خلال جسدها ولكن بالتأكيد لم
تكن رعشة خوف .
وفجأة رفع رأسه وسدد بصره إليها
مباشرة مركزاً عليها عيناها تدفق الدم إلى
وجنتيها . وللحظة قصيرة عاد إلى ما
كانا عليه في السيارة عندما كانا يراقبان
الطيور بينما أنحصر تفكير كل منهما في
الآخر وأخذت عيونهما تتأمل وجهيهما .

وأكتست نظرتَه بالجدية ثم القى الكتاب
على نحو مفاجيء ونهض ملتقطاً سترته .
قال فى رقة غير متوقعة : « تعالى يا
(جوليا) . لا بد أنك متعبة فقد كان يوماً
طويلاً بالنسبة لك كما أن السيدتين
يستجوبانك فى حماسة . سوف سير
معك فى الحديقة لخمس دقائق ثم أعود
بك لحجرتك »

قالت (ماريس) بضحكة مندهشة : «
هل سترسلها للفراش . منذ ما لا يزيد

عن نصف ساعة كنت تؤكد على أنها
قوية وماهرة والآن تعاملها على أنها طفله
« ثم تابعت « أنا لم أنتهى من حديثي
معه . إنه حديث ساحر جذاب » .
قال (لوك) فى لهجة جادة : « سوف
تسحرك فى الغد ، لاتنسى أنها ضيفتنا
ولا تستطيع أن تذهب لفراشها ببساطة
وبدون تكلف » ثم أضاف ساخراً : «
أنا أعرف مقدرتك على الاستمرار فى
الحديث بلا إنقطاع » .

وعلت ضحكات الجميع ثم وجدت
(جوليا) نفسها تترك الغرفة بصحبة
(لوك) سواء أرادت ذلك أم لم ترد .
كان الهواء لا يزال دافئًا بالخارج . بدا
نسيم الليل رقيقاً هادئاً . كانت (جوليا)
سعيدة بهذا الظلام . إن (لوك مارشال)
رجل محير . وقد بدا قوياً واثقاً من رجولته
إلى حد بعيد لدرجة أنها أستنكرت مجيئها
إلى هنا تحت
رعايته .

وبينما كان يسير بجوارها غمغم قائلاً : «
إننى أتوق لمعرفة ما تجدينه بى مخيفاً ؟ لقد
واجهت الكثير من الأمور بشجاعة نادرة
ولكنك حتى الآن لا تستطيعين مواجهتى
« .

كانت (جوليا) مفتونه به ولكنها لم تشأ
أن يبدو منها ما يشير إلى ذلك فقالت
بصوت هادئ : « إننى أواجهك يا
سيدى » .

قال مؤكداً بلهجة رقيقة : « ولكن بدون
شجاعة » وأمسك بذراعها عندها
عثرت قدمها في الظلام ثم أضاف : «
أنت لا زلت تشكين في أن (جوستين)
تخشاني ؟ » .

قالت (جوليا) بصوت واضح النبرات :
« كلا . فليس لدى ادنى فكرة عن
السبب الذى جعل (جوستين) تقرر
التزام الصمت . ولكنى متأكدة إلى حد

كبير أنه كان قرار وليس شيئاً غير ذلك
« .

قال بصوت عميق: « إنني أتفق معك »
. ثم أضاف متسائلاً : « إنك لم تجدى
شيئاً بعد يدفعك للأعتقاد بأنها كانت
تخشى العودة للمنزل ؟ »

قالت (جوليا) بسرعة : « إن كل فرد
هنا يبدو ساحراً فاتناً وكلهم يحبونها »
وأبتسمت في رقة عندما أشتدت فبضته
على ذراعها لا إرادياً وهو يقول :

« أرجو أن أكون ضمن هذا السحر
العام . ومما لا شك . فيه أنك بمرور
الوقت ستكتشفين ماتخشاها . وإذا ما
قررت هي أن تخبر أى فرد فلن يكون
غيرك » .

تسارعت ضربات قلبها لدى سماعها
هذه اللهجة وهاجمها ذلك الأحساس
بالوقوع فى الشرك فقالت مذكره إياه : «
إن الوقت لن يستمر طويلاً . فلدى

عملى ومنزلى كما أن والدى يحتاجنى
أيضاً » .

قال بتأنيب ساخر: « ولكننا نحتاجك
أيضاً يا (جوليا). وعليك أن تحددى
بالضبط من الذى يحتاجك أكثر . هل
هذا هو ما يقلقك ؟ أحساسك بالتشتت
ما بين اتجاهين ؟ إنك لم تسقطى فى
مصيصة خذى قرارك وسوف أعود بك
إلى أنجلترا عندئذ ولو فى هذه الليلة إذا
ما قررت

ذلك » .

قالت (جوليا) بحدة : « أنت تجعلنى
أشعر وكأننى طفلة . عندما أقرر وضع
حد لذلك فسوف اخبرك » وتركت
ضحكته الهادئة أثراً غريباً عليها . لم تكن
ضحكة مشجعة ولا قاسية . ولكنها كانت
غامضة كما لو كان يعرف أموراً كثيرة
تجهلها هى . وعندئذ التمسست مهرباً فى
إدعاءها الأرهاق والتجأت لفراشها .

وخلال الأيام القليلة التالية تأقلمت
(جوليا) مع الأسرة في البداية لم تكن قد
استقرت على مايجب أن تفعله . وفي
أول اسبوعين لم يكن هناك رفيقًا غيرها
(لجوستين) . فكانا يخرجان باستمرار
للطواف بأرجاء
المزارع . وقد سُحرت (جوستين)
برسومات (جوليا) وكانت تجد بعض
الضيق في اصرار (جوليا) على الحصول

على قسط من الراحة بعد ظهر كل يوم

.

أما (لوك) فقد كان مشغولاً منذ الصباح

حتى المساء, وكان ذلك ملائماً جداً

(لجوليا) . وبمجرد أن كانت عيناه

القاهرتين الأسرتين تستقران عليها فقد

كانت تغوص في القلق والأضطراب.

كان شعوراً غريباً مبهما

يعتل في صدرها وكانت تجاهد للتحكم

فيه ولكنها لم تتمكن من ذلك تماماً .

وأثناء العشاء فكثيراً ما كان يكتفى
بمعاملتها بكياسة ورقه بينما ينهمك في
أحاديث مع (فيليب) بخصوص صيفهم
ثم يذهب لغرفته ويبقى بها حتى موعد
نومه .

كان لا بد من الأشراف على تلك
المساحات الشاسعة من الأرض ورعاية
قطعان الثيران والخيول . وكثيراً ما كانت
تستيقظ مبكراً أثناء خروج (لوك)
و(فيليب) في سارتهما (اللاندروفر)

ذاهبين إلى الأطراف النائبة للمزارع .
وغالباً ما كانت تقفز من فراشها لتراقبهم
اثناء خروجهم وقد تركزت عيناها لا
أرادياً على (لوك) حتى يغيبا عن نظرها .
لم يكن هناك شيء يذكر في المساء سوى
جلوس (ماريس) إلى (جوليا) لتحادثها
عن أنجلترا والتمريض . ولم يكن لدى
(لوك) اهتمام بأى من الموضوعين .
وعلى ما يبدو فإن الأزمة التى ثارت
بخصوص تأخرها فى العودة قد أنتهت ولم

تعد (ماريس) تتأخر خارج المنزل على
الأطلاق .

بعد ظهر أحد الأيام كانت (جوليا) .
منهمكة في رسم لوحاتها في حديقة المنزل
بعد أن قادت (جوستين) لتنام مدة
ساعتين. أقبل (فيليب) يسير في هدوء .
وهو يقول : « هل تعرفين كم أنت ماهرة
جداً ؟ ... ممرضة جميلة بارعة ورسامة
موهوبة ... إننى أتمنى أن أكون مثل

(جوستين) لى ممرضة ذات وجه ملائكى

« .

أسعد ذلك (جوليا) أن لهجته كانت مجرد

مزاح فردت بإبتسامة : « إنك أكبر سنا

بعض الشئ من ذلك » . ثم تابعت : «

أعتقد أنك كنت اليوم مع الرعاية فى

المزارع » .

قال (فيليب) : « أرجرك يا آنسة ...

إنك تبدين مثل أخى المتحفظ ... أنا لا

أنوى الذهاب لهم قبل الساعة الثالثة

حيث سيصل (لوك) ونذهب لنقود
الخيول . لقد كان مشغولاً صباح اليوم
وهذا هو وقت راحتي . وإذا لم أقتطع لها
وقتاً فقد يأتي ليأخذني بالسيارة قبل أن
التقط أنفاسي . إنني لست متأكداً على
الأطلاق أنه بشر . إنه مثل الثيران وطيد
العزم لا تفتر له همه .

جثي (فيليب) إلى جوارها وقد ملأت
زجهه ابتسامة وهو يقول : « إنني لم

أكد أحصل على فرصة للحديث معك
فأرجو أن تغفرى لى ذلك » .

قالت (جوليا) وهى تحاول أن تخفى تورد
وجهها لدى ذكر (لوك) : « يمكنك
الحديث معى عندما تود ذلك . فلدى
الحرية فى عمل ما أريد طالما أن ذلك لا
يمس وقتى مع (جوستين) .

قال (فيليب) : « إذن فهل ترغبين فى
تناول العشاء بمفردك معى فى إحدى
أمسيات هذا الأسبوع ؟ هناك مطعم

صغير هادىء فى المدينة القرية .

والطعام هناك جيد « تناول (فيليب)

يدها وهو ينظر مبتسماً إلى

عينها الزرقاويتين العميقتين .

ولم تكد (جوليا) تفتح فمها حتى جاءهم

صوت ساخر أغناها عن الرد وهو يقول

موبخاً « هل تقاعدت عن حياة . العمل

يا (فيليب) ؟ « كان (لوك) الذى خطأ

إليهم بقامته الفارهة الطول . كان يرتدى

زى أحد الرعاة فكان يرتدي بنطلوناً

ضيّقاً من نسيج قطنى متين وحذاء ذا
عنق طويل وقميص فضافاضا من ذا
الوان زاهية بينما أنزلت قبعة مفلطحة
القمة خلف رأسه الداكن . لقد بدا
رجلا آخر غير ذلك الذى قدم إلى
إنجلترا من ابنة أخيه . كان مختلفاً لدرجة
أن (جوليا) حدقت فيه بإنبهار ولم
تستطع أن تصرف بعدها نظرها بعيداً . لم
يكن هناك أدنى أثر لرجل الأعمال الثرى
الفخم المظهر . لقد بدا فعلاً كأنه أحد

هولاء الرعاية . وكان وجهه أقل صرامة
من أى مرة شاهده فيها .

نظر إليه (فيليب) في ضيق قائلاً : «
إننى لم أتناول قهوتى بعد . لقد ظننت
أنى سأنفرد (بجوليا) ولكن يبدو أن بك
قدرة كبيرة على إفساد المتعة .

قال (لوك) ضاحكاً: « لدينا بعض
الوقت » ثم ألقى نفسه بجوار (جوليا)
وهو يقول : « فى واقع الأمر فإننى
جهزت لك فرسك . فعليك أن تذهب

وتطلب القهوة لى و(جوليا) فقد قمت
أن بالمهمة الأصعب» . وأنطلق (فيليب)
مدمدماً بوجه طلق بينما حاولت (جوليا)
أن تبدو طبيعية تماماً وهى تذكر نفسها
فى اضطراب بأنها قد نسيت كيف يمكن
أن يكون الانسان طبيعياً. لقد أصبحت
دقات قلبها تتسارع فى كل مرة ترى فيها
(لوك) وكم كان ذلك سخيلاً. فهو لا
يمثل شىء على الإطلاق ولم يصدر منه
ما يدعوها لتخيل غير ذلك ماعدا تلك

النظرة الغريبة التي يحتمل أن تكون وليدة
تخيلها . وهو يبدو مثلما كان دائماً
بدون تغيير . ولكن من الطبيعي أن
يكون أكثر رقة الآن فقد عاد إلى بيته
كما أن كل يوم يجعل (جوستين) تقترب
من حالتها العادية وإيامها القديمة .
أقرب (لوك) ينظر للوحته وهو يقول
بصوت هادئ : « إن رسوماتك
تتحسن بسرعة فهل تدركين ذلك » ..
ثم أستطرد قائلاً : « لقد بدأت بشرتك

تكتسب لوناً داكناً وقد تحسنت صحتك
فمن الواضح أن الإقامة هنا طيبة
بالنسبة لك .

وخرج صوت (جوليا) أكثر حدة مما
تقصد : « من المفروض أن تكون أقامتى
هنا طيبة بالنسبة (لجوستين) . وأما أنا
فيجب على أن أفكر بخصوص العودة
إلى وطني » .

قال (لوك) بوجه طلق : « هل يجب أن
تفسدى أيامى بتهديداتك . لقد قدمت

الكثير لى و(لجوستين) أفلن تسمى لى
بإعطائك أجازة؟ »

قالت (جوليا) فى دهشة : « إذا كان

ذلك هو السبب الذى يدعو

لأستبقائى ... فعندئذ » . وقاطعها

(لوك) بهدوء ومصبوباً عينيه إلى وجهها

وهو يقول : « إذا تخلّيت عن هذا

الأسلوب الرسمى الخاص بالمستشفى

فسوف تجدى فجأة سبباً وجيهاً يبرر

رغبتي فى بقائك » .

ولم تجد (جوليا) فرصة للرد . فقد ظهر
(فيليب) ومعه فتاة جميلة نضرة . وقف
(لوك) في أدب جم بينما أندفعت الفتاة
تجاهه ووضعت ذراعيها حول عنقه وهي
تصيح : « لقد عدت ولم أراك إطلاقاً يا
عزيزي لماذا لم تأت لرؤيتي؟ »
احاطها (لوك) بذراعيه وقال ضاحكا :
« إنها مسافة طويلة لضيفتك . وكنت
سأتيك عاجلاً أم آجلاً » .

ضحكت الفتاة وهى تقول : « آجلاً
على ما أعتقد » ولمعت عينا الفتاة
بالفضول عندما أنسحبت من بين ذراعيه
وهى تنظر (لجوليا) ولم يبد على
(لوك) أنه سيقدم كلا منهما للأخرى .
فقال فيليب : « (جوليا ردفورد) » ثم
أضاف موضحاً « ممرضة (ردفورد) »
قالت الفتاة « أوه ... نعم ... الممرضة
التي أنقذت (جوستين) . لقد حدثنى

عنك (لوسيل) . إن كل العائلة ممتنة لك
جداً ممرضة (ردفورد) .

وفجأة لم يصبح لدى (جوليا) أدنى شك
في مكانه هذه الفتاة فتحيتها (للك)
ومبادرته إلى ضمها يقولان . الكثير .
وبدا (فيليب) كأنه يحاول أن يقرأ ما
يدور بداخلها . وانتزعت (جوليا) نفسها
من أحساساً طارئاً بالفرع وابتسمت
ببهجة بينما واصل (فيليب) تقديمها : «
هذه (روزان دوبرين) يا (جوليا) إنها تعيش

فى الضبعة المآورة لنا ولكن المسافة بيننا
طويلة إلى حد يحجبها عنا معظم الوقت
« .

قالت (روزان) : « أتيت للمشاركة فى
قيادة ونقل الخيول . فبالأمس أنتهينا من
ذلك فى مزرعتنا . ولم أكن أعرف أن لوك
هنا وتخيلت أن بإمكانى مساعدتك » .
قال (فيليب) بلهجة قاطعة : « إذن
فلتحضرى قهوتك وسوف أجهز لك
فرساً » .

وعندما عاد (لوك) يجلس بجوار (جوليا)
أغتنبت (روزان) إبتسامة صغيرة وهى
تقول :

« هل ستركب معنا الآنسة (ردفورد) ؟
هل يمكنك ركوب الخيل ... آنسة
(ردفورد) ؟

قال (لوك) بلهجة قاطعة : « حتى لو
كانت تستطيع فهلن تأتى معنا. إنها
ذات قيمة كبيرة فى أدائها لما تختص به .

(فجوليا) لم تأت إلى هنا لتكون أحد

الرعاة » .

أبتسم (فيليب) (لجوليا) وهو يقول

بسرعة : « على أية حال فأنا أريدها

لتناول العشاء معي الليلة في المدينة » .

بدا ذلك كأنه مجرد نبأ تسمع له

(جوليا). فهي لم توافق على الإطلاق

ولكنها بدت لها فكرة طيبة فردت

بإبتسامة سريعة . ورد (لوك) بصوت

حاد : « سندهب جميعاً وسنأخذ

(روزان) في طريقنا».

وبدا (فيليب) كأنه سيسحب كلامه

ولكنه وافق بطبيعته المرححة بينما بدت

العادة على (روزان) وبادرت بالذهاب

مع (فيليب) تاركة (لوك) الآن مادام

سيصحبها للعشاء الليلة . لم تجد

(جوليا) ما تقوله عندما أنطلق الأثنان!

إلى حظائر الخيول :

قال (لوك) بهدوء : « هل يزعجك أن
أصحبك أنا و(روزان) في موعدك مع
رفيقتك؟ »

قالت (جوليا) ببعض الحدة : « من
الصعب أن يسمّى ذلك موعد مع
رفيق ».

غمغم (لوك) بصوت خفيض : « هذا
شيء يدعو للرتاء . أعتقد أن هذا وقتاً
مناسباً لنسيان ذلك الطبيب . فإن
(فيليب) رفيق طيب كما سترين » .

تضايقت أكثر مما كانت تتخيل لتقبله
هذا الأمر بسرعة. وأصبح لزاماً عليها
أن تذكر نفسها بأنها هنا لفترة مؤقتة وأنَّ
السبب الوحيد لمجيئها إلي هذا المكان إنما
هو قلقهم بخصوص (جوستين) .
نخضت (جوليا) تجمع أشياءها وهي تقول
بسرعة : « من الأفضل أن أوقف
(جوستين) الآن وإلا فإنها لن تنام الليلة »

ونخض (لوك) يساعدها ثم تباطئت يده
وهو يناولها حاجياتها . ونظر إليها بتركيز
وقال : « أرجو ألا تعتقدين أننا نتركك
بمعزل هنا عندما نذهب لنقل الخيول .
إنه عمل خطير في بعض الأحيان . وقد
تعودت عليه (روزان) بعكسك أنت » .
وأستقبلت (جوليا) عينيه الداكنتين
الفاحصتين وقالت : « إن لدى جوستن
لأراها . أمنى الا أكون قد أعطيت
أحساساً بأنني شعرت بالأستياء » .

قال (لوك) : « شعرت بالأستياء ! . لا
ولكن بدا عليك قليل من الحزن
المفاجيء . أليس كذلك ؟ » وألقى
سؤاله الأخير بلهجة مأكرة ثم أردف
قائلاً : « إننى أرجو أن تكونى سعيدة
هنا » .

قالت (جوليا) وقد خفضت بصرها
مقلعة عن محاولة مواجهته : « كيف لا
يمكننى ذلك ؟ إن بإمكانى أن ارسم

لوحاتي و(جوستين) تعد نبعا للسعادة .

إنها تبدو كأجازة » .

قال بصوت رقيق: « أرجو أن تكون

أجازة طويلة » ورفع يدها إلى فمه ليطلع

عليها قبلة ناعمة ثم قال: « إذن إذا

كنت تشعرين بأنك سعيدة هنا إلى حد

كبير فإنني سأذهب . إلى اللقاء يا

(جوليا) » . وأنطلق مسرعا ليلحق

(بفيليب) و(روزان) بينما اضطربت

(جوليا) لرد فعلها عند لمسها . أتراها

واجهت ما يكفى من الشقاء ؟ ترى هل
أنسقت مرة أخرى وراء وحبها للحياة
لدرجة أن يذهلها ترك هذا الرجل
تاغامض وغير العادى .

كان الخروج لتناول الطعام خطأ أدركته
(جوليا) بمجرد الوصول إلى ذلك المطعم
. فقد كان يمكنها أن تستمتع به مع
(فيليب) وحده . كانت هناك فرصة
لمشاهدة أهل (كامارجو) . أولئك الرعاة
الذين أرتدوا ملابس السهرة وكانوا يحيون

(لوك) بمزيد من الأُحترام بينما حيوا

(فيليب) كأنة واحد منهم . وعلى الرغم

من ذلك فقد تجاوزت (روزان) الحد في

بيان أنهم لم يكونوا في لقاء رباعى . لقد

حرصت على إعطاء أنطباع واضح أنها

مع (لوك) . ورغم أن لوك نفسه لم يأبه

لذلك كثيراً فإن (فيليب) لم يكن مرحاً

كعادته .

ومراراً وتكراراً .. كانت عينا (جوليا)

تتجهان رغماً عنها إلى (لوك) . هناك

شعور مرعب بحتمية البقاء بجوار (لوك
مارشال) . كان لديها ذلك الشعور منذ
البداية وكانت تخشى أن يدرك ذلك.
أزاء اضطرابها الداخلى من سوء الأمور.
وعندما حان وقت أنصرافهم
كانت (جوليا) تتمنى لو أنها كانت على
بعد أميال . وتزايد فزعها عندما عرض
أحد جيران (روزان) الذى أنضم إليهم
هو وزوجته قبيل أنصرافهم أن يصطحب
(روزان) معه لمنزلها ليكفيا (لوك) مشقة

الرحلة . ولدهشتها وجدت (فيليب)
يتدخل قائلاً أنه سيصحبها لمنزلها كي
يتحدث مع والدها بخصوص مبيعاتهم
المستقبلية .

وجدت نفسها وحيدة مع (لوك) ولم يد
عليها سرور كثير لذلك .

وعندما أنطلقا بالسيارة قالت (جوليا) :
« أعتقد أنك أنت من كان ينبغي ذهابه
للحديث في هذه الأمور مع السيد
(دوبين) » .

قال (لوك) بلهجة غامضة : « ولم
تعتقدين ذلك؟ ففي واقع الأمر سيأتي
يوم يدير فيه فيليب أمور هذه الضيعة
التي نسكنها الآن. إن لي مكانى الخاص
. وعندما يصبح (فيليب) مستعداً تماماً

لتحمل المسؤولية

فسوف أترك له زمام الأمور. فلدى من
العمل ما يملأ وقتى بعيداً عن ذلك » .

قالت (جوليا) وهي تستوعب هذه
المعلومات الجديدة : « أوه ... لم أكن
أعرف ذلك » .

أتراه سيأخذ (جوستين) معه؟ هل
سيتزوج (روزان) ويرعى (جوستين)
كإبنته؟ إنهما مرتبطان ببعضيهما إلى حد
كبير. ومن الصعب عليه أن يخلفها وراءه
. وبعض الأندفاع قالت (جوليا) : «
أنا... أنا أفترض أن لديك خطأً لذلك

الوقت . أقصد بخصوص أستقرارك
وبدءك ذلك النوع من الحياة ؟ » .
التفت (لوك) إليها وقال بهدوء : « في
العادة يكون لدى خطأ . ما هي الخطئة
المحددة التي تقصدينها يا آنسة؟ »
وبدون داع بدا عليه بعض الغضب .
وبصوته الهاديء الساخر الزمها
الصمت . ولكنه عندما لم يتلق منها
أجابة أوقف السيارة فجأة والتفت يحدق
فيها . كان الظلام والصمت يلفان الكون

حوّهم شديد في عواطفها ملأها ضعفاً
وخوفاً مفاجئاً. كان من المتعذر تماماً
تعليل ذلك .

جلسا في سكون تام وقد أغلقا عيونهما
وقطب (لوك) جبينه ثم فتح عينيه بنظرة
واسعة تحديق في شفّتها اللتين سرت
فيهما رعشة خفيفة ثم انتقل ببصرة إلى
نبضاتها التي تنتفض مهتاجة في تجويف
عنقها الرقيق ثبتت نظرتة على عينيها
الزرقاويتين المذعورتين .

وسألها بحدة : « أى خطط ؟ ها أنت
مرة أخرى تنقبين عن حقيقة ... عن
سبب فما هو الآن؟ هل تتخيلن أن
جوستين تخشى أن أتركها وحيدة ؟ فهل
أنا ذلك النذل ؟ » .

قالت (جوليا) : « أنا لم أقصد ذلك
على الاطلاق ». حاولت أن تستعيد
موقفها القديم تجاهه ولكنها فشلت . لم
تمكنها رجفتها من ذلك . خرجت

كلماتها كأنها توسل . وتزايدت حدة
(لوك) . وغمغم غاضباً : « إنها
ليست فكرة طيبة ». كانت (جوليا)
مذعورة من مشاعرها الداخلية لدرجة
أنها لم تستطيع سؤاله عما يقصده.
أمتدت يده القوية تقبض على ذقنها
وتميل وجهها وهو يقول بصوت خافت :
« حسب معرفتي الأكيدة فلقد لقيت في
حياتك صدمتين قاسيتين . وليست فكرة

طيبة أن تجلبى لنفسك أذى آخر..

خسارة أخرى » .

كانت عيناه القاهرتان تحاصرها وكأنها
تستعبدها وأستطاعت بالكاد أن تهمس
قائلة : « أنا لا أدرى ماذا تقصد ؟ » .
وهز رأسه في غضب وقد أشتدت قبضته
: « قد تكونن لا تعلمين ولكنى أشك
في ذلك. إننى أراك شفاقه تماماً فى بعض
الأحيان وفى أحيان أخرى أراك سراً بهماً.
وعلى الرغم من ذلك فهناك شىء واحد

أعرفه وهو أنى أريدك على الدوام . فأنا
لا أريد أن أنظر فى وجه (جوستين)
عندما تخبرينها أنك سترحلين .
أبتسمت (جوليا) فى بطاء وهى تقول
بصوت خفيض: « لا يمكنى الأستمرار
فى البقاء هنا » .
عندئذ جذبتها يده وقال . بصوت اجش
: « إذن يجب أن أحاول وأقنعك يا
(جوليا) » .

وأطبقت شفتاه على شفتيها فأجفلت
لوهلة. ورغم أنها كانت المرة الأولى فهي
تدرك أنها أنتظرت ذلك لأيام وربما
لأسابيع. لم تكن قبله رقيقة ورغم ذلك
أرتخي جسدها وأنفجرت شفتاها وأمتدت
ذراعاها سريعاً تطوق عنقه .
لقد فاجأته وأحست بموجات الرعدة
تسرى في جسده وللحظة تحرك ليدعها
ولكن قلبه كان يخفق فوق قلبها . ومهما
كانت غريزة الشهامة والفروسية التي

جعلته يتراجع للحظة فإنه أحمدها

وأقرب منها ليرفعها بين ذراعيه ضاغطاً
بعنف على القبله .

عندما رفع رأسه كانت مشدوهه البصر
بينما كانت يده لا تزال ترفع وجهها وقد
أحكم ذراعه الأخرى حولها .

وغمغم قائلاً : « من النادر أن تأخذني
المفاجأة . لقد توقعت أن أواجه معركة
معك ... هل أنت وحيدته الآن بعد أن

تركك ذلك الطبيب ؟ هذا كنت

متجاوبة معي ؟»

قالت (جوليا) : « أنا لست كذلك » .

وغمرها الخجل فقد بدأت مقاومتها

متأخرة جدا.

صاح (لوك) : « بل أنت كذلك ... هل

تصرف فيليب بنفس المهارة؟

وأنسلت يدها ثم أرتفعت تهوى على

وجهه بلطمة قوية. ولكنه أمسكها

وقبض عليها بعنف إزاء صدره ثم قال

بهدوء : « إذن لقد عرفت الآن يا
آنسة . لقد تجاوزت حدود كرم الضيافة
ولكنك كنت بحاجة لهذه القبلة مثلى
تمامًا » .

كانت قدماها ترتعدان وقد جمدت
أعضاؤها والتصقت بالمقعد .
قالت (جوليا) بحدة : « عد بي للمنزل .
وإذا لمستنى مرة أخرى فسأعود لوطنى
مباشرة بصرف النظر عن (جوستين) » .

وأدار محرك السيارة ثم قال وهو ينطق بها
« أنا لا أعتقد ذلك يا (جوليا) ثم تابع :
« ألم أقل لك أنني سأغير حياتك؟ أنا لم
أدرك ساعتها إلى أى حد سأغيرها ولكننا
لم ننسى مناقشتنا على أية حال » .

الفصل السادس

أستيقظت (جوليا) على أصوات
وصرخات عالية. في البداية أعتقدت أن
هذه الأصوات تأتي من شفتيها كان
الأضطراب يسود أحلامها وهي ترى
(لوسى) و(جوستين) و(لوك) يسيران
خلالها في غموض. كانت روحها المتدمرة
تتعذب في وجودهم. ولكن الصراخ
أستمر وتعالَت الصيحات. وفي الحال

كانت تقفز خارج فراشها وتعدو في
الممر وقد وضعت رداء فوق قميص
نومها على عجل .

كان صوت (جوستين) يخرج متحشرجاً
هستيراً وهي تصيح : « لا . غير
حقيقى . لا . غير حقيقى . أوقفوها ...
أوقفوها » كانت (جوليا) تدرك كم كان
هذا الصوت الخطر مدمراً للطفلة .
أكتظ الممر بأهل البيت الذين أرتدوا
قطعاً متباينه من الملابس على عجل .

وعندما وصلت (جوليا) إلى حجرة
(جوستين) رأت لوك يحاول تهدئة الطفلة
. لقد أستيقت (جوستين) ولكن بدا
واضحاً أن الكابوس لم
ينته . كانت أحداثه لا تزال تؤثر عليها
وكانت تقاوم كل جهود (لوك) لتهدئتها
. وبدأت ترفض تماماً حتى مجرد أن يقترب
منها.

وعندما وقعت عيناها على (جوليا)
صاحت : « (جوليا) ... (جوليا) »

ومدت ذراعيها فتنحى (لوك) جانباً
يرقب في صمت بينما أحتضنت (جوليا)
الطفلة المهتاجة .

وهزتها (جوليا) برقة وهى تقول بصوت
ناعم : « لقد ذهب الآن . إنه مجرد حلم
. وقد أنتهى الآن تمامًا » ولكن جوستين

كانت بادية الزعر وقد تصلبت
اعضاؤها ودست رأسها فصمدر
(جوليا) وهى تتشبث بها فى

توتر .

أرتجفت (جوليا) عندما تنبهت أن الطفلة
تهمس بصوت خفيض لدرجة أن كلماتها
لم تكن مسموعة . التقت عيون
(جوستين) و(لوك) فأدرك أن الطفلة
تريد أن تقول شيئاً (لجوليا) بمفردها .
كان الباقيون قد تراحموا بإضطراب في
الحجرة فقال لهم (لوك) بصوت هادئ
: « يجب أن نتركها (لجوليا) من الواضح
تماماً أنها لا تريد أى شخص آخر . أعتقد
أنها ستكون فكرة طيبة لو ذهبتم جميعاً

إلى الفراش . سوف أعد (جوستين) كوباً
من اللبن ولا شك أن (جوليا) سوف
تتمكن من تهدئتها خلال ذلك .
وقبلوا كلامه بدون مناقشة وسرعان ما
خلت الحجرة وراى عليها الصمت
ورفعت جوستين وجهها الممتلىء
بالدموع وقالت :

« لقد قتلت والدى يا (جوليا) . كان
خطئى أنا ... لقد حاولت أمى أن تقتلنا
جميعاً ... بسببى » . هزتها (جوليا) برقة

وهى تقول : « صه ... صه ... لقد

كانت حادثة تصادم , والجميع يعرفون

ذلك يا عزيزتى . »

سمعت (جوليا) نحيب الطفلة يخفت

وأحست بيديها المتشبثتين ترتخى قليلاً ثم

قالت :

« لا ... لم تكن حادثة تصادم . إنهم لا

يعرفون ... لقد قتلته هى . ولا يمكن

لعمى (لوك) أن يبوح بذلك . »

ودخل لوك في هذه اللحظة يحمل كوباً
من اللبن الدافئ لكن (جوستين) تحاشت
نظراته ولم تتقبل الكوب إلا عندما ناولته
لها (جوليا) . ترددت في الكلام حتى
نظر (لوك) إلى (جوليا) ثم خرج من
الغرفة .

كان ينتظر خارج الغرفة عندما خرجت
(جوليا) وقد أستطاعت أخيراً أن تهدئ
(جوستين) . قال بصوت هادئ : «
فلتأت إلى الطابق الأرضي . سوف أعد

شراباً لنا . إنك تبدين مضطربة بعض
الشيء كما أننى لا أستطيع القول بأنى
أجد عظمى سعادة فيما حدث .
وتبعته (جوليا) فى صمت . كانت
كلمات (جوستين) لا تزال تدوى فى
عقلها . يا له من أحساس وهمى بالذنب
ذاك الذى الطفلة . إنه لم يتلاشى بأى
وسيلة وقد كان من الحماقة أن تفكر فى
أى اتجاه آخر . إن العقل الذى يستطيع
أخذ قراراً بالصمت كان يعانى من

مشكلة خطيرة ويجب أن تبقى هنا حتى
تكتشف السر في ذلك .

ناولها (لوك) فنجان من القهوة وهو
يقول بلهجة تأكيدية : « لقد قالت لك
شيئًا ؟ » أومأت (جوليا) موافقة وقد بدا
بعض من الحذر في عينيها .

قال بصوت قلق : « فلتحكه إذن . أنا
أعرف أنه يرتبط بي لقد ظهر الشك مرة
أخرى على وجهك . فإذا كنت أنا نذلاً

خسيساً فيجب أن أعرف ما يتعلق

بذلك .

جلست (جوليا) إلى مائدة طويلة ذات
أرجل قصيرة في المطبخ الدافئ وواجهته
مباشرة وفي تقول بهدوء : « أنت مخطيء
تماماً . إنني كلما عرفت شيئاً أجده لغزا
محيراً » . ثم سألته فجأة « من الذي
كان يقود السيارة عند وقوع الحادث ؟

«

قال (لوك) بدون تردد : « (جوليس) »

ثم جلس على حافة المائدة ونظر لها

قائلاً : « عندما عثروا على السيارة كان

(جوليس) لا يزال أمام عجلة القيادة .

ولم يتساءل أحد عما إذا كانت

(دابردرى) هى التى تقود

السيارة » .

تساءلت (جوليا) بصوت هادىء وقد

ركزت نظراتها المتسائلة على وجهه : «

إذن فلماذا تصر (جوستين) على أن

والدتها قتلت والدها ... بل وحاولت

قتلهم جميعاً » .

وللحظة بدا (لوك) مندهشاً ثم ضاقت

عيناه في تفكير عميق وقال:

« لماذا لم تخبرني بذلك؟ أنا لم يكن لي

دخل فلا أدري لماذا لم تخبرني ؟ لماذا

تجنبتي ؟ فعلى مدى طفولتها كانت

تلتصق بي عندما يغيب (جوليس) . ولم

تدجأ لوالدتها على الإطلاق . لقد كانت

(دابردري) متبلدة الشعور تماماً تجاه

الطفلة ... لماذا خصتك أنت بذلك يا

(جوليا) ؟ »

قالت (جوليا) بصوت رقيق : « لقد كنت على خطأ عندما تخيلت أنها بحاجة إلى أم جديدة » وأكتست ملامحها بالتعاطف عندما رأت نظرة جريئة في عينيه الغامضتين ثم أستطردت تقول : « لقد أتجهت لي لأنني صديقه هذا كل ما في الأمر. ولقد أخبرتني لأنني ليس لي دخل . وهذا ليس غريباً . لقد كانت

آخر كلماتها أنك ليس بإمكانك البوح
مطلقًا . وأنت لن تذكر أى شيء حتى
نصل إلى حل هذا الأمر بأكمله .
بدت الدهشة على وجه (لوك) وهو
ينظر لها نظرة عميقة قائلاً : « لا يمكنى
البوح بذلك مطلقًا ؟ » .
ولم يكن لديها شك فى أن (لوك) له
دخل بالأمر أيا كان ما تخيلته (جوستين)

بدا (لوك) منهكاً وهو يقول : « لا يبدو
أن هناك نهاية لذلك الأمر » . وخفض
قلب جوليا أشفاقاً عليه فقالت مؤكدة
بصوت هادئ « ستكون هناك نهاية.
لقد أحرزنا بعض التقدم. فمند وقت
ليس بالبعيد لم تكن
(جوستين) تتحدث أطلاقاً. والآن فقد
بدأت تخبرنا. بالسبب . وسنصل إلى
أغوار هذا الأمر... فلا تنزعج » .

وخلال تعاطفها معد أمتدت يدها تلمس
يده فرفعها على راحته القوية وأخذ ينظر
إلى الأصابع الرقيقة ترقد في دفء يده .
وأرتفعت عيناه تتابعان نظراتها وقال في
هدوء : « إذن فإنك لن تهجريننا ؟ »
وتوردت وجنتاها قليلاً بينما وقفت
رابطة الجأش وسحبت يدها في رفق وقد
التفت عيونهما . وأنفجرت شفتاها عن
أبتسامة رقيقة وهي تقول بهدوء : « إنني

لا أترك عملاً وقد أنجزت نصفه فقط يا
سیدی « .

وقف (لوك) فأمتدت يده تميل ذقنها
لأعلى وهو يقول « من الصعب أن
تكوني الممرضة (ردفورد) بينما ترتدين
قميص نوم جميل وتضعين فوقه رداءً
حريراً . اليس كذلك؟ وعلى كل حال
فقد فعلت ذلك على نحو طيب يملؤني
بالأعجاب » ثم تابع قائلاً : « في الغد
سوف أدبر محيىء معلمة (جوستين). قد

يكون من الأفضل أن يكون هناك ما
يشغل تفكيرها. الست توافقينى ؟ » .
قالت (جوليا) : « بالتأكيد » .
وخشيت (جوليا) أن تبعد عنه مخافة أن
يتلاشى لطف أسلوبه ورقته . كان هناك
شيئاً دافئاً وخاصاً في بقائها هنا مع
(لوك). وبدون مبالغة فيمكنها أن تبقى
طوال الليل تنظر إليه .
قال (لوك) : « أنت أيضاً لست مربية
أطفال. إننى أشعر بالذنب عندما أتذكر

كيف كنت أعاملك وكيف كنت أثقل
عليك بطلباتي . أنا لا أطلب منك رعاية
(جوستين) وإنما فقط البقاء هنا لأننا
بحاجة إليك .

وتعلقت عيناها بعينه . ورغم كل
تحذيرات عقلها الملحة فقد قالت في
صوت رقيق : « سوف أبقى » قال
لوك بصوت هادئ وهو يتفحص
ملامح وجهها : : « أنا في غاية الأمتنان
ياعزيزتي . وسوف أظل أذكر

مدى ما تحملت من الأذى. والآن قد
يكون من الأفضل أن تذهبي للفراش .
تصبحين على خير يا (جوليا) .
فزعت عندما وجدته يستدير ويخرج من
الحجرة وأدركت أنها أصبحت فى منتهى
الوضوح بالنسبة له. وأصبحت انفعالاتها
مقروءة أمام عينيه . ورغم ذلك فمن
الممكن أن تأتى (روزان) هنا فى أى وقت
. لذا أحست (جوليا) أن عليها أن تئد
مشاعرها تجاه (لوك) إذا ما كانت ستبقى

حتى يتم شفاء (جوستن) . والآن وقد
أعطت وعداً.. أخرجت. زفيراً عميقاً
وأتجهت لحجرتها وكان السكون والظلام
يخيما على المنزل .

عادت الأمور إلى طبيعتها. فقد جاءت
معلمة (جوستن). وأصبح معظم اليوم
ينقضى في الدروس . وببساطة أصبحت
(جوليا) صديقة. كانت صديقة تبحث
عنها (جوستن) . دائماً. أصبح متاحاً لها
الآن وقت

كاف لرسم المزيد من اللوحات والتجول
في الحديقة بدون (جوستين) . كان عقلها
يعمل باستمرار ولكن أيا كان سبب
مشاكل الطفلة فهو لا يزال كامناً تحت
السطح .

كانت فرصتها محدودة لتصريف الأمور
بما يتوافق مع (جوستين) حتى تصل إلى
السر وتنقش مخاوف الطفلة . لقد وضع
نظام محدد لتقديم الدروس . وأصبحت
(جوليا) تعرف بالضبط أوقات فراغ

(جوستين) . وكانت دائماً تترقب في أمل
أى أكتشافات جديدة ولكن لم يحدث
شيء .

وبمرور الوقت أصبح (لوك) يمضى وقتاً
أطول خارج المنزل وكان يظهر في وقت
العشاء فقط .. وحتى في ذلك الوقت لم
يكن ممكنَ التحدث إليه . كانت (روزان
دوين) تأتى للعشاء بصفة منتظمة أقنعت
(جوليا)

أنها يومًا ما ستتزوج (لوك) . كان من
الواضح أن (لوك) مغرم بها كما أنها
كانت تعرف من أمور المزرعة ما يعرفه
(لوك) و(فيليب) . كانت (روزان) تنضم
إلى أحاديثهما بعد العشاء بينما كانت
(جوليا) تنضم (للوسيل) و(ماريس) .
وكانت كل منهما تبدو يومًا بعد آخر
كأنها صديقة قديمة .

وفي أوقات فراغها كانت تتجوك في
المنطقة المحيطة بالمنزل ولكنها لم تكن

تبتعد كثيراً لأجل (جوستين). فيوم ما
سيحدث تصدع في الدرع الذى تحيط
الطفلة نفسها به . وترغب (جوليا) أن
تكون هنام عندما يحدث ذلك .
لاحظت (جوليا) أن الطيور لا تبقى في
المستنقعات . فهى تمر بالمرعة ثم تواصل
طريقها نحو مراعى الكلاء وأتخذت
(جوليا) لنفسها مخبأ صغيراً عند بوابات
المدخل . وحبست أنفاسها فى شغف
عندما أقتربت منها الطيور وأستطاعت

أصابعها الماهرة . أن تسجل حركتهم
والوانهم وكل ما يحيط بهم .
وبالفعل أصبح لدى (جوستين) الآن
لوحتين جميلتين تعلقهما على جدران
حجرتها. كانت إحداهما لطائر البلشون
الأبيض وقد وقف ساكناً تحت أشجار
السرخس . وأما الأخرى فكانت لطائر
مالك الحزين محلقاً وخلفه سماء قاتمه تنذر
بالعواصف. كانت لوحتن جميلتن بارعتين
جداً وكانت تدرك ذلك . كانت أجمل ما

رسمت على الأطلاق وكانتا تحملان ذلك
الغموض الذى تستشعره هنا. كان جمالاً
أخاذاً تشوبه مسحه مثيره من الخطر .
لم يزد (لوك) على أن وجه لها نظرة
جامدة عندما عرضت عليه (جوسين) فى
أثاره هاتين الهديتين اللتين رسمتهما
(جوليا) لحجرتها . ومؤخراً أخذتها
(جوستين) لحجرتها لتريها النتيجة
النهائية. لقد أخذ عمها (لوك) اللوحتين
لعمل أطارات لهم ثم هما تلمعان على

الجدار خلف فراشها وقد تم وضعها في
إطارات أنيقة كأنها صور لبعض العظماء
القدامى . وأجتاحتها ذلك الشعور الغير
مريح بأنه قد أحس حالتها النفسية
القلقه فكانت هذه الأطارات الثمينة
مكافأة لها لتدئها . كان ذلك أشبه ما
يكون برسالة صامته رغم أنه يبدو الآن
كأنه يعمل على الابتعاد تماماً عن طريقها
ولم يعلق على عملها مطلقاً .

وفى أحد الأيام كانت (جوليا) سعيدة
بمخبئها عندما هبت على (كامارجو)
رياح أقوى من أى وقتًا مضى. فى ذلك
اليوم كان لديها وقت أطول ولكنها
كانت تشك فى مجيء الطيور. لقد
ذهبت (جوستين) مع جدتها لتمضية فترة
ما بعد الظهر فى زيارة بعض الأصدقاء
فى قرية مجاورة. ورفضت (جوليا) قبول
الدعوة لمصاحبتهم . فقد كانت
(جوستين) فى مأمن مع (لوسيل).

وشعرت (جوليا) نفسها بأنها في حاجة
للأسترخاء في سكون مخبئها الصغير بجوار
البوابة .

أفاقت من أحلام يقظتها عندما سمعت
صوت توقف سيارة لاندروفر . كانت
السيارة تمر جيئها وذهاباً عبر الطريق
ولكنها لم تكن تتوقف على الإطلاق .
وأحست بالقلق عندما أطل (لوك)
بوجهه الداكن الخالى من أى تعبير .

قالت (جوليا) كأنها تدافع عن وجودها
في هذا المكان » لقد خرجت جوستين
اليوم مع جدتها « إرتفع حاجباه
السوداوين في سخرية وهو يقول : »
إننى أعرف ذلك ... لا تكونى متحفرة
للدفاع عن نفسك . أنت لست خادماً
ضبط يقطع من وقت العمل « .
قالت (جوليا) : « لقد كانت مجرد
ملاحظة فليس هناك ما يدعونى للدفاع
عن نفسي » كادت تحتق تحت وطأة

دقات قلبها المتسارعة وكان هو كعادته
مهيمناً بالغ الصمت وقد أنحنى ينظر
إليها.

كان صوتها قد أستحال حاداً بدافع من
قلقها وأحاسيسها فأستقام (لوك) واقفاً
وهو يغغم :

« لتخرجى من هذا المكان فأنا لا
أستطيع أن أراك جيداً. وأنا أرفض تماماً
أن أجثو على ركبتى لأحرق فى امرأة » .

كان ينتصب بقامته السامقه بينما مضت
(جوليا) فى بطء تنفض الغبار عن ثيابها
وتتناول حاجياتها .

فال (لوك) : « دعيها كما هى فلن
يجرؤ أحد على مسها فهذا العش
الصغير وما يصدره من بهجة يثير عجب
الرعاة وإننى أتخيل أنهم يغيرون طريقهم
ليشاهدوه عند مرورهم . وبالتأكيد تكون
عيونهم معظم الوقت على هذا المكان
أكثر مما هى على الخيول » .

قالت (جوليا) بتهكم : « إنه ليس
خطأى » وتجنبته يده عندما مدها
ليساعدتها على الخروج وهو يحدق فيها
بعينه السوداويتين الباردتين . وقالت :
« ليس لى دخل بمخاوف أهل)
كامارجو) ولا شك أنها غبية
تماماً » .

قال (لوك) ساخراً : « رغم وجهك
الرائع فإنك أحياناً تمتلكين لساناً كمبرد
من الصلب » وبدا كأنه يأخذ الأمر على

محمل المزاح الخالص وهو يقول : «
اركبي اللاندروفر وحاولي التحكم في
أعصابك.. إننا لم نتحدث منذ بعض
الوقت. وليس لدي الآن أى نزعات
عدوانية بعكس ما ينبىء به وجهك » .
وإزاء هذا التحكم صعدت (جوليا) إلى
السيارة بوجه صارم وهى تلملم أطراف
ثوبها الذى يكشف عن كتفها. وحاولت
أن تبدو هادئة .

فرما كانت بحاجة لمن يحتسى معها شاي
العصر؟ إن (روزان) لن ترغب في ذلك.
وفجأة المت بها وخزة لا إرادية من الغيرة
وتنبهت إلى أنها قد جمدت في مكانها
وهي تقبض بيدها باب السيارة المفتوح ,
وأرتفع الحاجبان الداكنان في سخرية.
وأعترأها ذلك الأحساس المؤكد بأنه قد
قرأ أفكارها ووجدتها مضحكة تماماً.
أشاحت بوجهها بدا فصفق (لوك) الباب

ثم صعد إلى جوارها وأستدار بالعربة
الثقيلة في دائرة ضيقة مندفعاً
إلى الخارج بعيداً عن المزرعة في سرعة
مفاجئة جعلها تتشبث بمقعدها .
كان الذعر والهلع يغلفان صوتها وهي
تقول: « أين نحن ذاهبان؟ »
قال بهدوء واثق: « زيارة يا آنسة »
وأتمجه إلى طريق جانبي وعمر.
قالت: « لكنني لم أرتد ثياباً تصلح
لزيارة أحد » . ونظرت باضطراب لثيابها

المجعدة ولكنه رمقها بنظرة سريعة بدت
كأنها أحاطت بكل هيئتها .

قال

0لوك) : « بالنسبة لهذه الزيارة فإنك

ترتدين ثياباً ملائمة تماماً » .

ولزم صمته المعتاد وقررت (جوليا) أن

تخذو حذوه . لم يكن لديها الوقت

الكافي لتعد نفسها بهذا اللقاء مع (لوك)

وأدركت أنها كانت في كل يوم تعد نفسها

لللقاء دون أن تنتبه لذلك . أحست طول

الوقت أن قدمها تغوصان في مياه لا
قرار لها. فمنذ حديثهما في المطبخ وهو
يكاد يتجاهلها ولكن ذلك الأحساس
الكهربائي كان موجوداً في كل مرة
يوجدان فيها معاً في نفس الحجرة. ورغم
أنه لم يقل شيئاً فهي تعرف أنه
كان يحسه أيضاً .

كلما رفعت إليه بصرها وجدت عيناه
تحدقان فيها وقد بدت غامضة ملتهبة
ومليئة بنظرة قريبة من الغيظ . لم يكن

لديها إختياره المجيء إلى هنا في عصر
ذلك اليوم . بدا له أن تجنبها هو أفضل
الحلول . وأتضح أنه ليس
لديه أدنى رغبة في الحديث إليها . كانت
تشعر بالغضب تجاه نفسها وبغضب
صبيانى تجاهه .

مرا بكوخ أحد الرعاة قرب المدخل وهما
يسيران فى الطريق المنعزل الذى بدا كأنه
يؤدى إلى ضيعة أخرى . كان هناك الكثير
من الخيول وأشجار السرخس ونباتات

المستنقعات ولكن المكان بدا موحشاً

منعزلاً وغريباً أكثر منه جميلاً.

وبدا هما منزلاً ذا جدران بيضاء تحوطه

الحدائق المنظمة في عناية . وكتمت

(جوليا) أنفاسها وهي تحملق في أحد

طيور البلشون وقد وقف بلا حراك بين

المراعى وكأنه تمثال ثم حلق في السماء

الصامته .

أوقف (لوك) محرك السيارة فساد صمت
مطبق وهدوء يكاد يكون مخيفاً حيث
جلسا ينظران للمنزل .
رمقته (جوليا). بنظرة سريعة وهى تهمس
: « إنه هاديء جدا » .

قال (لوك) : « هل يزعجك ذلك » .
قالت (جوليا) : « كلا إنه جميل جدا ..
من الذى يعيش هنا ؟ » .

قال (لوك) : « أنا أو بالأحرى عما
قريب أنوى أن أكون هنا عندما يصبح

بإمكان (فيليب) أن يتحمل مسؤولياته
وميراثه. وعندما سيصبح بإمكانى تحقيق
رغبى أن أعيش هنا» .

وفجأة أبتسم كأنه شخصاً آخر ثم وثب
خارج السيارة وصفق باب السائق بشدة
ثم أستدار إلى الجانب الآخر وقال : «
تعالى إذن يا آنسة ودعينا نحدث قليلاً
من الضوضاء ونطرد الشياطين بعيداً»
وقبل أن تلتقط

أنفاسها كان يرفعها بيديه وقد أمسك
بخصرها وحملها خارج السيارة أوقفها
على قدميها.

كانت صالة المنزل رحبة ذات عوارض
أفقية قديمة وكانت أضائها جيدة وقد
بدت الصالة داكنة اللون تنبيء بعمر
عريق. كانت الجدران تزدان بلوحات
زيتيه لثيران ضخمة سوداء ضارية وتحت
كل منها إسم

ما .

أشار (لوك) بيده وهو يقول : « هذه
ثيران الماضى الولود العظيمة التى
أسست ثروة عائلتى . إننى فقط أنبهك
لذلك حتى لا تعتقدين . إنهم أجدادى »
وضحك فجأة وتناول يدها بمرح ثم
قادها إلى حجرة الصالون الفسيحة التى
أتضح أن كل ما ينقصها هو لمسة المرأة
لكى تبدو فى أكمل صورة .
وقفت (جوليا) منبهرة بينما تندفع
نظراتها فى كل مكان . جعلها صوته

الضاحك الآتى من خلفها تشعر بخجل
وهى تعى ما يعتمل بداخلها .
قال بلهجة ضاحكة : « غيرى فيها ما
تشائين بشرط ان يكون ذلك نظرياً فقط
« وأبتسم لرؤية وجهها الوردى ثم قادها
لمشاهدة باقى المنزل . كان من العسير
الا تبدى اقتراحاتها لإعادة الترتيب فى
كل حجرة وهو يعرف المعركة التى تستخدم
بداخلها .

وعندما عاد بها مرة أخرى إلى الصالون
قال لها : « أخبريني عما تريده بشأنها
وعندئذ ستكون لك مكافأة ... سوف
أصنع لك قهوة بنفسى » .
قالت (جوليا) : « هل ... هل لا يوجد
أي فرد هنا ؟ » كان سؤالاً غيباً لأنه
تعرف أنهم بمفردهم .
قال (لوك) وقد بدا عليه المزاح أكثر من
أى وقت مضى : « أنا هنا .. وأنت هنا

« وتمنت لو أنها لم تتحدث على

الإطلاق .

قالت (جوليا) : « لماذا ... لماذا

أحضرتن إلي هنا ؟ واستدارت وأتجهت
نحو النافذة وقد بدا عليها القلق رغبةً في

الإنصراف .

قال (لوك) : « لقد أحضرتك لأريك

منزلي ... منزلي الخاص حيث سأعيش
هنا باقى حياتي , لقد أعتقدت أن ذلك

شيئاً يهملك . فأنت مهتمة بأشياء كثيرة
« .

قالت (جوليا) : « بالطبع ... فإن (
كامارجو) مكان ساحر . وأنت تمتلك
الكثير من الأرض . وربما أعود يوماً ما
لأرى (كامارجو) مرة أخرى » .
قال (لوك) بصوت هادىء حاد : « ها
أنت مرة أخرى تفكرين فى الرحيل
المبكر » .

قالت (جوليا) : « كلا . ولكننى لا
يمكننى البقاء هنا . وانت تعرف ذلك .
أن لى عملى الخاص بى . أنا لا أتحدث
عنه ولكنى أفقدته وأفتقدت أبى » .
وسألها وقد أرتسم على وجهه بعض
الحزن : « إننى غير عادل بالنسبة لك
اليس كذلك؟ لقد طلبت منك أشياء
ليس لى الحق فى طلبها وقتك ...
وصبرك ... وشفقنك ... وحتى فى هذه

اللحظة فقد أنتزعتك من شيء كنت

تستمتع به وأحضرتك إلى هنا» .

إستدارت (جوليا) وقالت بسرعة: « أنا

سعيدة بوجودي هنا . فقد أخبرتك بأنني

مفتونة (بكامارجو) . إن هذا بيت جميل

وإن بدا موحشاً ولكني لا أفترض أنك

ستأبه لذلك عندما تتزوج » .

قال (لوك): « أوه .. إنك تخططين لي

حياتي مثلما أهتمني ذات مرة بأنني

أحاول تعديل حياتك» ,

استدارت (جوليا) إلى النافذة مرة أخرى
وهي تقول : « كلا بالطبع » ثم أندفعت
قائلة « لكن من الواضح أنك ستحتاج
زوجة . وحيث أنك من ملاك الأراضي
فأنا اتخيل أن تركة (روزان) ستجعل
أملاكك كأنه أمبراطورية صغيرة » .
وغاص قلبها عندما قال : « يمكنها
ذلك » .

ثم دنا منها حتى وقف خلفها تمامًا
فقالت بصوت حاد : « من الأفضل أن

ننصرف الآن . لقد كان جميلاً منك أن
تريني منزلك ولكن لا بد من قطع مسافة
طويلة بعض الشيء للوصول إليه »
كانت هناك درجة معينة من الدعر في
صوتها عندما همت بالأستداره تجاهه .
قال بصوت هادىء : « لقد تخيلت أنه
يستحق ذلك » .

وأمتدت يداه تحيطان بخصرها وجذبها
ناحيته ثم أمسك بكتفيها وأدارها تجاهه
وهو يرفمها حتى يكاد يقتلع قدميها من

على الأرض وضمها إلى جسده القوى
وهو يقول : « لا يمكنني الاستمرار في
مشاهدتك ولا ألمسك » .
وأحكم إحدي ذراعيه حولها بينما دس
يده الأخرى في شعرها وجهها إلى
وجهه... ولم يكن هناك مهرباً . قال :
« من الواضح أنني يجب أن أتخذ قراراً
بشأنك لقد توقفت حتى اليوم عن
القول بانك . سترحلين ولكنني أرى
ذلك على وجهك دائماً أتوق أن أواجه

رحيلك في كل يوم تقريبًا . وفي هذه
الأثناء فإنني أغرق نفسي في العمل حتى
أتجنبك . ربما لكى أحرر نفسي من
مشاعري التى تغلى بداخلى فى كل مرة
أراك فيها .

كان بادی الأنفعال وتوترت (جوليا)
عندما أطبق شفتيه بشدة على شفتيها
بينما كانت ذراعاه كأنها سجن حديدى
يحيط بها .

وأنصهرت شفتاها تحت شفتيه ولم يكن
ليدعها هذه المرة .

وأحست أن بداخلها نيراناً مستعرة ولهباً
متقدداً إزاء كل حركة من حركات جسده
وكأنها غابت عن الوعي كان تذكرها
للمكان هو الذى جعلها تتجمد بين
ذراعيه . وأيضاً تذكرها (لروزان) . لقد
كان (جراهام) يريد لها أيضاً ولا يزال
يريد لها ولكن ليس كزوجة . ومن
المفترض أن تصبح (روزان) زوجة (لوك)

فأرضهما متداخلة وهما من أهل
(كامارجو) . ألم ترى الطريقة التي كانت
تتقارب بها رؤوسهم : (فيليب) و(لوك)
و(روزان) وهم جميعاً يفهمون بعضهم ؟
وكانت هي الأجنبية الغربية مجرد متعة
مؤقتة (للوك) .

وتصلب جسدها وأدارت رأسها جانباً
وقد بدا الرفض في كل هيئتها وتراجع
ينظر إليها وقد ضاقت عيناه تحديقان في

وجهها. وللحظة لم يقل شيئاً بينما كان

ينظر إليها بعيون يقظة باردة .

قال بصوت متوتر: « أنت لا تثقين في

كما ينبغي .. اليس كذلك يا (جوليا) ؟

ففى داخل أعماقك هناك ذلك الاعتقاد

بأننى مسئول عن مشاكل (جوستن)

والآن فأنت تعتقدين أنى أقصد التغير

بك قبل أن أعيدك لوالدك , أنا أفترض

أنك لم تبرى من حبك لذلك الى التافه

. أنت لم تعودى امرأة برغم أنك تنظرين

إلى بعينى امرأة وبرغبة امرأة. لا تخش
شيئاً يا عزيزتى فقد عقدت العزم على
أعادتك قبل أن تتطور الأمور» .
أعادتها كلماته إلى الواقع . إلى
شخصيتها الخاصة وإدراكها مدى ما
يمكن أن يؤدى إليه مثل هذا الأمر
وصدمت مشاعرها وأهتز كيائها لأنها
سمحت لنفسها بالهجر هنا مع (لوك) وى
تعرف جيداً ما يحمله مستقبله .
قالت : « كنت » .

ونظر لها بهدوء وقال ببطء محذراً : «
كنت تريدني أن أستمّر» ثم أضاف : «
بالرغم عن خطبتك لذلك الطيب فأنت
مغفلة وتجهلين عواطفك وكأنك طفلة إن
العواطف قوية في (كامارجو) . سوف
أعود بك للمنزل .»
تورد وجهها الجميل خجلاً وهي تقول:
« إنه ليس بيتي . أنا أعيش في انجلترا.
وبالطبع فالآن يجب أن أعود لبيتي في
الحال» .

قال بتوتر : مدير عام

المحتوى التعليمي

د / خالد الدجوى

قال بتوتر « أن لا أعتقد ذلك » وقادها

إلى الباب ثم إلى الظلام الحالك وهو

يقول : « ستبقين من أجل (جوستين)

لأنك لا تستطيعين ترك الأمور تسير

أعتباطاً. أنت ممرضة محترفة ولم تبرأ

(جوستين) بعد . لقد بلغت الممرضة

فيك القمة . بينما لا تزال المرأة خائفة

ومترددة . أنا استطيع أن أحعلك تبقيين
... , لأجلى » .

قالت (جوليا) بحدة وهي تحاول الأبتعاد
: « لا تخدع نفسك » .

قال بغضب : « نادرا ما أفعل ذلك »
ورفعها إلى للاندروفر ثم تابع قائلاً :
« وبالنسبة لك فأنا لا أخدع نفسي على
الأطلاق . ففي أى وقت أجيء إليك
سوف تأتين في ولكنك لست من أهل
(كامارجو) وأنت ضيفة في منزلى » .

ولم يعد هناك حاجة للتفكير. كان صامتًا
في طيق عودتهم مثلما كان في مجيئهم .
شعرت بالأرتياح لدى رؤيتها (لوسيل)
و(جوستين) الممتلئة إثارة عندما توقفوا
أمام ضيعتهم وصاحت (جوستين) : «
لقد أنهيت لتوى من تناول طعامى .
ووثبت جوستين وهى تعدو تجاه (لوك)
الذى نزل من

اللاندروفر ثم قالت : « لقد أكلت سمك
بورى وهليون وأرز وفراولة . لقد أكلت
حتى آخر كسرة من الطعام » .

رفعها (لوك) بين يديه وضمها إلى صدره
وهو يقول : « سوف تكونين أكثر سمينة
من بطة » .

وفجأة تخيلت (جوليا) صورته مع طفله
أو طفلته .. ولد أو بنت لها شعر داكن
ويبدو عليهما طابع أهل (كامارجو) .

ترقرقت بعض الدموع في عينيها وهي
تدرك أنها أعطت نفسها بين ذراعيه حباً
وحشياً وقوياً لدرجة أنها لا تستطيع أن
تصدقته . كان الحب الذي تخيلته مع
(جراهام) ضحلاً وهشاً ولكن أحساسها
تجاه لوك كان مليئاً وعميقاً كان عاطفه
تشك أنها تقدر عليها.

وأسرعت (جوليا) لحجرتها وبدلت
ملابسها على عجل أستعداداً لتناول
العشاء وأحست بسعادة بالغة عندما

كان الطرق على بابها من (جوستين)

وليس من أى إنسان آخر.

داعبتها (جوستين) بابتسامة عذبة وهى

تقول : « هل ستأخذينى للفراش يا

(جوليا) ... إننى متعبة ومتخمة جدًا » .

جلست (جوليا) على حافة فراشها

وقالت : « إنك ستكونين أفضل خلال

أيام قلائل » وأخذت تنظر للطفلة

الصغيرة وترى كم كانت ضعيفة ضئيلة

عندما رأتها لأول مرة ولكنها الآن أقوى
إلى حد كبير. وأضافت
(جوليا) :

« سوف يكنى العودة إلى وطني عندئذ
« . وفي الحال قبضت (جوستين) على
يدها وهي تقول بقوة : « اوه ... لا ...
لأن يدعك عمى (لوك) تذهبين . لقد
قال ذلك عندما أخبرته بأننى أريد بقائك
هنا وأنا أريدك أن تبقين للأبد » .

الهذا الحد تبلغ ثقتها في عمها (لوك).
وحاولت (جوليا) أن تضحك ولكنه كان
صعبًا بينما الوجه الصغير الجميل يمتلئ
بالنوم .

قالت (جوليا) برقة : « سوف نرى ذلك
أبتسمت (جوستين) وهي تغالب النوم
وقد كادت عيناها تغلقان وهي تقول :
« أنا أحب أن أسمع منك ذلك . فهو
يعنى أشياء طيبة بالنسبة لى . إننى أكون
سعيدة وأنت هنا يا (جوليا) . ويومًا ما

ستحسن كل الأمور . وسيشملنا – أنا
وأنت – عمى (لوك) برعايته .

الفصل السابع

فى اليوم التالى فوجئت (جوليا) بعودة
(فيليب) مبكراً وهو يقود سيارة (رينو)
صغيرة أوقفها فى جانب الطريق بحركة
شبه مسرحية. وأشار لها وقد غطت
الأبتسامة وجهه وهو يقول :
« الآن أصبحت مفيداً فقط كصبي
لتسليم الرسائل ».

أقبلت (جوليا) تنظر إليه بإرتياب فتابع
قائلاً : « لا تنزعجى يا (جوليا) . لقد
أرسل الأخ الكبير هذه السيارة لك وهو
يقول أنك مقيدة جداً وحبسه في هذا
المكان وأستخدام هذه السيارة سيمنك
من السفر بعيداً بين الحقول بينما ترسمين
هذه الأرض العريقة » .

دارت (جوليا) حول السيارة الصغيرة
ذات اللون الأصفر اللامع وهى تقول :
« أنا ... أنا مندهشة. هل أنت متأكد

يا (فيليب)؟ أليست هذه واحدة من
مداعباتك الفريدة التي ستقودني
للمشاكل؟ » .

وعندها رأى دهشتها وضع كفيه
متفقاطعين فوق صدره وأبتسم مميلاً رأسه
وهو يقول : « كلمة شرف . وعلى أية
حال فليس من الممكن وضعك في
مشاكل مع (لوك) . فإنه سيوجه اللوم
إلى أى شخص آخر بصرف
النظر عما فعلتيه » .

قالت (جوليا) بغموض : « قليل ما
تعرفه » ثم تابعت وقد رأت نظرتة
المتأمل : « على أى حال فهو لا يشاهد
رسوماتى على الإطلاق .. أنا متأكدة »

.

قال (فيليب) بسخرية مرحة : « أوه..
كلا . فلا بد أن يكون ذلك هو سبب
سفرة لأميال ليضع لها أطارات .

قالت (جوليا) : « كان ذلك لأجل
(جوستين) . وعلى أى حال فشكراً

جزيلاً لك لتسليمك السيارة لى . وسوف
أشكر (لوك) عندما أراه .

ورأت انه لابد من صرف (فيليب) الآن .
فقد كان على استعداد دائم لمغازلتها .
وكان آخر ما تريده هو تصادم آخر مع
(لوك) .

سرت (جوستين) كثيراً عندما علمت بما
فعله (لوك) وقالت : « أوه . كم هو
عطوف . ألا توافقينى يا (جوليا) أنه
أكرم رجل فى العالم بأسره ؟ » .

غمغمت (جوليا) « أنا متأكدة أنه

كذلك» وفي داخلها كانت متأكدة أنه

أغرب رجل في العالم .

ثم تابعت (جوليا) قائلة : « سنخرج بعد

ظهر اليوم لمشاهدة طائر البشروس » .

لقد ادخل ذلك السعادة على قلب

(جوستين) ولا بد أن تعترف (جوليا) بأنه

أدخل السعادة على قلبها أيضاً ليس

فقط لأنها لم تعد تشعر بأنها وقعت في

شرك ولكن لأن (لوك) أصبح يفكر

فيها. ولسوف تغتم الفرصة لشكره
أثناء تناول العشاء . وامضت عصر
ذلك اليوم تراقب طيور البشروس تحوم
وتهبط بألوانها الناصعة. كانت حركاتهم
وألوانهم تملأ عقلها في نهاية اليوم .
وفي حجرة الصالون قبل العشاء أقتربت
من (لوك) بعينين مشرقتين وقالت
بصوت رقيق : « انا أريد أن اشكرك
على السيارة يا (لوك) . لقد كانت عطفاً
كبيراً منك أن تفكر في ذلك. ولقد

أحدثت اختلافاً كبيراً لى بدءاً من اليوم
« .

أرتسمت على شفثفه أبتسامة بسيطة
وهو يقول : « وقد أمضفته فى مشاهدة
طفور البشرورس» .

قالت : « نعم ... ولكن كيف عرفت »

قال مبتسماً : « إن الأنف الأنجلزى
يشوبه فى العادة قليل من الأحمرار .
ونادراً ما يكون به أثر للشمس » .

وأجرى أصبغة الطويل على وجهها من
الجهة إلى الذقن ماراً بأنفها. كانت حركة
رقيقة كأنها قبلة وأحدث رد فعلها المرتعد
نفس الشرارات في خلفية عينيه
السوداوين . وتابع برقة وقد التقت
نظراتهما : « سوف أحضر لك قبعة
واسعة مفلطحة » .

قالت (روزان) بلهجة حادة : « إن
(لوك) يستطيع أن يكون متبسطاً جداً »
ودست ذراعها تحت ذراع (لوك) بحركة

أمتلاكية . وعقب (لوك) ساخرًا : «
عندما يريد » . ومرت اللحظات القائمة

.

كان هناك احتجاج صامت على وجه
(جوليا) . توارى البريق من عينيها بينما
حدق فيها (لوك) بنظرة ثابتة خاطفة ثم
أستدار على نحو مفاجيء قائلاً بصوت
أجش : « دعونا نتناول طعامنا ...

فلدى الكثير مما

يجب أن أفعله وكذلك (فيليب) . ولذا
يجب ترك النساء لشأنهن » .
قليلاً ما كانت ترى (لوك) بعد ذلك فقد
كانت تقضى معظم وقتها مع (جوستين)
يجوبان القرى والريف المحيط بهم . ولقد
كثرت لوحاتها وتغيرت بعض الأشياء
بعدها تشبعت بسحر (كامارجو) .
كانت هي نفسها تدرك ذلك . ولقد
تغيرت في نواح عدة . فأصبح جسدها
أكثر نضجاً . وكان حزناً يأخذ شكلاً

مختلفاً تماماً وقد أستسلمت لحب رجل
قوى غامض سيتزوج غيرها في نهاية
الأمر.

كانت فكرة العودة إلى أنجلترا ووضع
نهاية لهذا العذاب اليومي لا تزال قائمة
في عقلها ولكنها أجلت يوم الرحيل .
فإذا رحلت ثم تدهورت حالة (جوستين)
فإن (لوك) سيستدعيها. وسوف تعود
بدون أدنى شك. وستترك كل شيء لكى
تعود .

كانت تستعد للخروج عصر أحد الأيام
عندما وصلت (روزان).
كانت تكثر المجيء وكأنها على وشك
الاستقرار في هذا المكان. وحاولت
(جوليا) بلا فائدة أن تئد الغيرة التي
شعرت بها تجاه الفتاة .
قالت (روزان) : « لقد رأيت رسوماتك.
إنك بارعة جداً » ثم تابعت « لماذا
تقتصرين على رسم الطيور والأزهار
دائماً؟ »

أجابت (جوليا) وقد فوجئت بهذا الود:

« أنا أفترض

أنها عندي رسمه » .

قالت (روزان) بحماسة : « أعتقد أن

بإمكانك رسم لوحات جميلة جداً

للخيول البيضاء . إن أسلوبك فياض

بالحياة وإنني لأكاد أرى في مخيلتي المرحلة

النهائية للوحة » .

قالت (جوليا) وقد شرد بصرها : « إنهم

لا يثبتون في مكانهم طويلاً . أنا أحب أن

أرسمهم ولكن ليس بأعداد كبيرة وليس
عندما يرعون العشب. قرب المنزل مثل
أى خيول أخرى .»

إندفعت (روزان) قائلة : « فى
المستنقعات .. هناك مكان لا يبعد عن
هناكثيراً حيث يتواجدون دائماً , والآن
وقد أعطاك (لوك) سيارة فيمكنك
الذهاب إلى هناك بسهولة , انه مسطح
كبير متد وتغطيه المياه التى تلهو فيها
الخيول . سيمكنك إنجاز عملاً طيباً . »

وبدت فكرة طيبة . لقد أعطتها (روزان)
توجيهات دقيقة . ودار بفكر (جوليا) أنها
ربما ترغب في إقصاءها بعيداً . فقد كانت
تبدو قلقة دائمة عند تواجد (لوك)
و(فيليب) . وعلى أية حال وجدت
(جوليا) في نفسها الرغبة في الذهاب فقد
يكون شيئاً جيداً يبعد تفكيرها عن
(لوك) .. فلولا (جوستين) لكانت قد
عادت لتوها إلى وطنها .

وبمجرد مجيء هذه الخواطر إلى عقلها
أحست بموجه من الذعر . أنها لا
تستطيع أن تترك (لوك) أكثر من ذلك
وأيضاً فلا يمكنها ترك (جوستين) . قليلاً
ما تراه الآن ولكن الحياة بدون رؤيته
ستكون جوفاء فارغة تماماً . ومرت
صورة (روزان) وأرتباطها الواضح به .
وقادت (جوليا) سيارتها إلى ذلك المكان
الذى يفترض وجود الخيول به وهى

تقلب في تفكيرها أمر ذلك الألم الذي

تشيد صرخة ببطء في داخلها .

كان مكان موحشاً مقفراً وبداء جماها

موحشاً أيضاً عندما تخيلت نفسها بعد

أسابيع قليلة وقد نُحيت جانباً حتى تكاد

تكون منبوذة .

ورغم ذلك ففي أمتداد السماء فوقها

وأمتداد الماء أمامها استطاعت أن تري

مايراه هؤلاء الناس . وبدأت تنظر إلى

الأشياء بعيون أحد بناء (كامارجو) , ولم

يغير ذلك كثيراً من إحساسها بأنها أجنبية
غريبة في هذه البلاد .

أوقفت سياراتها الصفراء اللامعة بجانب
الطريق وامتد بصرها عبر المياه كانت
ترى ثلاثة أو أربعة خيول ولكنهم كانوا
على مسافة بعيدة بعض الشيء وفي
المكان الخطأ بالنسبة للضوء .

خطت (جوليا) خارج السيارة وسارت
إلى حافة المياه فلو أستطاعت أن تقترب
قليلاً لأمكنها رسم خطوطها الأولية ثم

تكمل الباقي من الذاكرة . لم يكن هناك
بديل سوى السير على الأقدام . إنها لا
تحب الخوض في المياه ثم الغوص فيها
حتى تغطي خصرها.

كانت المياه ضحلة على مدى ياردات
قليلة من جانب الطريق فخلعت حذاءها
وخاضت في المياه بحذر لم تكن باردة
بالدرجة التي توقعتها . مع أستعمال
الحذر أستطاعت أن تقطع مسافة معقولة
بعيدا عن الشاطئ وأفتربت بعض

الشيء من الخيول كانت ترفع رؤوسها
من حين لآخر وتنظر في اتجاهها ثم
تتجاهلها .

وجرى قلمها على صفحة لوحتها . كان
موقعها محفوفاً بالمخاطر ولكنها كانت
مستغرقة تماماً . وخلال برهة قصيرة
تكون المشهد تحت أصابعها بموهبة لم
تفطن لها أطلاقاً من قبل . أبدت الخيول
كرماً وميلاً للمساعدة فظلت ساكنة

معظم الوقت . كان هناك سكوناً غير

عادي يلف المكان .

وفجأة المشهد بأكمله . فبعد أن كانت

الخيول تعاونها منذ قليل وكأنها تعطيها

أوضاعاً فنية تمكنها من رسمها فوجئت

بهذه الخيول ترفع رأسها بأضطراب

وتنطلق تعدو بسرعة فائقة لاتلوى على

شيء وقد تناثر الماء حولها . وقفت

(جوليا) مشدوهة فاغرة الفاه لدى هذا

التغير وهي تتساءل عما قد يكون سبباً

لفزع هذه الخيول بينما لم يصدر منها أى
حركة .

وسرعان ما ادركت من الصوت المتزايد
الذى وصل لمسامعها أنهم لم يكونوا
يلقون بالاً لوجودها المنفرد . لقد كانت
هناك خيول أخرى قادمة بسرعة كبيرة .
فى البداية سمعت ضجة تزايدت باستمرار
وجاءت صرخات حادة عبر المياه . بدا
الأمر مربعاً تماماً . وعندئذ ظهرت
رؤوس أوائل قطع الخيول .

كانت المياة تصل لركبتها وهى تقف أمام
ذا القطيع من الخيول الهائجة التى كانت
تساق باتجاهها . من بين كل الأيام التى
كان يمكنها اختيارها كان هذا اليوم هو
الوحيد حيث يجب ألا تكون فى هذا
المكان .

ومرت أمام عينيها صورة (روزان)
وتوجيهاتها المحددة وأصرارها ونظرتها ثم
أنحصر كل تفكيرها فى البقاء على قيد
الحياة .

كانت الخيول تعدو تجاهها بسرعة غير
عادية. كان الرعاة يدفعونهم بشدة
ويقودونهم جنبًا إلى جنب. بدا كل رجل
من الرعاة كأنه قطعة من الحصان
الابيض الذى يركبه وقد شّدت قبعاتهم
السوداء المفلطحة إلى
أسفل جيدًا لتغطى على أعينهم بينما
قبضت أيديهم على الرماح . كان
مشهدًا خيالًا ميهبًا ومروعًا .

أخذتها المفاجأة فجمدت في مكانها
ذاهلة. كانت تتخبط في كابوس من
الحوافر المعدنية. والرزاز المتطاير
والمعاطف البراقة والأنياب المجردة م
ومضات خاطفة. لراكبي الخيول الأقوياء
ذى اللون الداكن وقد بدوا كأنهم فرسان
من عالم آخر .

وبينما كانت تقف فت مكانها بلا حراك
غير قادرة على مجرد التنحي عن مسارهم
رأت شبحاً غامضاً يتخطى الخيول واثباً

بإتجاهها . كان جواده ينطلق بسرعة
مرعبة ليلحق باوائل القطيع ويتجاوزهم .
كان يلوح بقبعته ويخزهم برمحه في
رؤوسهم وهو يصيح : « باه .. أى ..
باه ... باه » وبما يشبه المعجزة استطاع
أن يحول أنتباههم ويديرهم بعيداً بينما
بلغ هديرهم عنان السماء . وعندئذ كان
قد وصل إليها ذلك الشبح فوثب من
فوق جواده وتطاير الماء إلى ركبتيه
وحذاءه الأسود ذى العنق الطويل .

وقبض على كتفها وهزها بعنف كأنها
دمية لا حياة فيها وهو يقول : « غير
معقول » .

كان وجهه (لوك) الداكن مملوئاً بغضب لم
تره من قبل . كانت قبعته قد سقطت
وأنتشر شعره الأسود عبر وجهه
الغاضب , كانت أصابعه التي تقبض على
كتفها أشبه بصلب ساخن وبدأ كأنه
فقد السيطرة على أعصابه بدون أى أمل
في استعادته ا. وزجر قائلاً : « هل

أشترت لك سيارة لأجل ذلك. لكى
تأت إلى هنا وتكادين أن تقتلى نفسك؟
أين سرعة بديهتك وحضور حواسك ؟
إنك تبدين عديمة الجدوى كأنك طفلة »

.

همست (جوليا) : « أنت ... أنت
اشترت السيارة لأجلى أنا فقط؟ »
كانت هذه هى الفكرة الوحيدة التى
بدت ملتصقة برأسها فعاجلها بهزة أخرى
عنيفة وهو يصيح : « كفى عن هذا

الحديث الغبي ... يا إلهي .. إن بإمكانني
أن أقتلك بنفسى؟ لماذا تقفين هكذا
كأنك دمية زجاجية العينين . أين
غريزتك لحفظ الذات؟ هل أعاد والدك
(جوستين) لى لكى أشعر بالجدية فى قتل
إبنته الوحيدة « وأفلتها من بين يديه
فجأة وكأنما لم يكن متأكداً أنه لن يصيبها
بأذى فى ثورة غضبه وصاح بها : «
أجيبني » .

ونظرت (جوليا) ثم فجأة أنهارت قدماها
تمامًا سقطت في الماء تحت أقدامه . كان
كل جسدها يرتعد رغماً عنها .
عندما رفعها كان جسدها قد تشرب
بالماء الذي أخذ يقطر من شعرها . كانت
لوحتها التي تحمل الرسومات المبدئية
تطفو مبتعدة فوق الموجات التي نشأت
عن سقوطها هي ذاتها في الماء .
ولدهشتها وجدته

يتقدم وينتشلها من المياه قبل أن يعود
إلى الطريق وإلى الملاذ الآمن بسيارتها
الصغيرة .

وغمغم قائلاً : « سوف أعود بك
للمنزل فكلانا قد تشرب بالماء ولقد
أضطربت أعصابك بشدة » ووضعها
على المقعد المجاور للسائق ثم أستدار
ليجلس أمام عجلة القيادة .
وهمست وهي تثق أن هذا القلق سيزيد
من غضبه : « أنا... أنا أستطيع

التماسك « ورغم ذلك فقد بدا أنه
أستعاد بعضًا من سيطرته على أعصابه
الثائرة . فقال وهو يدير محرك السيارة ثم
ينطلق بها دون أن ينظر إليها : « أنا لا
أعتقد ذلك » .

قالت (جوليا) وهي تنظر خلفها من فوق
كتفها : « جوادك ... » كان الجواد
الأبيض لا يزال ساكنًا حيث تركه يقف
في طاعة وأمثال . وعندئذ همست

(جوليا) لنفسها وهي تهر كتفيها : «

ومن ذا الذي لا يفعل ؟»

قال (لوك) في توتر: « سوف يراه

الرجال عندما يعودون » ثم تابع ساخرًا :

« وذلك بفرض أننا لن نعود لقيادة

الخيول مرة أخرى » . وقررت (جوليا)

أن تلتزم الصمت . كانت لا تزال خائفة

بينما لا تزال أصوات الخوافر تطن في

عقلها ولا يزال عنف (لوك) يدوى في

أذنها بينما كانت آثار أصابعه لا تزال
تلهب كتفها .

لم يكن الباقيون قد عادوا للمنزل بعد .
ولكن ظهرت (روزان) عندما وصلا
للباب . ولم تستطع (جوليا) أن تمنع
أعضاءها من التبس والتصلب رغم أنها
كانت ترى نفسها ساذجة غبية . كيف
عرفت (روزان) أنها ستذهب لهذا المكان
؟ وعلى أية حال فإن أى فرد لديه
يعضباً من الإدراك لم يكن ليترك السيارة

فى مثل هذا المكان. وأى فرد لديه أدنى
ذرة من الإدراك كان سيعدو إلى السيارة
لدى سماعه صوت الخبول . ولكن كل
فعلته هى أنها وقفت كأنها منومه
مغناطيسياً بهذا الخيال والجمال الوحشى

ساعدها (لوك) على النزول من السيارة
وهو يقول : « هل يمكنك السير؟ »
قالت : « نعم إننى بخير شكراً لك .
فإنك لو لم ... »

وقاطعها صوت اجش ليصد شكرها قبل

أن يبدأ : « ليس لدى أى رغبة فى

التذكر . لقد تشربت بالمياه ومن الأفضل

أن تذهبي للأغتسال » .

وصلت (روزان) إلى حيث يقفون وقالت

بصوت حاد شغوف : « ما هذا ؟ » .

قال (لوك) : « لا شىء » . كان صوته

المتوتر كافياً لإيقاف أى إنسان لكنها

كانت لا تزال تعترضهم ومدت يدها إلى

ذراعه متجاهلة أمارات غضبة وهى تقول

: « ولكن يا (لوك) .. ما الذى فعلته ؟

ماذا حدث ؟ »

قال (لوك) بصوت فظ حاد : « إنشغلى

بما يعنيك » وأجفلت (جولبا) لهذا

الأسلوب مثلما أجفلت له (روزان).

وعندما لم تسمع شيئاً آخر وأسرعت

لحجرتها للأغتسال وتبديل ملابسها قبل

أن يري هيئتها أى فرد

آخر،

وفى واقع الأمر فإنها لم تكن بخير. أدركت
ذلك عندما وقفت ترتجف تحت مياه
الدش الساخنه . كانت لا تزال خائفة
ومضطربة وقد جعلتها رؤية (روزان)
تسترجع ما حدث . حدثت نفسها بأن
كل ما حدث يرجع لغبائها هي ذاتها.
ولكن هذا الغباء لم يكن من عادتها.
فأشياء من هذا القبيل لا تحدث لها.
وفجأة وجدت نفسها تنتحب بصوت
خفيض فأخيراً بدأت تظهر عليها آثار

الصدمة. كان شيئاً يدعو للشفقة والثناء

.

وسمعت نداءً : « (جوليا) ». كان
صوت (لوك) في حجرتها هو القشة التي
قصمت ظهر البعير. أحست غضباً
وحشياً تجاهه. فليس له أى حق في أن
يدخل هكذا ببساطة .

وعاد يناديها : «(جوليا)» وقبل أن
تتمكن حتى من إغلاق الدش كان قد
وصل إليها يخدق فيها بغضب.

قالت (جوليا) : « (لوك) ... أرجوك »
لم يكن بمتناولها أى شىء يمكن أن تستتر
به ودمدم (لوك) غاضباً وقذف إليها
بمنشفة سمكة ثم استدار مبتعداً إلى
داخل حجرة نومها .

وقال بكلمات حادة : « الم يكن
بإمكانك مجرد الرد عندما ناديتك ؟ لقد
تخيلت أنك قد أصبت بإهيار بالداخل .
صاحت (جوليا) ؛ « أوه ... أخرج ... »

وأغلق الباب» كانت دموعها مزيجاً من

الغضب والصدمة

والخجل ولكنها أنسكت عبر وجهها.

وأغلق (لوك) الباب زيادة في الحيلة .

وجدته لا يزال بالحجرة عندما خرجت

باطمئنان وقد التفت برداء سميك . كان

واقفاً ينظر من النافذة وذهبت إليه قبل

أن يتمكن حتى من الالتفات وقالت :

« ليس لك أى حق فى الدخول لحجرتى

بهذه الطريقة. أنا لست جارية فى

ضيعتك . لا تفعل ذلك مرة أخرى «
كانت تدرك أن في صوتها نبرة هستيرية
ولكنها لم تأبه لذلك . لقد سار كل شيء
إلى الأسوأ مع (لوك) . وهو ذاته جعل
كل شيء يسير للأسوأ .

أستدار ببطء وقد أمتلأت عيناه بتعبير
ضاحك وقال بهدوء : « ما الذى
يدفعك هذا الأندفاع المنهور؟ كل ما فى
الأمر أنى شعرت بالقلق عليك » .

وأنفجر صوتها ليزيد من سوء الأمور : «
ليس لك أى حق فى الدخول هكذا
ببساطة » .

وحدق فيها بنظرة غريبة وقد تركزت
عيناه على عينيها حتى ازداد أحمرار
وجهها وعندئذ أجرى يديه بكلل على
وجهه وهو يقول بصوت متأمل : «
لماذا يداخلى ذلك الأحساس بأن لى .
كل الحقوق ؟ لماذا أشعر بأننى لا أحتاج

حتى مجرد الكلام. وبأننى يمكننى أن

أصل إليك

ببساطة ؟ وبدا كأنه يخرج نفسه من

أفكاره وهو يركز عينيه بحدة على وجهها

المجفل . لم يوجد على الإطلاق أى

إنسان يستطيع إسكاتها مثلما يفعل

(لوك) . كانت ذاهلة ومتحيرة .

وعاد إلى شدته المعتاده وهو يقول بلهجة

قاطعة : « أريد أن أعرف لماذا كنت

هناك ؟ أريد أن أعرف لماذا تخيرت هذه

البقعة المحددة وهذا الوقت بالذات بينما
كنا نسوق الخيول ؟ » .
قالت (جوليا) : « من الواضح أنني لم
أكن أعرف إلا إذا تخيلت أنني كنت أريد
الأنتحار » وأستدارت بعيدا واخذت
تمشط شعرها لتهرب من عينيه
الفاحصتين ولكنه خطأ بإتجاهها وجذب
منها فرشاة الشعر وقذفها
على منضدة الزينة وقال :

« أنت لم تذهبي إلى هناك بالصدقة .

فهي بقعة منعزلة ومن الصهب الوصول

إليها . لا يوجد شخص في ضيعتنا لا

يعرف أننا كنا سنسوق الخيول اليوم

لتجهيزها للسوق الموسمي . فمن أشار

عليك بالذهاب هناك ؟ » .

قالت : « هل هناك سوق ؟ » . نطفت

بهذه الكلمات في رقة وبراءة عسى أن

تبدد غضبه ولكنه لم يكن ليُصرف عن

غايته .

وصاح بصوت منذر: « (جوليا) ...
أوقفى هذا الهراء ... لماذا كنت هناك ؟
« .

قالت : « كنت أصنع رسماً تخطيطياً
للوحة » . وأشاحت بوجهها بعيداً .
ولكن يده القوية أمتدت إلى وجهها تميله
تجاه الضوء . قال بصوت هادئ وقد
ضافت عيناه وتركزتا على وجهها : «
لماذا تحمين (روزان) ؟ » .

قالت : « لا يمكنك أن تقول ذلك » .

قال : « لا يوجد شخص آخر يفعله .
(جوستين) تهيم بك و(لوسيل) تحبك
كما أنها على أية حال أرق المخلوقات
و(مارس) صديقتك . وأما (فيليب)
فهو يعتقد أن بإمكانه بقليل من
الشجاعة أن يقع في الحب
معك . فمن يبقى سوى (روزان) ؟ » .
قالت (جوليا) بهدوء : « أنا متأكدة أنها
لم تكن تدرك أن ... » وفجأة سحب يده
فأنحنت رأسها للأسفل .

وخرجت منه زجرة غاضبة ولدهشتها
وجدته يجذبها ناحيته ويحتويها بين ذراعيه
وكأنه يقيم حولها حائطاً دفاعياً صلباً
يحيطها به في رقة .

وغمغم بينما كانت أنفاسه تمس ووجنتيها
: « لا يمكنني أن اصل دائماً في الوقت
المناسب . أريدك أن تعديني بأن تأخذي
حذرك في المستقبل . ليس هناك الكثير
من الخطر في هذه البلاد ولكنه موجود
لمن يلتمسه » .

وأدار وجهها وركز عليه بصره وهو يقول

: « سوف تأخذين حذرک ؟ » .

همست وقد غمرتها السعادة لهذه

اللحظة : « نعم » ولاحت أبتسامة

عميقة في عينيه وهو يحيط عنقها بكفه

الدافئة وقال بصوت رقيق :

« إذن فسوف أغفر لك ما سببته من

إزعاج . انك قد تكلفيني يوم عمل آخر

« .

همست وقد تعلقت عيناها بعينه : « أنا
آسفة » .

وغمغم بصوت هادىء : « ربما لا أشعر
أنا بالأسف » ومسحت عيناها وجهها
المتورد خجلاً . وفجأة ضغطها بين
ذراعيه .

وغمغم : « (جوليا) .. لأجل حب الآله
« ولم تكن رغبته بأقوى من رغبته .
وأطبق شفتيه على شفتيها .

ولم يعيدهما إلى عالم الواقع سوى دوى
إغلاق أحد الأبواب فى الممر الخارجى
فأفلتها سريعاً من بين يديه.

وقال فى توتر: « حقا إننى أفقد عقلى »

.

فقال (جوليا) فى إنفعال : « وكذلك
أنا » كانت تهتز تحت وطأة مشاعرها
العميقة ونبذه أياها من بين ذراعيه
وتابعت تقول : « هناك الكثير من
الحقيقة

فيما يقولون عن إرهابيات حدوث شيء
وأنا أعرف أنه لا مفر حيث أنني فعلت
... » .

ووقاطعها بصوت أجش : « أنت لا
تعرفين شيئاً على وجه الدقة » واستدار
للباب وفتحته على مصراعيه وأضاف
قائلاً : « من الآن فإننا نعرف عن
بعضينا أكثر ما قد تعرفينه عنى من أى
شخص آخر. وما نعرفه هو الحقيقة
وليس نزوة مؤقتة » .

وتمت « أنت لا تعرف شيئاً عني » .
وصاح : « خطأ » وصدق فيها بعينه
السوداويتين الجامدتين وهو يضيف : «
انا اعرف انك لى حتى أفوز بك . وفى
المرّة القادمة ربما أفهمك » .
وأنصرف مغضباً بينما غاصت (جوليا)
فى فراشها وجسدها يرتعد بشدة .
عند تناول العشاء لم تكن (روزان)
موجودة. أدركت (جوليا) أن (لوك) قد
وبخها لما فعلته. أحست (جوليا) بالذنب

فهى لا تتخيل أن هناك شخصاً يمكن أن
يقصد عمل ذلك. ورغم هذا أحست ان
من الأفضل ألا تراها .

وعاد (لوك) إلى طبيعته المعتادة ...
صامتاً غامضاً . وإذا ما أراد الحديث
فكان يتجه إلى (لوسيل) ولم تبد منه أدنى
التفاته تجاه (جوليا) التى بدأت تساءل
نفسها عما إذا كان ما حدث فى غرفتها
نتاج خيالاتها
المريضة .

في اليوم التالي أخبرت (جوستين) بأنهم
سيذهبون إلى شاطئ البحر . وتخيلت
(جوليا) أن (جوستين) تقصد كل العائلة
وأن الشاطئ ليس بعيداً . ولكنها
كانت على خطأ .

قالت (جوستين) : « يجب على عمي
(لوك) أن يذهب إلى (كاب دى أنتيس)
. إن لنا هناك بعض الممتلكات والفنادق
على امتداد الشاطئ . وهو لم يذهب
إلى هناك منذ فترة طويلة لأنني كنت

معك في أنجلترا . وهم يسمحون لي
بالذهاب في بعض الأحيان حيث نقيم في
واحد من فنادقنا. إنه كبير جدًا .
وأبتسمت (جوستين) وبادلتها (جوليا)
الأبتسام وهي تقول : « إذن فأنا
متأكدة أنك ستمضين وقتًا ممتعًا .
قالت (جوستين) في حماسة : « أوه ...
إنك ستأتين معنا يا (جوليا) . سوف
أكون بمفردي عندما ينشغل عمي (لوك)
في أعماله . ومثلما أنت هنا للعناية بي

فأنا أتوقع أن تأتين معنا . إنني لم أذكر

ذلك لعمى (لوك) ولكن ... »

وقاطعها صوت هادىء قائلاً : « ما

الذى لم تذكره للعم (لوك) ؟ » ,

كان هو ... بحركاته الصامتة المحسوبة

وتورد وجه (جوليا) رغم أنها حاولت أن

تبقى هادئة .

قالت (جوستين) بلهجة قاطعة : « أنا

أريد أن تأتى (جوليا) معنا إلى (كاب دي

أنتيس) » .

لم يكن يبدو على (جوستين) القلق
عندما حل بهم (لوك) فجأة. وأدركت
(جوليا) أنها قد تغلبت على مشاكلها.
ولكنها الآن لديها مشكلة خاصة
صنعتها بنفسها .

قالت (جوستين) : « إنني افضل أن
أكون معها على أن مع إحدى
صديقاتك في أثناء إنشغالك بعملك .
فهن في غاية الملل و(جوليا) مسلية
جداً. أنا متأكدة أنها ستأخذني للسباحة

بدلاً من مشاهدة نوافذ العرض في

محلات الأزياء .

قال (لوك) في صرامة ساخرة وقد سره

عودتها لطبيعتها . « فجأة تبدين سيدة

صغيرة مبكرة النضج . لست أدرى .

هل من المحتمل أن أكون مفرطاً في

إطرائك ؟ » .

قالت (جوستين) : « أوه ... أرجوك يا

عمى (لوك) » وأنبرت للحظة ولكنها

كانت لا تزال قادرة على استخدام

مكرها الأنثوى فقالت : « خذ (جولبا)
ولن أطلب منك أى شيء آخر لمدة ...
لمدة طويلة » .

قال (لوك) بصوت رقيق : « ربما لاتود
(جوليا) المجيء معنا » ونظر بطرف عينه
إلى (جوليا) التى أخذتها رجفة .

لم يكن هناك للأجابة إذ ظهرت (روزان)
وكان على (جوليا) أن تراجع رأيها حيال
اقتراح (لوك). الذى قد تحتج عليه

(روزان) . كانت (روزان) متألقة ومبتسمة

وأقبلت تطبع قبلة على وجنة (لوك) .
وتجاهلت

الجميع فيما عداه وسأله : « متى
سنذهب إلى (كاب دى أنتيس) » .
قال (لوك) سوف نتحرك قرابة الغروب
فلم تكن هناك حاجة لمحيئك مبكراً.
وستأتى معنا (جوليا) و(جوستين) ولكن
قبل كل شيء فهناك دروس (جوستين)
الصباحية » .

كانت (جوليا) قد قررت فعلاً عدم

الذهاب ولكنه يضعها الآن أمام أحد

خيارين : ثورة غضب هادئة من

(جوستين) أو معركة صريحة معه وبدأت

عيناه السوداويتان كأنهما يدركان تلك

الحقيقة بمزيد من الرضا .

قال وهو ينظر لها مباشرة : « إنها مسافة

طويلة ومن الأفضل أن تعدى ما يكفيك

لقضاء يومين . وتذكرى أن تسافرى فى

ملابس خفيفة » .

وأُتجه بعينه إلى السماء المتوهجة وهو
يقول: « هناك عاصفة تتجمع ولكن ربما
لا تصيبنا. وعلى الرغم من ذلك فالجو
شديد الحرارة والرطوبة وهواء البحر
سيكون طيباً لكما » .

لم يكن هناك مهرباً. وقرب نهاية اليوم
تجمعوا استعداداً للسفر. كانت (لوسيل)
تلوح لهم مودعة بينما كانت (ماريس)
تتمنى من أعماق قلبها لو أن البنك

أغلق أبوابه وأعطاهم أجازة لبضعة أيام

حتى يتمكن من

الذهاب معهم. وأقبل (فيليب) وأنسل

إلى المقعد الخلفى للسيارة مع (جوليا)

و(جوستين) .

وصاحت (روزان) فى تعجب : « لم

أعرف أنك ستأتى ». كانت قد تخيرت

لنفسها مكاناً بالمقعد الأمامى مع (لوك)

وأستقرت مسترخية. وأحست (جوليا)

بالأمتنان لاتساع المقعد الخلفى للسيارة

المرسيدس. فلم

تكن ترغب فى سماع (لوك) يتحدث مع
(روزان) .

قال (لوك) بهدوء : « من الطبيعى أن

يأتى (فيليب) قهو أيضاً يدير بعض

الأعمال. وقد تذهبن أنت للشراء بينما

أذهب أنا و(فيليب) للعمل » .

قال (فيليب) بإغظة : « وتذهب

(جوستين) لأخذ حمامات الشمس بينما

تذهب (جوليا) وبساطة لتزداد جمالاً «
وفوجئت (جوليا) بأن ذلك أسكت
(روزان) تماماً. كان هناك الكثير من
التيارات الخفية التي لم
تستطع فهمها . ولكنها فضلت أن
تدعهم لشأنهم وتعتنى هي (بجوستين) .
ورقعت بصرها لتجد أن (لوك) ينظر لها
جدياً من خلال مرآة الرؤية الخلفية ,
حملت فيه بغضب رغم أن قلبها قفز
لحلقها عندما التقت عيونهما . وكل ما

فعله أن رقع أحد حاجبيه. وطوال رحلة

السفر لم يقل شيئاً رغم

أن الرحلة بدت لا نهائية .

وعند وصولهم كانت (جوستين) تغط في

نوم عميق. أشار (لوك) للصبي الذى

ظهر بسرعة سحرية ليحمل حقائبهم .

قال لوك بلهجة آمرة : « ضعها كلها في

جناحى الآن. وسوف افرزهم فيما بعد »

ثم حمل (جوستين) وأتجه للفندق وهو

يقول: « يمكنك أن تضع السيارة جانبا »

.

كان هو المالك ولا رب ومسحت عينا
(جوليا) واجهة الفندق. كان ضخماً
وتبدو عليه رفاهية يؤكد لها مدخله. لم
يكن مقاماً على جرف البحر مباشرة .
كان يصلح للأجازات الجماعية. إن
الأثرياء فقط يمكنهم تحمل نفقات
الأقامة هنا. وبدا من مشهد النزلاء أن
هناك الكثير منهم هنا. وأسرعت (جوليا)

خلف (لوك) وقد بدت متوجسه متهيبة
للمكان ، بينما تريثت (روزان) وبدت
معتادة تماماً على المكان. كانت تحيى
النزلاء فى

بهو الفندق كأنهم اصدقاء قدامى .
وكانت ترتب معهم مواعيداً للقاء فيما
بعد . من الواضح أنها معروفة هنا جيداً
ورفيق معتاد (للك) .

وتسلمت (جوستين) من (لوك) وهو
يضعها على فراشها ويقول بصوت

هاديء : « إن أردت أن تدعيها للنوم
قربا تنام حتى صباح الغد . وإن اردت
إيقاظها قستناول وجبة في غرفتها ».

أومات (جوليا) برأسها

وبدأت تجرد الطفلة. النائمة من ملابسها
بينما وقف يرقبها للحظة ثم أستدار
فجأة ليغادر الغرفة وهو يقول بصوت
أجش : « غرفتك هي المجاورة لهذه
الغرفة وهي مفتوحة لك بالفعل ».

ولم يترث حتى يتلقى رداً . ولكن مؤخراً
وبعد أن تركت (جوستين) وذهبت .
تفحص حجرتها الرائعة جاء يطرق بابها
ودخل . لم يتجاوز الباب عندما قال
بصوت بارد : « عندما تكونين جاهزة
فسأصحبك للعشاء بالطابق السفلى »

.

ردت (جوليا) وبنظرتها بعض الاستنكار:
« أنا .. أنا لا أدري إذا ما كان بإمكاناتي
تناول الطعام هنا بغرفتي ؟ »

لم تكن ترغب في الجلوس مع (روزان)
و(لوك) حتى لو كان فيليب موجوداً،
وأحست بإرهاق شديد. ربما تكون
العاصفة المندره وربما يكون وجودها
قرب (لوك) كل يوم قد بدأ ينال منها
الكثير وغضت بصرها أمام
نظرة الفاحصة .

قال بصوت خفيض : « لم أعمل على
حضور (روزان) معنا » .

قالت (جوليا) سريعاً : « إن ذلك لا
يهمنى » وحولت بصرها سريعاً وهى
تقول : « أنا هنا لأعتنى (بجوستين) ولا
شئ غير ذلك » ثم قالت ضاحكة : «
ربما لم تكن لديك نية لإحضارى أنا
أيضاً. إن (جوستين) تناديني » .
قال بصوت رقيق مؤكداً : « هى لم تفعل
.. أنا لدى أقوى الرغبات فى حضرك .
أنت تبدين مشدودة ومنوترة مثل الطبول
. أنك بحاجة للراحة والأسترخاء . لقد

تخيلت أن (فيليب) سيفوم بمعظم العمل
في هذا الوقت بينما أساعدك أنا على
الاسترخاء » .

وأبتعدت (جوليا) وقد أهتزت لهذا
الاعتراف. كانت الأثارة المعتادة داخلها
بعنف . سألت بصوت هادىء : « هل
لى أن أطلب طعامى هنا ؟ » كان صوتها
هادئاً ومشعراً بالأحباط كأنما يدعيه
للأنصراف . ولم تفاجأ عندما غمغم

غاضباً بأن لديها الحرية الكاملة لعمل ما
تشاء وخرج وتركها .

وجاءها إفطارها. في اليوم التالى فى
حجرتها بدون أن تطلبه وتخيلت أن
(لوك) قد نفض يداه منها ويكاد يسمح
لها بتناول الطعام هنا والبقاء فى حجرتها
طوال الوقت إذا أختارت ذلك ,
ضايقها ذلك كثيراً فواجهنه

بمجيئة إليها ولم تنتظر حتى يقدم لها تحية
الصباح . قالت بكلمات حادة : « إن

صحتي ليست متدهورة لدرجة أن أحتاج
طعام الإفطار في الفراش . فشكراً لك»

.

قال ضاحكاً قيسخرية : « إنه ليس
تدهور بالصحة بقدر ما هو افتراض
للأرهاق » وأستد لمنضدة الزينة بينما
كانت تقف في وسط الحجرة مرتدية
ثياب النوم . وتابع قائلاً : « على أي
حال يا آنسة أنا لم أطلبه لك , لاشك
أن العاملين قد أقترضوا أنك مادمتم

معى فسىكون لك نفس طباع السىدات
اللواتى يقمن وبرفضن المغادرة حتى
يتناولن طعامهن .

قالت (جوليا) بحدة : « حسناً . أنا
لست كذلك » . وصمت لبرهة تحت
وطأة سخريته ثم أندفعت تقول : « من
الأفضل أن توضح أنى ممرضة
(جوستين) لست واحدة من السىدات
اللواتى يعن لك الهوى » . كان

لسانها بلا تحكم وأستدارت بإنفعال

بعيداً عن نظرتة المتوهجة المفاجئة.

وغمغم بهدوء : « هذا يبدو إلى حد ما

وكأنه غيرة » .

قالت بلهجه قاطعة : « حسنًا ... بكل

تأكيد هو ليس كذلك » لكنه كان قد

صل خلفها ووضع يداه على كتفيها

وجذبها للخلف ثم قال بإلحاح و صوت

عميق : « لكنني أريده أن يكون يا

(جوليا) . أريدك أن

تكونى غيرة لو سارت الأمور كما أبغى
لكنى أنا وأنت هنا وحدنا» .

وصاحت : « (لوك) » .

لكنه أدارها بين ذراعيه وأحتواها بقوة
وقال : « لا .. لا تطلبى منى التوقف »
وفى نشوتها استندت على أطراف
أصابعها وقبلته. قصدت أن تكون قبلة
قصيرة مجرد رد على توصل صوته .
أحست أنها تحلق وتطفو وتدور وتسقط
عندما ضمها (لوك) .

نشبتا ببعضهما خامدى الأنفاس .
وأخذهما الذهول التام عندما أندفعت
(جوستين) إلى الحجرة بدون أن تكد
تطرق الباب .

وشهقت قائلة : « يالها من مفاجأة »
وتورد وجهها ثم برق بالسرور وهى «
أوه هذا جميل ... عمى (لوك) يقبلك
... إننى سعيدة جداً » .
أخذهما الأرتباك والاضطراب . تمت
(جوليا) لو كان صوت منخفضاً قليلاً .

وأبتعدت عن (لوك) الذى بدا عليه
الامتعاض وكأنه لا يريد أن يدعها.
وكانت هى كذلك. ولكن فى هذه
اللحظة فتح الباب المقابل لحجرتها
وبدت (روزان) فى ثياب الخروج للشراء .
ملأ الغضب عينيها وأحمر وجهها عندما
رأت هذا المشهد.

قالت (جوستين) بصوت عال: « سوف
أعود لغرفتي ويمكنك أن تعود لتقبيل
(جوليا) يا عمى (لوك) » وضافت

عينها وأمتلئنا بالكراهية وهي تنظر
(لروزان). كان يرتسم على وجهها تقدير
للموقف وكأنه تقدير
شخص بالغ وفوجئت (جوليا) بذلك.
وتراخت خطوات (روزان) للحظة قبل
أن تتجاهلهم جميعا وتسرع الخطى عبر
الممر.

صاحت (جوليا) بصوت حاد مؤنب:
«(جوستين)» ولكن الطفلة تجاهلت

ندائها هذه المرة ووثبت في مرج إلى
خارج الحجرة .

ورغم أن (جوليا) كانت هي التي بدأت
القبلة فقد أستدارت بغضب إلى (لوك)
وهي تقول : « أنظر الآن » ولكن (لوك)
نفسه كان متحيراً ما بين نظرة الكراهية
في عيني ابنة أخيه وبين الغضب البارد
(لروزان) . وقال برقة : « أنا أرى »
كانت عيناه لا تزالان تبرقان بالرغبة
وتابع : « ولا زلت أذكر كيف كنت

تشرين بين ذراعى وآنـ تنضـطين
مقـربة منى سوف أذكر فى المرات القادمة
إدعاءك بأنك لا تحرقين بنفس النار التى
تـرقى « .

وأستدار مبتعداً لكنه توقف عند الباب
وجرت عيناه على جسدها برغبة
أمتلاكية وقال : « سوف أكون مشغولاً
معظم اليوم ولكنى ربت لأخذك أنت
و(جوستين) إلى سفينة أحد أصدقائى ,
أنا أفترض أنك سباحة ماهرة » .

وأومأت : « ن ... نعم » وأبتلعت
لعابها بصعوبة عندما أستمروا عامداً يمسح
بنظراته جسدها المضطرب .
قال (لوك) : « وعندئذ يمكنك قضاء
اليوم في الأسترخاء والسباحة وأخذ
حمامات الشمس . وسوف يعد لك
الفندق غداء محفوظاً . وستجدني على
السفينة كل الكماليات . وسوف تكونين
في مأمن بشرط ألا تبالغين في اخذ

حمامات الشمس. وعلى الأقل ستكونين
بمنأى عن طريق الأذى » .

كان لديها فكرة واضحة عما يقصده.
لقد رأت وجه (روزان) ولكنها لا تتخيل
أن (روزان) سوف تسبح في المياه حتى
تصلهم . كل ما فعلته (جوليا) أنها
أومأت لا إرادياً . وترك (لوك) الغرفة
صامتاً مثلما جاء .

إنه يعرف أن (روزان) أرسلتها عن عمد
إلى المنطقة التي تمر بها الخيول ورغم ذلك
أحضرها معه إلى هنا. ربما لم يكن ينوى
ذلك في البداية . ولكنه لم يقطعها. لابد
أن رغبته في ضم المقاطعتين قوية جداً.
كانت السفينة زورقاً بخارياً ذا حجم كبير
. من الواضح أن (جوستين) تألف مثل
هذا النوع لأنها أندفعت إلى مقدمته
عندما أنزلهم فيه أحد رجال (لوك). ثم
أخذت طريقها إلى القمرات حيث

أختارت واحدة. لنفسها وأخرى (لجوليا)

.

أستقر بها الزورق على مسافة لا تبعد

كثيراً عن الشاطئ حيث كان هناك

هدوء شديداً وعزلة واضحة . وكانت

المياة خضراء وفي صفاء البلورات .

صاحت (جوستين) : « أوه ... إنه رائع.

سوف اسابقك . في تبادل ملابسنا ثم

نسبح » لقد كانت تعود إلى طبيعتها ...

طفلة بسيطة جداً .

وكادت (جوليا) تجزم بأن تلك النظرة
الحادة المليئة بالغضب والتي غطت
وجهها هذا الصباح إنما كانت شيئاً وليد
تخيلاتهما .

أخذت تسابقها في تبديل ملابسها.
وفزعت (جوليا) مخافة أن تنزل
(جوستين) إلى المائة قبل أن تكون هي
على استعداد للأشراف عليها. ولكن
الفناء الصغيرة كانت تنظر في إمتثال
وهي نضحك لمظهر (جوليا)

المرتبك .

وقالت بمرح : « كان يجب أن أنتظر فأنا

لا أجرؤ أن أفعل غير ذلك . إن عمى

(لوك) قد هددني بأقسى العقوبات إذا

فعلت شيئاً يُفسد يومك » . ثم أضافت

بإبتسامة سريعة : « يجب أن أتصرف

على أفضل ما يمكنى » .

قالت (جوليا) : « أنت دائماً كذلك »

ونظرت لها نظرة خالصة فتلفت منها

نظرة ذكية لم تكن نظرة أطفال . ثم

أعلنت (جوستين) أنها على وشك النزول
للمياة .

كان يوماً رائعاً وأبقت (جوليا) تفكيرها
بعيداً عن (لوك) ومن حوادث الصباح.
ولكن الآن ومرة أخرى كانت ذكرى
ذراعيه وشفتيه تندفع إليها فتغمرها
مشاعر لا يمكنها التحكم فيها .
لقد قال أن عليه أن يصل إلها فقط
وستذهب هي إليه. كانت تعرف أنه على

حق . لقد أثبتت ذلك لنفسها في هذا
اليوم بعينه .

الفصل الثامن

بعد يوم في الشمس والبحر عادتا إلى
الفندق حيث تناولت (جوستين) عشاءً
مبكراً أخلدت بعده للنوم ولم يعد لدى
(جوليا) ما يشغلها . أخذت طريقها إلى
جناح (لوك). كان يفع في نفس الدور
ومن الواضح أنه
كان محجوزاً دائماً. إذ كانت لوحة
صغيرة على الباب مكتوب عليها »

سأنت مئشأء « . لم يكن الماركيز
يسمح بتأجير حجراته . وقد كان الأمر
يستلزم قدراً كبيراً من الشجاعة لطرق
الباب والدخول عندما جاءها

صوته :

« أءءل » .

كانت (روزان) فى الحجرة وقد أرتدت
ثيابها أستعداداً لتناول العشاء .
تفحصت عيناها (جوليا) ببطء وعناية
وقد أخذت بريق شعرها الجميل وذرات

النمش الخفيف التي لم تخفها مساحيق
الزينة ولا اللون الذهبي من أثر الشمس
. أحست (جوليا) بالبساطة وهي ترتدى
فستاناً أبيض غير مزخرف يكشف عن
كتفها . كان يبدو لائقاً جداً في مدينتها
الأصلية بينما لا يبدو أفضل الأزياء هنا
. وأفصح وجه (روزان) عن ذلك
بوضوح .

قالت (جوليا) عندما نظر إليها (لوك)

ببساطة: « أنا ... أنا أعتقد... هل

سأذهب للعشاء معكم ؟ » .

وبدا كأنه ينتشل نفسه من نشوته وقال:

« نعم ستأتين » . سار باتجاهها وهو

يقول : « الآن وحيث أنك هنا فإننا

نتظر فقط حضور فيليب ثم نذهب

للعشاء . لقد كنا بانتظارك » .

أطلقت (روزان) ضحكة صغيرة وهي

تقول: « هل كنا ؟ » وكأنها توضح أن

كلماته كانت مجرد كياسة حمقاء . ثم
أضافت : « أعتقد أننا كنا فقط نستمتع
بوقتنا معاً » .

وتجاهلها (لوك) بها سُرت (جوليا) عند
دخول (فيليب) الذى ابتسم لمراها .
وبينما كانت عيناه تغازلان (جوليا) قال
بلهجة مرحة (للك) : « سوف أستأثر
(بجوليا) من بين يديك فى هذه الأمسية .
إذا أذنت بذلك » ولدهشتها وجدت
(روزان) تندفع سريعاً ترفض الفكرة .

وقالت بإصرار: «إننا جميعاً معاً
بالتأكيد». ودست ذراعها في ذراع
(فيليب) وهي تقول «أنا أعتقد أن
صحبتنا الرباعية ستكون أفضل». .
وغمغم (لوك) في أذن (جوليا) خلسة: «
أنا لا أتخيل ذلك» ولكن (جوليا)
كانت مستغرقة في تفكيرها تحاول أن
تفهم هذا الأمر. في هذه اللحظة بدت
(روزان) كأنها تقى رهانها من الخسارة
فإنها إن لم تحصل

على (لوك) فيمكنها الحصول على
(فيليب). ووقعت عيناها الزرقاوتان
العميقتان على (فيليب) . وللحظة بدا
وجهه المرح متجهماً بعض الشيء .
لم تتوقف (روزان) عن الحديث طول
العشاء . وبدا أن (لوك) و(فيليب)
يتوقعان ذلك . وقد عاملاها بتساهل
وتبسيط حتى أن (جوليا) وددت لو أنها لم
تكن موجودة . وبالأضافة لتجاهل
(روزان) لها وإزدياءها الخفى فقد بدا

الموقف برمته ثقيلًا كئيبيًا ولكن ما عدا
حقيقة واحدة وهى أن عيني (لوك)
السوداويتين كانتا لا تكادان تنصرفان
عنها .

بعد ظهيرة اليوم التالى أنضم (لوك) إليها
على الزورق . لقد جاء بدون أى تنبيه
وربط زورقة الصغير السريع الذى جاء به
إلى جانب زورقهم ثم قفز إلى سطحه .
وكالعادة أندفعت إليه (جوستين) فرفمها

في الهواء بذراعيه القويتين ذوى اللون
البنى .

قالت (جوستين) في حماس : « أنت
تغشنا . لقد قلت أنه لن يكون لديك
وقت لتنضم إلينا » .

ورد (لوك) : « حسنًا ... لقد صنعت
وقتاً . وبالأضافة لذلك فيجب أن أتأكد
أن أميرتنا الأنجليزية لم تتعرض لكثير من
الشمس » .

قالت (جوستين) في أعتداد كبير بنفسها:
«إني أعتنى بها» .

وتحول بصر (لوك) إلى (جوليا) التي
جلست على سطح السفينة ترتدى لباس
استحمام بكيني ازرق داكن . وتلونت
ساقاها الرشيقتين باللون الذهبي وكشفت
ثيابها القليلة عن أنوثتها الفاتنة .

قال (لوك) برقة بينما التقت عيناها : «
لقد تصرفت جيداً وحتى ينتهى اليوم
فسأبقى وأساعدك» وذهب لتبديل

ملا بسه بينما أخذت الأثارة بلب
(جوستين) وهمست سريعاً :
« دعينا نختبأ ... سوف أذهب إلى
مكان ما... وأنت إلى مكان آخر
وسيحب عمى (لوك ذلك) » .
وشكت (جوليا) في أن يكون من ذلك
النوع من الرجال الذى يستمتع بمثل
ذلك اللهو. ولكن لم يكن هناك ما
يستبقها في مكانها لتواجه هاتين العينين

الداكتين الملهبتين . إنطلقت (جوستين)

إلى الجانب المقابل

من السفينة لتختبأ وهي تحاول كتم

ضحكاتها . وأنزلت (جوليا) عبر جانب

السفينة إلى المياه الراقده الدافئة . كان

وقت الخروج هو إما أن تُمسك

(جوستين) وإما أن تقلع عن الفكرة

تماماً.

ولكن كان خطأ ما . فهي لم تكذ تدرك

أن (لوك) كان في الماء حتى طفا إلى

جوارها وهو يحدق في عينيها ثم أطبق
على خصرها في حرارة قبل أن يغوصا
تحت السطح . لم تكد تجد وقتاً لتنبأ
بنواباه وتأخذ نفساً

عميقاً قبل أن يغوصا في الماء الأخضر
الرائق . ثم ارتفعا معاً إلى السطح
يلتقطان أنفاساً عميقة بينما كانت يداه
تضربان على ظهرها الملهب . وقال
« يمكنى أن ابقى هنا طوال النهار
وطوال الليل ما دمت معك » .

«عمى (لوك)» كان صوت (جوستن)

يصلهم واضحاً كرنين الجرس. وأرتسمت
على وجهه ابتسامة واسعة وهو يستدير
إليها قائلاً :

«أنت لم تلعبى اللعبة كما ينبغي , لقد
لعبتها حسب قواعدى يا حلوتى ...
لكننا سنصعد إلى ظهر السفينة لتناول
القهوة » .

وسبح إلى السفينة ثم تسلق إلى ظهرها
وهو يرفع (جوليا). كانت يداها لا تزالان

تمسكان بيديها وتورد وجهها لدى
العاطفة المتقدده فى عينيه وهى لا تدرى
إن كانت تشعر بالأمتنان لوجود
(جوستين) أم لا . وإذا قبلت الحقيقة ...
فهى لم تكن تريد أن تحمى نفسها من
(لوك). لقد صرحت له بمشاعرها منذ
أمد طويل وبادلها المشاعر بنفس الدرجة
.

كانت (روزان) وصمت (جوستين)
بعيدىن عن عقلها .

إنقضت فترة ما بعد الظهر الحارة ببطء
بينما أحتموا بإحدى المظلات الجميلة
على ظهر السفينة. وبعد برهة وضعت
(جوستين) رأسها على يدها وأستغرقت
في النوم . وعلى الفور حل (بجوليا)
الفرع . عندما وجدت نفسها وحيدة مع
(لوك) .

نظرت إلى (جوستين) وهى تقول بصوت
خفيض : « أعتقد أننا يجب أن نعود .

اليس كذلك؟ فرما تكون قد تعرضت
(جوستين) للكثير من الشمس .
ورد بطريقة مرتجلة : « هي فقط تبدو
متعبة مثل كل الأطفال بعد يوم ملوء
بالأثارة. وستكون بخير هناك وعلى أى
حال فإن بشرتها داكنة مثلى . وقد
كانت بشرتك الجميلة هي الوحيدة التى
يمكن أن تتعرض
للخطر بفعل الشمس » .

قالت (جوليا) سريعًا : « حسنًا...
حسنًا. على أية حال سوف أذهب
لأبذل ملابسى » ولكنه لم يفتح فمه .
« (جوليا).. عمى (لوك) » جاءهم
صوت (جوستين) وبه آثار النوم تناديه
من على ظهر السفينة وصاح :
«يا إلهى . متى سيمكننى أن أعيش
حياتى الخاصة » .
كانت أنفاس (جوليا) لا تزال تلهث فى
حلقها وهى تنظر ذاهلة وقال :

« بدلى ملابسك لقد كنت على حق .

فيجب أن نرحل الآن » .

ولم تستطع سوى أن تؤمى ببلاهة لم

تشعر بالخجل مع (لوك) كان كل شيء

طيب ... كل شيء تريده . وبذهول

حاولت أن تجذب عقلها لتعيده إلى

الواقع وتجاهد رغبتها الداخلية .

وأسرعت ترتدى ملابسها وتتبعه بأسرع

مايمكنها .

وجدت نفسها تقضى معظم الوقت أثناء
العشاء مع (فيليب). كانت (روزان) مع
(لوك) وكان ذلك عن قصد. كانت عينا
(فيليب) تتعقبها بحنق وهما يرقصان .
وتمتم يحدث نفسه : « سوف تحصل
عليه .. لقد كنا ندللها دائماً وهى الآن
لا تجد مبرراً لحرمان نفسها من أى شىء
تريده » .

وبينما كانت عينا (جوليا) على (لوك)
وهو يتسم للفتاه سألت (فيليب) بهدوء

: « هل تعرف (روزان) منذ وقت طويل

«؟»

قال مؤكداً : « منذ أن كنا أطفال . على

الأقل منذ أن كنت أنا و(روزان) أطفالاً

: « فلا يمكنني على الإطلاق تذكر

(لوك) وهو طفل « ثم ضحك بصوت

اجش قائلاً : « أنا أعتقد أحياناً أنه لم

يكن كذلك . لقد كنا جميعاً نحيط

(بلوك) وحتى عندما كان (جوليس)

موجوداً فقد كان (لوك) هو الأكبر

والأهدأ أعصاباً والأقوى والأشجع .
ولفترة من الوقت لم تستطع أن تحدد
رأيها هل تريدني أنا أم (لوك). ويبدو أنها
قد أستقرت على رأي الآن . ومن
المحتمل أن يكون مجيئك قد ساعدها
على إتخاذ قرار » .

قالت (جوليا) بهدوء : « أنا متأكدة أن
ذلك لم يحدث . فليس لى أى تأثير على
حياة أى أحد فيما عدا (جوستين) » .

قال ضاحكاً: « وأيضاً حياة أُمى وحياة
(ماريس) وحياتي » ثم أضاف برقّة : «
وحياة (لوك) .

قالت (جوليا) : « لو أنه تزوج (روزان)
فسوف تصبح الضيعة كبيرة وساحرة
جدا » .

وأوماً (فيليب) ثم صرف بصره عن
الرقيقين اللذين كانا يرقصان . وبدأ
نافذ الصبر وهو يستدير إلى (جوليا)
قائلاً :

» عندما مات والدى ثم تقسيم

الممتلكات بالعدل حسبما رأى . فالآن

أصبح (لوك) ماركيزدى سانت ميتشاد

فآل إليه نصيب الأسد . ثم توفي

(جوليس) وآلت ممتلكاته إلى (لوك) .

لقد كان (جوليس) و(دابردرى) يعيشان

هناك مع (جوستين) . أما أنا فقد

حصلت على نصيب أقل من الممتلكات

لأننى كنت الأبن الوحيد من زواجه الثانى

بينما حصلت (ماريس) على نصيب أقل

منى « وقطب جبينه وهو يقول : « إنا
بنت « ثم تابع قائلاً : « وكما تفهمين
فقد كان والدى رجلاً عتيق الطراز. ولم
يكن (لوك) سعيداً بذلك. كان يعمل
بكل طاقته ويحمينا ويرشدنا. إن (ماناد
دى ميتشاد) هى بيت أمى وبيتنا ومن
الواضح أن (لوك) سيتزوج
يوماً ما. فماذا سيفعل ؟ هل سيلقى بنا
إلى الخارج ؟ لقد كان غاضباً بسبب كل
تلك الأمور » .

كان يرسم صورته للأحداث الماضية أخذ
بلبها. وتخيلت صورة (لوك) في ماضيه.
وفهمت سر عنايته بهم جميعاً .
وأستمر (فيليب) قائلاً : « عندما مات
(جوليس) قام (لوك) بتقسيم الممتلكات
مرة أخرى إرضاء لضميره. وأخذ هو
الضيعة الأخرى بينما ترك لنا منزلنا
بصرف النظر عما قرره لمستقبله .
وعندما نبلغ الثلاثين أنا

و (ماريس) فستصبح الأرض المحيطة
(بماناد دى ميتشاد) ارضنا . وتمتد أرض
(لوك) إلى جوار أرض (دوبين) وإذا تزوج
(روزان) فستصبح مملكة صغيرة. وإذا لم
ينزوج فسترث (جوستين) التى يرعاها
كل ذلك

عن أبيها (جوليس) .

وغمغت (جوليا) وهى تنظر لهما : «
وستزيد إذا تزوج (روزان) » .

قال (فليب) مؤكياً: «هذا حقيقى ... إن
اللقب يجب ان يمتلك أرضاً – أرضاً غير
مقسمة وأوسع بما يمتلكه الآن . وهو
يعرف ذلك . كما أن عائلة دوبين لن
يعترضوا على وجود لقباً فى عائلتهم .
ورغم ذلك فلا أعتقد أنه من الحكمة أن
أضمن ما سيفعله (لوك) . لقد عرفته
طوال حياتى وحاولت أن أتفهم أفكازه
وتصرفاته ولكننى لم أستطع . وأياً كان ما
يفعله

فبالتأكيد سيكون من مصلحة العائلة.

وأنا متأكد من ذلك » .

سألت (جوليا) بهدوء : « وإذا أختارتك

(روزان) ؟ » .

قال (فيليب) : « أنا أشك إذا ما كنت

أستطيع التعامل معها»

وضاقت عيناه وهو ينظر لهما ثم تابع :

« كما قلت فإننا قد أتلفناها بالتدليل .،

وهي مهرجه وعنيده وقوية لكن من

الصعب التنبؤ بما ستفعله. أنا أعتقد أن

(لوك) فقط يمكنه التعامل مع (روزان) «
وبدا كأنه لا يريد مجرد المحاولة . وأحست
(جوليا) أن حبه الشديد للفتاة بدأ
يتلاشى , وأعترفت بأنها لا تفهم أيًا
منهم .

عندما عاد (لوك) و(روزان) إلى المائدة
كانت (جوليا) صامته منطوية على
نفسها. وبعد برهة بدا أن (لوك) قد
ضاق ذرعًا بذلك . لكنها لم تكن لندع
نفسها تتعرض للأذى مرة أخرى. إن

بإمكانه أن يستدعيها بنظرة وأن يذيبها
بلمسة . وقد فعل ذلك من قبل ولكن
كان واضحاً أنه يعتزم الزواج من
(روزان) . وفجأة أحست أنها تمتلىء
بخيانة (جراهام) .

في صباح اليوم التالي جاءها (لوك) قبل
(جوستين) . طرق باب حجرتها بخفه ثم
دخل , كان وجهه يفيض بالسعادة
عندما وقع عليها نظره . لكنها لم تطق

النظر إليه . وأدارت رأسها بعيداً ثم

رمقته بنظرة باردة وهو

بتقدم في الحجرة متحيراً من موقفها.

وقالت : « أن أتخيل أن هذه حجرتي يا

مسيو (مارشال) » . أستجمعت كل ما

تبقى فيها من لهجة العمل بالمستشفى

لتنطق بهذه الكلمات ثم اضافت : « إذا

أمكنك أن تخبرني بما تريد فيامكاننا

التحدث بشأنه ثم

وصاح : « (جوليا) » . لم يكن هناك
غضب في صوته ولكن دهشة فقط .
هى تدرك أنها قد حيرته وأغضبته
بانطوائها فى الليلة الماضية ولكنها فى
آخر مرة كانا فيها معاً بمفردهما كانت
على أقصى درجات الاستعداد للانتماء
إليه . وكل منهما يعرف ذلك . وأتجه
نحوها فهبت واقفه على قدميها وكل
ما فيها متحفز وغاضب .

قالت بلهجة حادة : « لا ترتكب خطأ
أن تلمسني يا سيدى . إذا فعلت فأقسم
بأنى سأصرخ بصوت عال حتى يستيفظ
كل من بالفندق » .

وماتت البسمة على وجهه وأختفت نظرة
الحيرة من عينيه ليحل محلها الغضب
الشديد . وقال فى غيظ : « إذن يا آنسة
. هل إنتهت لعبة الأمس ؟ هل يجب
على اليوم أن أذكر جيداً واجبى نحوك
ومكانك فى حياتى ؟ » .

قالت (جوليا) في هدوء : « لم تكن هناك
لعبة . ومكانى هو فى حياة (جوتستين)
فقط . ولذلك ... » .

ولم تكمل حديثها . فقد رفع يده بكبرياء
وهو يقول بصوت حاد : « لا تتكلفى
عناء الأستمرار فى الحديث . أنت تريدان
العودة إلى وطنك .. إلى أنجلترا ...
حسن جدًّا . أنا موافق . لقد أصبحت
تملن البقاء بيننا فى (كامارجو) ولا
يمكنك أن تتحملى أساليبنا أكثر من

ذلك أنا على حق . وسوف أرتب
لذلك . فيمكن (لجوستين) أن تستمر
بدونك وكذلك أنا .

وأستدار فجأة ليتركها . لكنه كان
يعتصرها الألم والصدق . فصاحت
بصوت حاد :

« إن الأمور تبدو أغرب مما تخيلت ...
ما الذى كنت تفعله بالأمس على
السفينة . هل كنت تستخدمنى لتخلص
من تعبك واحباطاتك » .

أستدار ببطء ونظر إليها بعينين باردتين
غامضتين وقد أرتسم على وجهه الم بارد
مخيف وسألها ببرود: « وماذا يعنيه هذا
الأنفجار يا آنسة .. هل أبتدعت سبباً
آخر للشك في ؟ » .

قالت (جوليا) بهدوء وهي تستدير بعيداً
عن غضبه : « أنا لم أبتدع أى شيء » .
وأنفجر قائلاً: « ربما لا ... إن فكرة
حياتي الغريبة وأساليبي الغامضة تكفى
لملئك بالشك بدون أي إبتداع لذلك .

أنا أعرف هذا فعلاً لا يمكنك ان تتقبل
حياتنا على نحو مريح .»

إندفعت (جوليا) قائلة : « أنا أتقبل
(لوسيل) وأتقبل (ماريس) وأتقبل فيليب
. أنا أعتبرهم أصدقائي . إن سلوكك هو
الذى لا أقبله . أنا احب الرجل الذى

«...»

صمت مندهشة لإنفجارها للكلمات
التي أختارها. كادت تقول أنها أحب
رجلاً سيتزوج من غيرها. وأنه كان فقط

يلعب بعواطفها . لم تكن تدرى عمق ما
بها من أذى حتى جاءت هذه الفكرة إلى
رأسها وكادت تفشيها .

حملق فيها (لوك) كأنها أجنبية غريبة ذات
عقل لا يستطيع أن يفهمه « أنت لا
زلت تحبين ذلك الرجل الذى هجرك ؟
أنت على أتم الاستعداد للعودة والسماح
له بمقابلتك فى غياب زوجته الجديدة؟
هل هذا هو سبب تلهفك على العودة
وترك (كامارجو) ؟ لا داعى للمواربة

والأحتيال يا آنسة . لا تقلقى سوف
أرتب لسفرك على الرحلة التالية من
مرسيليا » .

وأستدار يخطو تجاه الباب بينما تجسدت
صورة الواقع أمامها . لقد قال ذات مرة
أنه يريد لها أن تشعر بالغيرة . وقد حدث .
إنها لم تعطه وقتًا للكلام ... للتفسير .
إنها تقيم أفكارها بناء على افتراضات
(فيليب) وعلى معرفتها الخاصة

(بروزان) . هل كان لك سيقبلها ... هل

كان سيضمها بين ذراعيه إذا كان ينوي

الزواج من فتاة أخرى ؟

وهمست : «(لوك)» وخطت خطوة

واحدة في اتجاهه ولكننا توقفت عندما

التقت عيناها بتلك العينين السوداوين

وبهما نفس النظرة التي وجهها لها عندما

رآها لأول مرة... ما الذى تفعله هنا؟

لقد نبذها من عقله تماماً .

قال (لوك) بهدوء: « أنا أفضل أن
تناديني (مسيو) يا ممرضة (ردفورد) »
وأستدار ليخرج من الغرفة.
كأت واضحاً (لجوليا) أنه لن يتحدث
إليها مرة أخرى وسيحجز لها تذكرة
السفر إلى أنجلترا في الصباح .
وملأها الفزع لدى فكرة تركها إياه .
وملأها الخجل عندما أدركت مدى غيرته
وطوال طريق عودتهم إلى ضيعتهم (ماناد)
كان (لوك) صامتاً . ولم تجد فرصة

للحديث إليه حتى أخلد الجميع للنوم
بينما . كان هو يجلس بمفرده في حجرته
وقد صمت المنزل من حوله .
طرقت الباب وأرتجفت لدى سماعها
صوته الواثق الأَجَشْ يأمرها بالدخول .
وعندما رأى أن الطارق هو (جوليا) بدا
عليه برود لم تره على الإطلاق .
قال بلهجة قاطعة : « غداً يا آنسة »
وعاد مرة أخرى إلى الأوراق الموضوعية

على مكتبة وهو يقول : « لا تخش شيئاً
فسيتم حجز رحلتك عند أول ضوء » .
قالت (جوليا) وهي تستجمع شجاعته
: « ليس هذا هو ما جئت من أجله » .
سألها بصوت أجش : « لماذا إذن »
وأرفع رأسه الداكن وهو ينظر لها من
تحت حاجبيه الداكنين .

قالت (جوليا): « لقد جئت لأقول لك
أني آسفة. ليس لي حق في أن أكون فظه
إلى هذا الحد ولا أن أحكم عليك بمثل

هذا الظلم . أنا... أنا لا أتوافق مع
هذا المكان . ولا أفهم الناس هنا . كأنه
عالم آخر . أنا هنا لتمرّض (جوستين)
وليس لانتقادك .

قال بلهجة حادة : «د يجب أن تكوني
كذلك . أنا ليس لى حق فى إقامة علاقة
حب معك . إن لك وظيفتك ولك
وطنك الذى بعد مختلفاً تماماً عن هذه
البلاد » . ثم نهض وسار إلى النافذة
ينظر إلى سكون الليل والقمر البازغ .

وقال : « أوه ... ما الفائدة لست من

أهل (كامارجو) ».

قالت (جوليا) فى صوت بائس ؟ « كلا

... أنا لست منهم » لم تستطع أن ترفع

صوتها فخرج هامسًا وهى تشعر بأن كل

حياتها يتهددها خطر ما.

بقسوة وهو لا يزال يعطيها ظهره : « لن

يكون مهمًا أن عندما تعودين إلى أنجلترا

وتكونين على بعد اميال من هذا المكان

« .

يجب أن يكون الآن أو لا يكون على
الأطلاق . كل غرائزها تقول لها ذلك .
أستجمعت بقايا شجاعته وتوسلت في
صوت رقيق : « لا تعيدني يا (لوك) ...
أرجوك لا تبعديني » .

قال : « لماذا تودين البقاء رغم أن رأيك
وضيع وشديد الأرتياب »
واستدار ليواجهها ولكن شجاعته كانت
متهاوية تماماً . كانت تود أن تقول : «
لأنني أحبك » لكن الكلمات كانت

تحتاج إلى قوة أكبر بكثير من ان تمتلكها

.

همست وهى تسدد بصرها إلى الأرض

« أرجوك يا (لوك) » .

وغمغم يكرر كلمتها فى سخرية : «

أرجو يا(لوك) » ثم تابع « لقد

قلتها مرات عديدة ولكن لم تكن إطلاقاً

لأسباب صحيحة » .

قالت فى ثبات وهى تقبض على زمام

تفكيرها : « أنت تريدنى أن أبقى مع

(جوستين) وأنا أريد ذلك . والآن تريدني

أن أرحل. فهل أصبحت (جوستين)

فجأة غير ذات أهمية؟ هل أنزلت ذلك

إلى مستوى إن أصبح معركة شخصية ؟

«

وقال هو يتفحصها بعينه الداكنتين : «

هل أنت مهتمة بي إلى حد أن تكون

هناك معركة يا (جوليا)» عقدت (جوليا)

ذراعيها لتوقف أرتعادهما وقالت بهدوء :

« لقد جئت لعمل شيء ولم أنته منه بعد
« .

قال متسائلاً : « الممرضة (ردفورد)
الجادة الصارمة . أنت لست سوى
أخصائية محترفة ؟ » ثم أضاف في صوت
مكتئب : « حسن جداً . سوف نحاول
مرة أخرى . أنا أتخيل أن (جوستين)
أصبحت تشكل جزءاً هاماً من حياتك
بحيث لا تستطيعين تركها بإرادتك .

ولكن لا تنسى أن لك حياتك الخاصة .
لقد قلت أنت بنفسك أن هذا شيء
مؤقت .

وأستدار بعيداً دون أن يلحظ نظرة
عينها . لقد نسيت تماماً السبب الى
مجيئها هنا . كان (لوك) الذى أصبح جزءاً
رئيسياً من حياتها . (لوك) الذى لا
تستطيع أن تتركه . ورغم ذلك فقد كان
واضحاً أن المقابلة أنتهت . ومرة أخرى

عاد (لوك) غامضاً غير مفهوم وغير

ممکن الوصول إليه .

وهمست له : « طاب مساؤك » .

وذهبت لفراشها . وعلى مدى علمها

فلإنه لم يجب .

ورغم ذلك فبعد ظهر اليوم التالى كانت

(جوليا) تجلس فى الحديقة . وجاء (لوك)

يبحث عنها . لم تجد فى نفسها رغبة فى

المغامرة بأى شىء بعد صدمة الأمس . لم

يكن هناك أى أثر (لروزان) . وقد

وجدت (جوليا) نفسها محبطة ومنهكة
القوى بعد رحلة الشاطئ. ونظرت إلى
(لوك) ببعض الريبة بينما كان يدنو منها

.

قال بلهجة جافة بينما كانت ترمقه
بعينين واسعتين : « ليس هناك حاجة
لأن تعدى نفسك للهجوم . ولتحضري
حقيبتك فساخذك إلى المدينة » ثم
أضاف بلهجة ساخرة بينما تورد وجهها
: « لا تخش شيئاً فسيكون هناك وصيفه

تحميك , إن (جوستين) أيضاً مدعوة

للمجيء معنا .»

في تلك اللحظة ظهرت (جوستين) ترفل

في أبتسامتها ثم أخذت تركض راقصة

باتجاههم وقد ملأها السرور والمرح قالت

: « سوف نذهب لنشاهد حلبة الثيران

» وأضافت عندما رأت الأنطباع المتحير

الذى أرتسم على وجهه (جوليا): « وقد

وصل الفجر إلى هناك وقد سبقتنا جدتي

(لوسيل) إلى هناك بالفعل . أسرعى

يا (جوليا) فسيكون يوماً مثيراً. إنهم
سيقومون عرضاً للثيران غداً وسيكون
عمى (لوك) صاحب أفضل الثيران .
لم يكن لدى (جوليا) أدنى شك في أنه أيًا
كان ما يفعله فسيكون هو الأفضل .
ولكنها لم تتحدث عندما رأت التعبير
المرح الذي يرتسم على وجهه . كما كان
يحيطه جو مرحج أصابها بالدهشة .
فعلى نحو غير مفهوم ولا يصدق كان
قد صفح عنها. ولم تكن بحاجة إلى دغوة

أكثر من ذلك . وانطلق (لوك) إلى
المدينة بصحبه شخصان فى قمة الأثارة .
كان المكان يعج بالزوار . وكان جواً
مختلفاً تماماً . بدا المكان كأنه منتجعاً
لقضاء الأجازات . ولم يبد على (لوك)
الضيق بقدر ما بدا عليه السرور لذلك .
كان السائحون يملأون الميدان الرئيسى
وقد أرتدوا ملابس

قصيرة تكشف عن سيقانهم وأذرعهم .

وكان الغجر ينتشرون هنا وهناك

بملابسهم الزاهية .

وصاحت (جوستين) : « إننى أرى جدتى

« وثبت من السيارة كأنها هرة صغيرة

ولكن (لوك) لحق بها وأمسكها ثم رفعها

إلى كتفيه وقال مازحًا : « ليس هذه

السرعة يا حلوتى . إذا كنت تريدين أن

تتركى من أجل جدتك فيمكننا أن

نسلمك لها بالطريقة الصحيحة . أنا لا

أريد أن أجذك وقد أختفيت ما بين هذه
الحشود ولا نراك مرة أخرى .
وتملصت منه (جوستين) وهي تقول : «
إنهم يحبونني وأنا أكاد أشعر بأنني واحدة
منهم » .
وأستبقاها ولوك وهو يقول : « ولكن
ليس تماما » .
قالت بفخر كبير : « لكن (ماريس) منهم
... وأيضا (فيليب) » .

قال (لوك) وهو يرنو بطرف عينه إلى
(جوليا) : « هذا صحيح إلى حد كبير »

.

وبدأت (جوليا) تجول ببصرها في المكان
. وجدت نفسها محاطة بأناس مرحين
داكنى البشرة وسمعت (لوسيل) تجب
أسئلهم باللغة الرومانية. رأت حولها
عيوناً ضاحكة ذكية وأزياء متباينة .
ورأت (لوسيل) ... التى كانت يوماً ما
زوجة والد (لوك) ماركيز دى سانت

ميتشاد - بين أهلها وقد غمرتها
السعادة بدرجة ثم تشهدها (جوليا) من
قبل .

كانوا أناساً ذوى ملامح جميلة وكانوا
بتجاهلون فضول. السائحين وشعفهم في
أنفه. وأتضح من طريقه الترحيب بهم أن
لهم مكانه خاصة في (كامارجو) .
وسأل أحد الرجال (لوك) مبتسماً: «
هل تعتقد أن غداً سيكون يوماً مشرقاً
سیدی الماركيز » .

قال (لوك) ضاحكاً : « أنت الذى
تخبرنى يا (دنىس). ثم ناول (جوستين)
المتمردة إلى (لوسيل) التى بدت امرأة
غجرية جذابة . وقال : « انه
أختصاصك أن تعرفى هذه الأمور » .
وقال الرجل العجوز : « إن سحب
العاصفة فى الطريق » وغطت الكآبة
وجهه لثوان ثم أستقرت عيناه على وجه
(جوليا) فملأها بإحساس غريب وكأنه

تحذير مسبق . ثم قال : « ولكن

بخصوص المهرجان فستكون

لدينا شمساً مشرقة وكثيراً من الحرارة

والغبار » .

قال (لوك) ضاحكاً : « يمكنى أن أصدق

ذلك ... سيتذوق كثيرون الغبار في

أفواههم غداً » . وتبادل كلمات سريعة

مع (لوسيل) ثم أخذ (جوليا) مبتعداً

ليمرا على المحال التجارية على جانبي

الطريق . وقال :

« قبل أن نشاهد الحلقة فسوف نبتاع
لك قبعة حماية هذا الراس الجميل وذلك
الأنف المتكبر ». كانت لهجته جافة وقد
أحكم يده على ذراعها .

قالت (جوليا) : « ليس بأنفى شىء
متكبر ». كانت لا تزال منبهرة بما حولها
كما أذهلها صفح لوك التام .

قال ساخراً: « حتى بعد أن عرفت أن
زوجة أبى من الغجر؟ إن صديقتك
العظيمة (ماريس) و(فيليب) المعجب

العظيم بك تجرى في عروقهم دماء

رومانية حقيقية » .

توقفت (جوليا) ونظرت إليه قائلة : «

هل تتوقع أن يصدمني ذلك؟ إن لوسيل

رقية وعطوفة وأمرأة جذابة جداً. ولا

يوجد شيء غير سوى بخصر ص (ماريس)

و(فيليب). وبالتاكيد فيمكن (لفيليب)

أن يدير رأس أى فتاة فى أنجلترا » .

ورد بصوت رقيق: « ولكن ليس رأسك

أنت يا آنسة».

ولم تجب. إنه يعلم أن عليه فقط أن ينظر
لها ليغرقها في بهجة مرتعدة . وارتسمت
على شفثيه ابتسامة رقيقه وهو يقودها
إلى المحل القريب. ليشتري لها القبعة
المفلطحة التي وعدّها بها.

ووضع القبعة على رأسها ثم تراجع قليلاً
ينظر إليها قائلاً : « هذا أنيق جداً ...
إنها قد تخبىء بعضاً من الجمال ولكنها
ستحمى الرأس الجميل والأنف المتكبر »

ابتسمت البائعة لهذا الغزل المازح ولكن
(جوليا) أرتبكت له . كان هذا هو
(لوك) كما لم تره من قبل وكانت تلتقط
أنفاسها بالكاد مخافة أن ينسحب ويتركها
وحيدة وتعيسه .

كانت الحلبة بالغة الروعة . لقد كانت
تضم في سالف الأزمان أولئك اللاعبين
المجالدين الذين يتقاتلون حتى الموت . أما
الآن فإنها تضم الثيران بعد قيادتها عبر

شوارع المدينة في استعراض . كانت

أقواس الحلبة

سليمة وقد تم تجديد مدخلها . وأجلسها

(لوك) في مقعد يمكنها من مشاهدة كل

ما يدور حولها . وأوضح لها أنه ليس

هناك مصارعة الثيران وإنما يحاول

اللاعبون نزع حليه وردية مثبتة على رأس

الثور بين قرنيه». وقال مبتسمًا : « ومن

الطبيعي أن يعترض الثور . ودرجة

أعترضه هي التي تجلب الأثارة وتولد

التحدى .

سألت (جوليا) في قلق : « وهل تصاب

الخيول بأذى ؟ » كانت تفكر في جمال

الخيول البيضاء الوحشية وقد أفترضت

أن وجودها أمر مسلم به .

قال بصوت ساخر : « ليست هناك

خيول يا آنسة . » إن من يتحدى الثور

يفعل ذلك . على قدميه وعلى مسئوليته

الخاصة . إن الخيول تستخدم فقط في

الأستعراض وفي السباق الكبير الذى
يلى محاولات نزع هذه الحلوى من على
رؤوس الثيران ..

وسألت: (جولبا) : « وهل هل
يصاب أناس ؟ »

قال: « أحياناً » كان صوته به درجة من
التلذذ جعلتها تحقق فيه بفرع بينما تابع
قائلاً : « نادرا هما يتعرضون لأذى
شديد . ستشاهدين فى الغد كثيراً من
أفعال الشجاعة وبعضاً من الغباء الحاد

أثناء هذا النزال . وفي المساء يكون
السوق الكبير والرقص « . ونظر لها وهو
يتابع قائلاً : « على ما أرى فإنك لن
تحاولين الخروج ؟ فأعصابك الإنجليزية
ستحملها ؟ »

ردت بسلطة لسان : « إذا تحملتها
أعصابك » وضحك تلك الضحكة التي
نادراً ما تسمعها وقال : « أوه ... أنا
لدى أعصاب لكل شيء تقريباً ... يا
أميرتي الإنجليزية » .

وبعدما طاف بالحلبة وتحدث إلى الرجال
الذين يعملون بها خرجا إلى الشوارع
المشمسة ورغم أنه كان لا يزال محاطاً
ببعض التحفظ فقد أدركت أنه الآن
يبدو متلاطفاً بدرجة لم ترها من قبل على
الأطلاق .

بدا سعيداً على نحو غير مفهوم . ولكنه
كان ذلك هو كل ما تتمناه .

كانا يستعدان للمغادرة وبينما يبحثان
عن (جروستين) رأت (جراهام) . ولأول

وهى لم تصدق عينيها . وأقتربت من
(لوك) تحاول أن تختفى قدر ما تستطيع
وهى تشعر بالأمتمان لتلك القبعة التى
أخفت رأسها المشرق
وجعلتها أقل وضوحاً بين الجموع
المزدحمة التى كان معظمهم من الفرنسيين
والغجر ذوى شعر أسود. ولكنه كان
(جراهام). لقد واثتها الفرصه لتأكد منه
. وأمضت باقى وقد وثب قلبها إلى

حلقها. وأحس (لوك) بتوترها فتحير له
وأنزعج .

فال ببعض الخشونة : « أنت آمنة منه
تماماً في الزحام . وأنا أعد بأن أعيدك
للمزرعة قبل وقت العشاء . وإن أردت
فيمكنني أن أجعل واحداً من صبيان
الغجر يصحبك . فقد تشعرين بأمان
أكثر مع واحد منهم . أنا
أعرف رأيك في » .

وقالت بسرعة وكأنها تتوسل له : « أنا
أشعر بالأمان التام معك » ولكنه لم يبد
عليه السرور.

وسألها : « ماذا بك؟ فعلى مدى
النصف ساعة الأخير وأنت تبدين كأنك
طفلة مذعورة . فاذا فعلت الآن
لأضايقك ؟ » .

قالت : « لا شيء ... أرجوك يا (لوك)
« .

قال ساخرًا : « أرجوك يا (لوك) ... كم
من المرات سمعتها » .

أختفى أسلوبه المرح ولم تستطيع عمل
شيء لأسترجاعه . ولم يكن طريق العودة
إلى (ماناد) ممتعًا مثلما كان طريق
الذهاب . وقضت (جوليا) المساء تترقب
أن يرن جرس التليفون أو أن يحضر
(جراهام) ببساطة . لم يد ظهوره هنا
مجرد مصادفة . اعتقدت بأنه قد أقنع
الممرضة (جين تود) بطريقة ما بأن تعطيه

عنوانها الجديد. وتمنت لو أنها لم تكتب
لها .

الفصل التاسع

فى الصباحت كان عقلها قد انصرف عن
(جراهام). فهو لم يكن على اتصال بها .
ويحتمل أن يكون مجرد سائح يمر بالمكان
. وتجهم وجهها قليلاً عندما مر ببالها أنه
قد يكون فى شهر العسل. ومن الغريب
أن فكرة زواجها من (جراهام) والتى
كانت قد قبلتها فعلاً فى وقت ما تسبب
لها الآن نوبات من الفرع . كانت تعرف

أن (لوك) هو الوحيد الذى يصلح لها.

وأن ذراعى (لوك) هما فقط اللذان

يرضيانها ويشيرانها .

بكر (لوك) و(فيليب) بالذهاب للمدينة.

ووجدت (جوليا) نفسها تقود السيارة

التي منحها إياها (لوك) وكان يركب معها

(جوستين) و(لوسيل) و(ماريس). كانت

المدينة بأكملها تضح بالضوضاء

والألوان البراقة والموسيقى. كان يوم

أجازة وكان الجميع خارج منازلهم. إنتشر

عازفو الجيتار من الغجر في كل مكان
يعزفون ويرقصون بينما راحوا يسددون
عيونهم اللامعة الداكنة إلى الفتيات
ليزيدوا من الآثارة .

وفي أماكن معينة تجمعت الخيول وتجارها
. بدا كل شيء لامعاً مزيئاً بالأوشمة
وكانت الأجواء مليئة بالآثارة والترقب .
جلس السياح في شرفات المقاهي
يرتشفون قهوتهم ويرقبون المارة من
الغجر ذوى المظهر المتشرد أو أهالى

البلد الذين اندفعوا إلى الشوارع في
أجازتهم . كان الجميع يترقبون الحدث
الذى يميز ذلك اليوم : « الاستعراض »

وفجأة انطلقت صيحة قوية : « إناهم
قادمون » .

واندفع الجميع يصطفون على جانبي
الشارع يتحرقون لمشاهدة منظر بديع .
وأمسكت (جوليا) أنفاسها في شغف
وقد أحكمت يدها على يد (جوستين)

عندما أقبلت الثيران السوداء وهي تُقاد
عبر الطريق ..

كان الرعاه يشكلون هلالاً حولهم ومن
الخلف ومن الجانبين وقد ركبوا خيول
(كامارجو) البيضاء السريعة. كان
مظهرهم صارماً جاداً. وقد مروا بسرعة
كبيرة .

قالت (لوسيل) في حماسة : « يجب
عليهم توصيل الثيران إلى الحلبة بدون
فقد أيّا منهم » .

صاحت (جوستين) وهى لاتتوقف عن
القفز ودق الأرض بتقديمها : « سوف
يحاول الفتيان إيقافهم إنها لعبة عظيمة »

.

بدا (جوليا) أن محاولة إيقاف هذا الحشد
الهائج هى لعبة جنونية ، ورأت (لوك)
و(فيليب) على الجهة المقابلة بين راكبي
الخيول وقد اكتست ملامحهما بالجدية
إلى أقصى الحدود. انضمت الجماهير
المحتشدة يحاولون فى حيوية بذل أقصى ما

فى وسعهم لإيقاف الثيران المندفة لقد
القوا فى طريقهم بكرات الزهور والعصى
والألعاب النارية. وأخيراً فزعت (جوليا)
عندما وجدت ثلاثة شبان يلقون
بأنفسهم تحت الحوافر المعدنية محاولين
الإمساك بأحد الثيران .

وعندما تعالت صيحات راكبى الخيول
وجدت أنهم قد نجحوا فى إيقاف الثور .
ورأت أحدهم يمسك بقرنيه وآخر يمسك
بذيله بينما اعتلى ثالث ظهره . ورغم

ذلك فقد كان الانتصار قصير الأجل إذ
استطاع الحيوان الغاضب التخلص منهم
. وتشتت الجمع الغفير يركضون إنقاذاً
لحياتهم بينما أندفع الثور في كل اتجاه
طلباً للثأر .

وقد كان لوك هو الذى عاد إليه. كان
يمسك رمحه بيده بينما شد قبعته جيداً
يحتمى بها من الغبار وأشار للشبان
لا هتئى الأنفاس الذين كانوا قد قاموا بهذا

الفعل المستحيل ليتركوا له الأمر . كانت
ابتسامته إشراقة
راتعة لأسنانه البيضاء في مقابل وجهه
الداكن . ثم استخدم جواده في براعة
وأخذ يدور حول الثور يهدئه بصوته
يخدره برمحه . وابتعد الثور . ومرة أخرى
دب المرح بين الجموع الغفيرة .. ولم
يحاولوا الإمساك به مرة أخرى . وانتهت
اللعبة .

وبينما كانوا يخرجون من الشرفة التي
احتتموا بها مسحت (لوسيل) وجهها
وهي تقول :

« عظيم . لقد كان استعراضاً رائعاً . لكن
الأمر تطلب ثلاثة رجال للإمساك بالثور
الواحد . لقد قال لى (لوك) هذا الصباح
أن الثيران هذا العام أقوى من أى عام
مضى . والآن دعونا نسرع إلى الحلبة
لنأخذ أماكننا » .

كانت (جوليا) ل اتزال ترتجف مما رآته .
واندهشت من تلذذ تلك السيدة الهادئة
المنطوية. واستمتاعها بتلك الأعمال
الجنونية . كان لا يزال هناك المزيد .
ولكن تفكيرها شرد في حياة (كامارجو)
وحياة (لوك) .

وفجأة وجدت نفسها تضحك وهي
تمسك بيد (جوستين) وتتأبط ذراع
(لوسيل) بينما أسرعوا لمشاهدة الثيران
وهي تأخذ بثأرها .

كان الباكون يجلسون في مقاعدهم عندما
أقبلت هي و(لوسيل) و(جوستين) .
وقال (فيليب) عندما رآها : « ما رأيك
في هذا أيتها الفتاة الأنجليزية » .
قالت بإبتسامة واسعة يبدو أنها أسعدته
«جنون» .

لم يقل (لوك) شيئاً . كانت (روزان)
تجلس إلى يساره ولم تتكلف مجرد رفع
عينها . ولكن كانت عينا (لوك)
تتابعان عيني (جوليا) . ربت (لوك) بيده

على المقعد المجاور له وقال (لجوليا)

بهدوء : «اجلسى هنا»

ولم تجد أى بديل سوى الامتثال والطاعة

رغم أنها رأت (روزان) تتصلب وترمقها

بنظرة باردة .

ورنت لها (ماريس) بنظرة مجفلة ثم

صرفت بصرها بعيداً وقد ارتسمت على

شفهتها ابتسامة سعيدة .

وتركزت أنظار الجميع على الثيران . كان

ينادى على كل ثور بالاسم ثم يتحداه

مجموعة من الشبان فى ثياب بيضاء .
كانوا يرون فى أركان الحلية تفادياً للقرون
الحادة . ويقترّبون من الثور ويصلون
للحلبة الوردية ثم يندفعون بعيداً سواء
ظفروا بها أم لا هرباً من الثور الهائج
الذى كان يحاول منعهم .
كانت خطواتهم رشيقة. وهى يجب أن
تكون كذلك . كان بعضهم يضطر لوّثب
الحواجر وترك الحلية تماماً بينما يندفع فى

أثرهم ثور هائج . كما كان آخرون
كثيرون ينجحون في هدفهم.
لكن أعظم الثيران كان (تامرلين) وهو
ثور من مزرعة (لوك) .
وأشار (فيليب) (للك) قائلاً : « إنه
الشیطان بعینه . لن یستطع أحد أن
یهزمه . وسیكونون ممطحوظین إذا لم
یصابوا بأذى کبیر» .

وقد حاول الشبان . ووجد اثنان منهما
نفسيهما يطيران في الهواء ويسقطان

خارج الحواجز . ومن حسن . حظهما
أنهما سقطا خارج الحلبة . ولم
ينجح أى فرد . كانت إثارة وحشية .
وكان الخطر المتزايد لا يجلب شيئاً سوى
المزيد من أفعال الجنون . وقفت (جوليا)
بقلق تشارك باقى الجموع هتافاتهم .
وبينما كانت الجموع تهتف لآخر الثيران
وهو يخرج من الحلبة قالت جوستن فى
ثقة : « هذه هى النهاية »

ولكن كان هناك جواً من الترقب ألزم
الناس مقاعدهم . ومرة أخرى تعالت
الأصوات : « تحدي » .

وفتحت الأبواب مرة أخرى . وخرج
(تامرلين) إلى الحلبة وقد ارتفعت رأسه
وانتفخ منخاره وبدأ ثائراً أكثر مما كان .
إنه البطل الأعظم . وبينما طاف بأرجاء
الحلبة بدأت الجماهير تترنم قائلة :

« سانت ميتشاد .. . سانت ميتشاد »

وارتفعت صيحاتهم حتى بلغت عنان

السماء .

وتمتم (فيليب) : « يا إلهي .. لا يمكنك

أن تقبل » ووضع يده على ذراع (لوك)

الذى مال برأسه للأمام . وتابع (فيليب)

قائلاً : « أنه قاتل .. هذا الثور.. أنت

تعرفه » قال (لوك) فى ثبات : « لقد

ربتيه ».

وهم يتوقعون أن أستطيع الحصول على
الحلبة الوردية » . وفزعت (جوليا) إذ
وجدته ينهض وينحني للجماهير المحتشدة
. واتجه للحلبة وسط الهتافات التي زادت
من هياج الثور .

ولو كان باستطاعتها أن تعيده لفعلت .
كانت نظرة واحدة لوجوه عائلته كافية
لتخبرها أن ذلك لم يكن شيئاً عادياً . كان
الثور في الحلبة مرة أخرى وقد انتصب
منتصباً . كان ماهراً وغاضباً . وهو

يعرف المتوقع الآن بالضبط ، كان
بإستطاعتها أن ترى الرأس الضخم
يستدير بينما يغلب قرونه البراقة على
سبيل التجربة . خمدت أصوات الجماهير
بينما قفز (لوك) إلى الحلبة .
كان درساً في الأعصاب .. في المهارة
الحاذقة .. ورغم هلعها فقد كتمت
(جوليا) أنفاسها وهي ترقب الموقف في
أفتتان تام . أخذ كل من الرجل والثور
يدور حول الآخر . وبدأ على الحيوان

كأنه يدرك أن هذا شخصاً مختلفاً تماماً.
كان (لوك) يتحرك بخفة كأنه قطعة كبيرة .
ولكن لم يبد أى محاولة لنزع الحلية
الوردية. كانت حركاته تدير الثور وتدفعه
فى كافة الاتجاهات ويضطره إلى تحريك
قدميه بطريقة معينة مثلما فعل عندما
كان يمتطى جواده ويحاول الإمساك
بالثور الذى أفلت من يد الشبان أثناء
الاستعراض .

وبدا وكأنه ينومه مغناطيسياً ويروضه
ويقيده بعينه اللامعتين وبحركات جسده
الرشيقة. وفجأة وقف كأنه مصارع
للثيران . ورفع يده ببساطة . وقبل أن
يأتى الثور بحركة كانت الحلية قد انتقلت
سليمة آمنة إلى يد (لوك) الذى جرى
سريعاً إلى الحاجز وقفز إلى الأمان بينما
بدا الحيوان كأنما انفجرت ثورته . واندفع
فى جنون , ولكن كان ذلك متأخراً .

وارتسمت على وجه (لوك) ابتسامة
واسعة . وأصاب الجموع الغفيرة مس من
الجنون فتعالت هتافاتهم وتطايرت قبعاتهم
في الهواء جذلاً وسروراً بهذا الاستعراض
للجرأة البالغة .

وهب (فيليب) يشاركونهم الهتاف قائلاً :
« رائع . أنه الأفضل وعندما يعتزل
فسيكون هناك حداد عظيم حيث
سيحزن عليه كل ثور كأنه واحد منهم
» .

وبينما كان (لوك) يعود لمقعده سمع آخر
كلمات (فيليب) فقال : « ليس بعد .
فالآن أنا واحد منهم » واستدار إلى
(جوليا) . وب نظرة متهكمة كرر ما قاله
(فيلبت) منذ قليل : « ما رأيك في هذا

أيتها الفتاة

الأنجيلرية » .

قالت بهدوء وهي تعرف أن كل عواطفها
تجمعت في عينيها : « لقد كان جنونا
خطرًا ورائعًا » .

قال بصوت رقيق : « ومقابل هذه
الكلمات ستصبحين اليوم ملكة بدلاً من
أميرة » . وأمام الجميع قدم لها الحلية
الوردية وأحاط بها معصمها .
وصفقت (جوستين) في طرب وهي
تصيح : « إنه يدعوك للرقص » ثم
أضافت في مرح عظيم : « ولا يمكنك
أن ترفضى .. فستكون إهانة .. أليس
كذلك يا (فيليب) ؟ » .

إتسعت عينا (فيليب) وهو ينقل بصره
ما بين وجه (لوك) الداكن ووجه جوليا
المتورد ثم قال : « إهانة نادرة حقاً .
فهو لم يحاول فعل ذلك من قبل » .
وقالت (جوليا) في وقار : « ولذلك فلن
أرفض . وسأتحمل في جلد » .
وانفجر الجميع ضحكاً وشاركهم (لوك)
ولكن (روزان) لم تفعل . وامتلأت عيناها
بالغضب وهي تنظر (لجوليا) . واشتدت
يدها على ذراع (لوك) بنزعة امتلاكية

واضحة لإنسانه تعودت أن تنال كل ما
تريد .

وبعد قليل كان هناك سباقاً كبير في
الشوارع عندما تنافس الرعاه للوصول
إلى نقطة الفوز والظفر بالكأس الفضي
لذلك العام .

وعندما تسلل الظلام يغطي (كامارجو)
عاد أهل (مانادري ميتشاد) إلى الفندق
لتبديل ملابسهم استعداداً للذهاب
للرقص . تم ارسال (جوستين) إلى

فراشها وأعلنت (لوسيل) أنها ستبقى
معها حيث أنها تشعر هي الأخرى
بالإرهاق الشديد .

كانت الإثارة لا تزال تخيم على المكان
عندما ذهبت (جوليا) مؤخراً مع
(ماريس) لتلحقاً بالآخرين . تمت إنارة
الميدان الرئيسى بالمصابيح حيث سيقام
الرقص . كان الليل دافئاً بعض الشيء .
وكان فستانها الحريري يحف بساقيها أثناء
سيرها مع (ماريس) .

كالعادة .. كانت (روزان) قد سبقتهم .
يجب على (جوليا) أن تعترف بأنها بدت
رائعة الجمال . كانت تتشبث بذراع
(لوك) وكأنما كان ابتعاده عنها هو نهايتها
 . وتمنت (جوليا) ألا يكون ما وقع في
الحلبة قد حدث بقدر ما تتمنى أن تكون
بين ذراعى (لوك) بقدر ما كانت ترهب
هذا الموقف . إنه يذكرها بنواياه التي
تبدو في هذا الظلام حقيقية مرة أخرى .
كان الجميع يتوقعون وجوده هنا مع

(روزان) . إن زواجهما متوقع على مدى
أعوام مرت .

كان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلًا
فضفاضة وكان (فيليب) معهم . وعندما
أقبل أحد الرعاة الشبان يدعو (مارس)
للرقص لم يبد على (لوك) أى بادره
للضيق . يبدو أن الراعى يمكن الثقة به
على عكس ذلك الرجل الذي يعمل
معه في البنك . لم يكن لديها ادنى شك
أن

(لوك) يعرف تماماً ما يفعله .

وفجأة استدار لها بعد أن حرر ذراعه
بهدوء من ذراع (روزان) . وأحنى لها رأسه
بطريقته الساخرة المعتادة وقال بلجهة
قاطعة : « أنت مدعوة لهذه السهرة .
وقد بدأ الرقص , وفي هذه الليلة يا
آنسة.. أنت لى » .

كانت تنوى الرفض فقد استعرت غيرها
مرة أخرى عند رؤيته هو و(روزان) .
ولكن عيناه تعلقت بعينيها بنظرة كأنها

تنويم مغناطيسي . ولم تستطع عمل شيء
سوى أن تنظر إليه .

قالت (روزان) بضحكة صغيرة جافة : «

بالتأكيد

أنت لم تقصد ذلك على الإطلاق يا

(لوك) » .

وأمتدت يده وهو يقول برقّة : « ولكنني

فعلت .. (جوليا) تعرف أنني فعلت » .

وللحظة كانت نظرة عينيه تبدو ساخرة .

ولو يكن لديها أدنى شك في أنه يفكر في

كلماته « إذا وصلت إليك فسوف تأتين
لى ». ونظرت له ثم وضعت يدها فى
يده .

قال (فيليب) (لروزان) : « يجب عليك
أن تفعلى ذلك معى » وبدأت كلماته
كأنها على سبيل الترضية ولكن (جوليا)
لم تنظر إلى رد فعل الفتاة .. وجذبها
(لوك) إلى ذراعيه مباشرة وهو يتسم لها
وبدءا الرقص . وكالعادة تركت قلبها
يشب إلى رأسها .

كان سهلاً أن تنسى كل شيء . وكان
ذلك هو كل ما تريده . شعرت برأسها
تدور . كانت على استعداد لتحيا هذه
الليلة كأنها آخر لياليها على الأرض . ولم
تر شيئاً سوى الرأس الداكن وهو ينحني
على رأسها . ولم تشعر بشيء سوى
الذراعين القويتين يقربانها منه . في بعض
الأحيان . كانا يأتيان إلى بؤرة الضوء . وفي
أحياناً أخرى ينسحبان إلى الأضواء .

الخافطة في

جوانب الميدان . لم يتخل عنها (لوك)
مطلقاً بينما كان كل رفيق يتبدلان
ويتخذ كل منهما رفيقاً آخر . اختطت
أصوات الضحكات والموسيقى .
ولكن طوال الوقت كانا كأنهما في عالم
خاص بهما .

وعندما توقفت الموسيقى أخيراً لاستراحة
قصيرة وقفت (جوليا) منبهرة غير
مصدقة . انعكس ذهولها على وجه
(لوك) الداكن وهو ينظر إليها مبتسماً ثم

قادها إلى جائب الميدان . ويقال في

صوت عذب : « سوف

أحضر مشروباً لنا . ابق كما أنت تماماً .

ففي هذا الحشد سيأخذ الأمر مني بعض

الوقت لكي أعثر عليك » .

احست قلقاً لا مبرر له . فلم يكن

باستطاعة إنسان أن يفرقها عن (لوك)

طالما أنه يريد لها . وتابعت بعينها بينما

كان يسير عبر الميدان .. داكناً.. رشيماً

. بإستطاعتها أن ترقبه طوال اليوم بلا

كلل كان هناك

شيئاً ما يلوح بينها وبين (لوك) .

وتفجرت ينابيع الاثارة بداخلها .

وفجأة . كان هناك من يناديها : « جوليا

« وامتدت يد تمسك بذراعها ولكنها لم

تكن يد (لوك). وفغرت فمها في بلاهة .

كانت يد (جراهام) الذى تابع يقول : «

يا إلهى . إننى أحاول طوال اليوم أن

أجدك . لقد رأيتك فى حلبة الثيران .

ولكنك لم تنظري باتجاهي على الإطلاق
. ولم أستطع اللحاق بك عند انصرافك
. فلو لم تكوني هنا الليلة فلا اعتقد أنني
كنت سأجرك « .

حملت فيه (جوليا) . كان يبدو كأنه
شخصاً قادماً من الزمن الغابر . يكاد
يكون غير معروف لها ولا يهتمها إطلاقاً .
كانت قد نسيت تماماً أنها رآته بالأمس .
وبدون أن تعي امتدت أصابعها تنتزع

يده وسأله بحدة : « ماذا تفعل هنا ؟

ماذا تريد ؟ »

كانت تنظر له في فرع .. وكانت تشعر

بالامتنان لضعف الأضواء في هذا

المكان.. وفي استراحة الفرقة الموسيقية

كانت تدوى بالميدان أصوات موسيقى

الفلامنكو . والرنات المنتظمة « لصنج

« الفجر أثناء

رقصهم .

قال (جراهام) : « تعالى نخرج من هذه

الضوضاء اللعينة » .

وجذبها خارج الميدان إلى ظلام الشارع .

وفجأة تنبعت وكأنها عادت إلى الحياة

وصاحت :

« ماذا تفعل هنا ؟ أنا لا أريد رؤيتك ؟

«

لقد أمرها (لوك) بالبقاء في مكانها ولكن

(جراهام) حركها بعيداً . وقاومته (جوليا)

وهي ترمقه بنظراتها . ودهشت عندما

وجدته يهزها وقد امتلاً وجهه بالضيق
والغضب.

وصاح في غضب « أفيق يا (جوليا) .
إنني أطوف بهذه المدينة على مدى يومين
بحثاً عنك . كنت أعرف أنه لا فائدة من
ذهابي إلى المزرعة .

لقد استقر رأيك . أليس كذلك ؟ لقد
استقر على المجيء إلى هنا مع هذا الرجل
والعمل حاضنة أطفال «

وقاومته (جوليا) في عنف وهي تقول : «
دعني أذهب»
ولكنها جذبها بين ذراعيه بوحشية. وقال
بلهجة قاطعة؛ «لقد أتيت لأجلك يا
(جوليا) .. لقد كان كل ما حدث خطأ .
(جلوربا) لم تكن مثلك . ولا يوجد أحد
مثلك . لقد قلت لها أنني لا زلت أحبك
. إننا نلائم بعضنا يا (جوليا) كعادتنا
دائماً .

قالت (جوليا) ؛ « أنا لست كذلك. لن
أعود . أنا لا أريد أن أكون معك » .
قال : « أنا أعرف ذلك ولكنني لن
أدعك تفسدين حياتنا » .

وفزعت عندما وجدته يثنى رأسه يقبلها.
كان يقبض عليها في قسوة وأحباط تام
. كانت شفتاه ملتهبة وعنيفة . وضغطت
فوته رأسها للخلف مقابل ذراعه .
وانفجر خلالها إلم رهيب . ليس لأنها
كانت تخش من

جراهم فى هذه المدينة حيث يحيط بهم
الناس ولكن فكرة وجود شفاه أخرى
غير شفاه لوك على شفتيها كانت شيئاً
بدعو للضيقة والامتعاظ إلى حد
الاشمئزاز .

كانت أضعف من أن تتحرك . رفع رأسه
منتصراً دون أن يلقى بالاً إلى إذا ما
كانت قد أوذيت أم لا وفتحت (جوليا)
عينيها. لترى (لوك) واقفاً على بعد
خطوات قليلة وقد أمسك بكوبين فى

يده . كان وجهه جامداً وبارداً . وكل ما
استطاعته أنها أخذت تحملق فيه وهي
ترى الأمور من وجهه نظره . ولم تستطع
أن تنطق بأى كلمة تدافع بها عن نفسها

.

فتح (لوك) أصابعه ليدع الكوبين
يسفطان على الأرض لم يبال بصوت
تطاير الشظايا عندما تحطما على أرضية
الشارع المظلم . وتقدم باتجاههما وقد
ملأ الشر عينيه .

لم يكن (جراهام) يدر على الاطلاق بما
حدث كان يغمره سرور وحشي لقدرته
على أخضاع (جوليا). وفجأة أدير حول
نفسه . وكانت قبضة (لوك) تحطم فكه
وهي تحمل كل قوة وغضب الجسد
القوى الذي انطلقت منه. تكوم
(جراهام) على الأرض ، واستدار (لوك)
وترك
الميدان دون أدنى إلتفاته .

وتعالت الصيحات : « يا إلهى .. ما هذا

؟ .. ماذا حدث ؟ »

وفجأة ظهر (فيليب) وامتدت ذراعه
حول (جوليا) التى كانت لا تزال تقف
ذاهلة وكل ما استطاعته أنها كانت تهرز
رأسها فى بلاهه .

وسألها (فيليب) بإلحاح : « من يكون
هذا الرجل ؟ ليس من المحتمل أن يهاجم
(لوك) أى إنسان بدون سبب قوى » .

قالت (جوليا) بذهول: « لقد عرفتة في
انجلترا . وقد اعتقد (لوك) .. اعتقد أن
... » .

قال (فيليب) بسرعة « اتبعيه
وضحي له » .

قالت (جوليا) في بؤس : « كيف يمكنني
إنه غاضب جداً ولن يصدقني علي
الاطلاق » .

وصاح (فيليب) بلهجة غاضبة : « لن
يصدقك ما دمت لم توضحي له أبداً .

لقد خصك أنت بالرقص . ثم ها هو يجد
نفسه يواجه هذا الموقف . ألا ترين
مايعنيه كل ذلك له ؟ إنه رجل عزيز
النفس وأنا أعرفه . وضحي
له الآن وإلا فإنك لن تجدي فرصة
أخرى على الإطلاق لعمل ذلك » .
قالت (جوليا) : « إنه لن يصدق إطلاقاً
» .

قال (فيليب) : « إذن من الأفضل أن
نرى إذا ما كان سيفعل ذلك » ثم

أضاف عندما رأى (جراهام) يبدأ في
التحرك وهو يتأوه : « سوف اعتنى بهذا
الرجل الغريب المظهر » .

ألقت (جوليا) نظرة مشمئة على
(جراهام) ثم انطلقت تعدو . كانت لديها
فكرة طيبة عن المكان الذى قد يذهب
له (لوك) . إنه سيعود إلى منزله الخاص
بعيداً عن كل إنسان . ولم تكن متأكدة
على الإطلاق أنها

ستعرف طريقها إلى هناك وخاصة في
الظلام .

لم يكن (لوك) قد أوقف سيارته في
المكان المخصص مثلما فعلت (جوليا) .
ورغم ذلك فقد رآته بينما كانت تعدو
خارجة من الميدان . كان يستدير بسيارته
اللاندرفر من شارع جانبي إلى الطريق
الرئيسي . لم تكن اللاندروفر قد اكتسبت
سرعة كبيرة . وقفت (جوليا) حيث يمكنه
أن يراها وهي تسد طريقه في حزم .

وتوقف لكن كان من الواضح عدم
وجود أى نية لديه للحديث. التصقت
(جوليا) بالنافذة المفتوحة ووقفت تنظر
إلى وجهه الجامد ثم قالت :
« (لوك) .. لماذا انصرفت بهذه الطريقة
؟ » كانت لاهثة الأتفاس من أثر المسافة
التي قطعتها عدواً .. وبينما كانت تستند
على اللاندروفر المتربه لم تكن تدري هل
يمكن أن ينطلق بها ويطرحها أرضاً..

وانفجر دون أن ينظر لها: « هل كان
يجب على الانتظار حتى تنالين عدداً
كافياً من القبلات من خطيبك ؟ هل
كان دورى سيأتى بعد ذلك يا آنسة » .
كانت السخرية هي آخر شيء تريده في
هذه اللحظة . واستشاطت غضباً وهي
تقول :

« (جراهام ادامز) ليس خطيبى وقد
مضى على انفصالنا وقت طويل كما
تعلم جيداً »

قال بحده وهو يحملق فيها بعينين ضيقتين
: « ولذلك فأنا أفهم . عندما أجذك
على الرغم من ذلك تكتبين له وتوجهين
له الدعوة الحضور إلى (كامارجو)
وترتين لمقابلته فإننى أبدأ الشك فى
معتقداتى »

صاحت (جوليا) : « أنا لم أوجه له
الدعوة للحضور إلى هنا. إن مفاجأتك
بذلك ليست أكبر من مفاجأتى . لا بد
أنه حصل على عنوانى من (جين تود)

المرضة بالمستشفى .. لقد .. لقد

أنقض على » .

قال في استهجان : « وقد كنت أكثر

من رغبة » وأشاح بوجهه وأدار المحرك .

قالت (جوليا) بهدوء : « لم أكن .. لم

أكن رغبة على الإطلاق . لقد سبب لي

الأذى .. ولكنى لا أفترض أنك ترى

الأمر تستحق كل ذلك » وخمدت

انفعالاتها في بؤس عندما أدركت أن ما

فعله لم يكن سوى كبرياء الرجل والغرور

المحطم . وقالت : « أنا لست من أهل
(كامارجو) كما قلت أنت أكثر من مرة
. إن بإمكانى أن أدخل نفسى وأخرجها
من مشاكل الخاصة . كل ما يهملك أن
ماركيز دى سانت ميتشاد ربما يكون قد
شوهده توجه له أهانة . إن مفهومك
للشرف غريب جدًا يا سيدى . فى
انجلترا كنت أتوقع أن يتم إنقاذى وليس
تعنيفى » .

واستدارت مبتعدة وقد أقلعت عن أى
فكرة للتوسل إليه. كانت تريد أن تذهب
بعيداً .. إلى أى مكان .. بعيداً عن
مواجهة نظراته الغاضبة وكتفيه الجامدتين
وهو يضمن عليها بالعفو ، ثم ما الذى
فعلته يحتاج للعفو
سوى أنها تحبه بينما ليس لها حق فى
ذلك ؛ أمتلأت عيناها بالدموع . ما
الذى كانت تفعله هنا ؟ تجرى خلف
(لوك)؟ إنه يريد لها ولكن هناك (روزان) .

ولم ينكر ذلك على الإطلاق . إن اللقب
والأرض عميقان في دق . وهي ليست
من أهل (كامارجو) . لقد قال لها ذلك
أكثر من مرة .. في الغد لا بد أن تعود
لوطنها . إلى والدها .

ابتعد (لوك) بدون أدنى التفاته ,
وأعترفت بأن هذه كانت نهاية وقتها
معه . وسوف تشرح الأمور (جوستين) .
لقد مضى وقت طويل دون أن تشعر
بإرتباط حقيقى بمشاكل (جوستين) .

وإلى أقصى حد فقد أصبحت (جوستين)
مستقرة مع عائلتها . وهذا هو وقت
عودتها هي لعائلتها .

عندما وصلت الفندق بدا أن (فيليب)
قد أوقف الجميع . وبدأ يساعدهم على
ركوب السيارات . ولمعت عيناه وهو
ينظر إلى وجهها ويلمح خيبة الأمل التي
لم تستطع إخفاءها .

قال بهدوء : « سوف أعود بك للمنزل
.. وستأخذ (ماريس) سيارتك . لا

تنزعجى كثيراً يا (جوليا) . ففى الغد
سبرى (لوك) أن كل ما حدث لىس من
الانصاف فى شىء. إن له مزاج ثور
ولكنه لا يدوم طويلاً .
فى الغد ستكون قد رحلت , وأومات
(جوليا) ثم جلست فى صمت مرهق
طوال مدة السفر . وعند وصولهم كانت

(جوستين) لا تزال نائمة فحملها

(فيليب) إلى فراشها. ونظرت لها (جوليا)

عبر الباب وهي تعرف أن عليها في الغد

أن تربط على قلبها ضد أى دموع حتى

تعلن

(جوستين) بقرارها.

وبدا ضوء الفجر يیزغ على (كامارجو).

وكانت (جوليا) تعلم أنها لن تستطيع

النوم . وأعدت حقائبها ثم رقدت

تستريح لبضع ساعات وقد ملأ وجهه
(لوك) الغامض كل تفكيرها لم تستطع
رؤية أى شىء سوى الظلام من حولها
لقد أصابها الأذى مرة أخرى . إن
مصائبها تستدعيها دائماً . لن يكون
هناك حب آخر . لقد انتهى مع (لوك) .
نخضت من فراشها فى السابعة . وتناولت
إفطارها مع العائلة ثم قدمت إيضاحاتها .
وأخذتهم الدهشة لقرارها المفاجيء
بالرحيل . كان (فيليب) هو الوحيد الذى

يعرف سبب الحاحها على العودة لوطنها

.

قالت (ماريس) وقد ملأت الدموع عينها
: « أيا كان ما فعلته فسوف يتجاوز عنه
(لوك).. فغالبًا ما يكون غاضبًا ولكن لا
يكون جائرًا أبدًا » .

قال (فيليب) بهدوء : « أنا لا أعتقد أن
(جوليا) تحتاج عفوًا ، إنها لم تفعل أى
خطأ . ومنذ جاءت إلى هنا كانت وما
زالت تقدم لنا جميعاً رقتها وعطفها إنه

شيء خاص يا (ماريس) ويجب أن يترك
لها وحدها» .

كان يبدو مثل (لوك) بكلماته هذه.
وشكرته (جوليا) ثم صعدت إلى الطابق
العلوى . كانت جوستين قد استيقظت
ولكنها لم تنزل في فراشها. يجب مواجهة
الأمر. وقد يكون من الأفضل أن يتم
الآن .

وعندما اوضحت (جوليا) أنها يجب أن
تعود لـانجلترا بكت (جوستين) وهي تقول

: « كيف يمكنك أن تتركيننا؟ لا يمكنني
الاستمرار بدونك وماذا سيفعل عمي
(لوك) ؟ هو أيضاً لا يمكنه الاستمرار
بدونك » .

قالت (جوليا) في صوت عذب : « يجب
أن أعود إلى عملي . وابي أيضاً يحتاجني .
وأنت أفضل جداً الآن يا عزيزتي . لا
تنس أن والدي يفتقدني . لقد كنت هنا
مؤقتة . وأنت تعرفين ذلك » .

قالت (جوستين) باكية : « ماذا أفعل
إذن إذا اكتشف عمى (لوك) أنني أعرف
أن موثهم كان ذنبى ؟ لا يمكنى مواجهته
عندئذ » .

قالت (جوليا) بثبات : « لم يكن ذنبك
. لقد كانت حادثة »

قالت (جوستين) بصوت منكسر : « لم
تكن » وأرتفع صوتها وهى تتابع : لقد
جذبت أُمى عجلة القيادة. محاوله تقليل
السرعة. لقد حاولت أخذ السيارة منه.

كان أبي. مصدوماً وممتلئاً بالغضب بعد
أن أخبرته بأن عمى (لوك) هو والدى
الحقيقى . ماذا يمكنى أن أفعل عندما
يكشف عمى (لوك) أننى أعرف ؟»
أجمت المفاجأة لسان (جوليا) .

وتذكرت كل النظرات التى كانت توجهها
(جوستين) إلى (لوك) . وتذكرت القلق
الذى كان علا وجهها إلى أن تسمعه
يتحدث . وعرفت أن سرها لا يزال آمناً
فكان القرار اللا إرادى

بالاختباء وراء الصمت حيث لم يكن

هناك مكان آخر للاختباء .

قالت (جوليا) بلهجة حادة : « أنصتي

لى يا جوستين » . وقبضت بيدها على

كتفها الرقيقتين ثم رفعت رأسها لتنظر

إلى عينيها وقالت : « لقد استمعت إلى

مشاجرة ... مشاجرة بين الكبار , ومن

عادة الكبار عندما يغضبون أن يقولوا

أشياء ليؤذوا بعضهم البعض بها بينما هم

لا يعنون ما يقولون على الاطلاق . إذا

كانت والدتك قالت ذلك فقد قالت
لإحداث الأذى لأنها كانت غاضبة.
أليس كذلك؟ .

تساءلت (جوستين) : « إنك لا تعرفهم
؟ فكيف يمكنك القول بأنه لم يكن
حقيقى ؟ »

قالت (جوليا) : « أنا لا أعرفهم ولكننى
أعرف عمك (لوك). إنه رجل عظيم
شريف . وأكثر . من ذلك فقد كان يحب
والدك مثلما يحبك. يجب ألا تسبى له

الأذى بأن تقولى له أشياء ليست
حقيقية» .

أومأت (جوستين) فى صمت وقد بدأ
التوتر يتلاشى من كتفيها الناحلين ... ثم
تركزت عيناها الصغيرتان على وجه
(جوليا) وهى تقول : « سوف يؤذى
عندما ترحلين » ,

قالت (جوليا) : « كلا فأنت لديه .
ولديه عائلته وأرضه . وكلكم كامرجويين .
أنا انجليزية وأحتاج لوطنى وأهلى . ويوماً

ما عزيزتى سوف أعود لأراك . وربما
يسمح عمك (لوك) ذات يوم بأن تأتى
لتقيى معى «

ثم طبعت قبلة على الوجه الرقيق المبلل
بالدموع وتابعت قائلة : « بإمكانك أن
تسعدى كل فرد بما تفعلين . وكلنا علينا
هذا الواجب » .

سارت (جوليا) إلى الباب لتخرج قبل أن
تخونها عزيمتها . وكادت تصطدم

(بلوسيل) . التي كانت تقف خارج

الباب مباشرة .

وإندفعت (لوسيل) قائلة : « إنه ليس

صحيحاً يا (جوليا) . إن (جوستين) ابنة

(جوليس) . لقد كانت (دابروري) دائماً

متبلدة ومؤذية . وحاولنا أن ننبه

(جوليس) قبل الزفاف ولكنها كانت

جميلة وعنيدة . إن

(لوك) فقط هو الذى يناسب واحدة

مثلها . ومن البداية لم يكن لديها أي

حب تجاه (جوستين). وأنا أشك في أنها
أحبت أى أنسان على مدى حياتها .
وأياً كان ما قالته في تلك الليلة فهو لم
يكن صحيحاً. كان (لوك) دائم الابتعاد
عنها. كان يكرهها دائماً وقد أظهر ذلك
أكثر مما كان يخفيه .

قالت (جوليا) في صوت رقيق : « لست
مضطرة لأنّ تقولى ذلك يا (لوسيل) . أنا
أعرف أنه لا يمكن أن يكون حقيقياً. إن
(لوك) شخص خاص جداً . ولا يستطيع

مطلقاً عمل أي شيء ليؤدي أيًا منكم .

وعلى

الرغم مما قالته (جوستين) الآن فأعتقد

أنها ستنساه بعد فترة من الوقت .

وهكذا يمكنني كما ترين العودة لوطني في

اطئنان وتركها لكم»

هبطت إلى الطابق الأرضي لتجمع

حقائبها. وقال فيليب بصوت حزين:

«أنا لا أرى. داعي لذلك ولكن حيث

أنك قد عقدت العزم فسوف أصحبك

إلى مرسيليا. وسوف أصحبك إلى
المطار» .

جلسا صامتين طوال الطريق . كانت
(جوليا) ساكنة كأنها تمثال بارد من الثلج
رغم الشمس الملتهبة. كان وجهه (لوك)
يتراءى أمامها لهب لامع في زرقة السماء
. كان وجهه (لوك) يتراءى أمامها كما لو
كان موجوداً. وفجأة أنهار تماسكها
الثلجي وغامت عيناها بالدموع عندما

رأت طيور البشروس تنطلق محلقة كأنها
لهب لا مع في زرقاء السماء .
وتمتت: « وداعاً » . لم تكن تقول
وداعاً لجمال الطيور فقط , وإنما كانت
صرخة من قلبها لهذه الأرض . هذه
الأرض الغريبة التي لن تراها مرة أخرى
على الإطلاق . وداع أخير (للك) .
عند وصولهم إلى المطار كانت تمر ما
لحظات تشعر فيها أنها ممزقة بين رغبتها
في الرحيل في الحال للعودة إلى والدها

واجترار الأحران فى صمت على (لوك)
وبين رغبتهافى البقاء والعودة بحثاً عنه.

كان

(فيليب) متجهماً صامتاً وقد أمسك
ذراعها بيده واختفت روحه الساخرة
المغازلة . إنه يعرف ما تشعر به ولم يكن
لديها شك فى ذلك للحظة.

واستدارت لتقول له: « وداعاً » ولكن
أجفلت عيونهما عندما نودى على أسمها
فى مكبرات الصوت : « فلتفضل

المرضة (جوليا ردفورد) بالحضور إلى
التليفون « . ثم تكرر النداء قبل أن يفق
أى منهما . كان (فيليب) أهدأ منها
أعصاباً . نظر لوجهها المضطرب ثم قال
مؤكدًا بسرعة : « لا يمكن أن يكون
شيئاً خطيراً . لقد مضى وقت قصير
على مغادرتنا . وربما تكونين قد نسيت
شيئاً هاماً » .

إنها لم تنس شيئاً . إنها تعرف ذلك .
وارتعدت يدها عندما تناولت سماعة

التليفون. كانت المتحدثة هي (ماريس) :

« (جوليا) .. (جوليا) » يجب أن تعودى

فى الحال . إن جوستين لا تستطع الكلام

. وهى مذعورة وفى حالة شبه هستيرية .

لقد وصل (لوك) ولكننا لا نستطيع

عمل أى شىء . لقد أخبرناه برحيلك

فطلب أن نتصل بالمطار لإيقافك . يجب

أن تعودى يا (جوليا) . لقد قال (لوك)

أنه لا يوجد من يستطيع

تقديم المساعدة سواك » .

وأخبرت (فيليب) . واختفى تعبير الأسي
من عينيها عندما رأت تعبير وجهه كان
يتردد ما بين القلق والسرور . من الواضح
أنه مثل (لوك) يعتقد أن وجودها الدائم
سيبقى (جوستين) طبيعية . ومثل (لوك)
أيضاً تجاهل مشاعرها الخاصة .

وعندما رأى وجهها المتحجر سأها ببعض
الخضوع : « هل ستعودين ؟ »

قالت في حدة : « اوه .. من الطبيعي
أن أعود . ولكن هذه المرة يجب على

الآنسة (جوستين) أن تقدم بعض

الإيضاحات .

قال (فيليب) مندهشاً : « لكن من

الواضح أنها مريضة » وتركزت عيناة

على وجهها الصارم .

قالت (جوليا) : « لا أعتقد ذلك » .

كان هذا هو كل ما قالته عندما تركا

المبنى وعادا إلى السيارة. كانت ستفاجأ

جداً إذا لم تجد (جوستين) في صحة

جيدة. إنها تعرف أن ما فعلته (جوستين)

كان قرارًا محددًا بالتزام الصمت .
وكانت توجد قبله صدمة تكمن وراء
وجهها الجامد وشفتيها المغلقتين . أما
الآن فإنه تصميم قوى على التمسك
بصديقتها . نعم إن الأنسة
(جوستين) يجب أن تقدم بعض
التفسيرات لما تفعله .

الفصل العاشر

عند عودتهما وجدا سيارة (لوك)
اللاندروفر خارج المنزل وكان ذلك
أغلب ظن (جوليا) . فلم يكن (لوك)
ليترك (جوستين) مدة طويلة ما دامت قد
تعرضت للمتاعب مرة أخرى . عندما
توقف فيليب بالسيارة هرعت إليها
(لوسيل) بقلق وعندما رأت (جوليا)
أشرق وجهها بالارتياح .

قبضت يداها على يدي (جوليا) وهي
تقول : « لقد أعتقدت أننا قد نكون
تأخرنا كثيراً بحيث لا يمكننا اللحاق بك
. لقد اتصلت بك (ماريس) تليفونياً قبل
أن تذهب لعملها. ماذا سنفعل مع
الطفلة يا (جوليا) ؟ إنها بحجرتها وقد
التزمت الصمت التام .
أبتسمت (جوليا) تطمئن (لوسيل)
وقالت : « سوف أصعد إليها » ثم
سألت بهدوء : « أين لوك ؟ »

قالت (لوسيل) بقلق : « إنه مع
(جوستين) ولكن بقدر ما يمكنى قوله
فهى تتجاهله » .

قالت (جوليا) : « نعم . لا بد أن تكون
كذلك » ثم تقدمت وصعدت إلى
الطابق العلوى.. كان وجهها متجهماً
وبدت نظرتها تنذر بالشر لمن يراها ..
وكانت هذه النظرة لا تزال موجودة
عندما فتحت باب (جوستين) .

كان (لوك) يجلس أمام النافذة وأدركت
على الفور أنه رأى وصولها . والتقت
عيناه بعينيها ولكنها أشاحت بصرها
بعيداً. يجب أن تحصن نفسها ضده وضد
الطفلة التي ابتدعت حيلة تستبقها بها
عندما تحاول الرحيل . كان يجب أيضاً
أن تحصن نفسها ضد انكسار قلبها مع
(لوك) .

كانت جوستين لا تزال في فراشها وبدأ
(لجوليا) أنها لم تغادر الفراش من الصباح

. وأشرق وجهها بالسعادة عندما رأت
(جوليا) ولكن تعبيرها بقى حذرًا عندما
وجدت (جوليا) تنظر إليها بشفتين
مغلقتين بإحكام
وعينين قاسيتين .

لم تكن صديقه الآن عندها أقتربت من
الفراش . كانت الممرضة (ردفورد) ولا
شيء آخر وتناولت المعصم الصغير
ونظرت في ساعتها تفحص نبض

(جوستين) . لم تكن تتوقع أن تفعل شيئاً
سوى إعادة الطفلة
إلى حواسها هذه الحركة التي كانت
ستذكرها بالماضي . وكما توقعت فقد
كان النبض سريعاً قلقاً .
قالت (جوليا) بهدوء : « نعم .. أعتقد
أنك يجب أن تبقي بالفراش يا (جوستين)
. وحيث أنك لا تستطيعين الكلام مرة
أخرى فقد يكون ضرورياً إدخالك إلى
أحد المستشفيات ولكن سيكون بالطبع

في فرنسا . فلم يسمح لك بالذهاب
إلى مستشفى مرتين في إنجلترا. سوف
أحاول أن انهي ترتيبًا في ذلك قبل
عودتي لوطني .

سألت (جوستين) بسرعة : « الا زلت
سترحلين ؟ وسوف تتركيني ؟ » وسمعت
(جوليا) زفرة (لوك) الغاضبة. وهي تدرك
جيداً أنه فوجيء بموقفها الصلب ولكن
حيث أن (جوستين) تحدث بهذه السرعة
فرمما

احس بانه يفهم ابنة أخيه أكثر من أى
وقت مضى .

قالت (جوليا) بصوت قوى : « نعم ..
سوف أذهب .. فهناك بنات أخريات فى
حاجة لى . وفى الحقيقة فأنت لم تكونى
بحاجة للوقت طويل . لكنى اعتفدت
أننى صديقة » .

قالت (جوستين) بصوت باك : « أنتى
صديقتى .. أنتِ أفضل صديقة لى »
وانتفضت (جوستين) من فراشها فى

انفعال فأخذت (جوليا) بيدها وأجلستها
على ساقها وهي توجه لها نظرة لوم
قائلة :

« الا زلت لا ترددين في ازعاجي وازعاج
عمك (لوك) وجدتك (لوسيل) .
و(ماربس) و(فيليب) . انت تفكرين في
نفسك فقط وليس في كل الناس الذين
يحبونك»

امتلاأت عينا (جوستين) بالدموع

وغمغمت قائلة : « أنا أريدك أن تبقى »

.

فالت (جوليا) في صوت ناعم: « لكننى

بحاجة لأن أذهب. أنا ممرضة ولا يوجد

هنا الآن من يحتاج إلى تمريض لا يوجد

أى إنسان يحتاجنى فعلاً. فى انجلترا هناك

الكثيرون بحاجة لى ولن تجدى أى حيلة

لإبقائى هنا. إن الحيل لن تأتى بنتيجة

سوى أن تجعلنى غير سعيدة وقلقة . أننى

أريد أن أكون صديقتك للأبد يا
(جوستين) ولكنك يجب أن تعطى مثلما
تأخذين «

وفجأة كانت الذراعان الصغيرتان
تطوقان عنقها وأخذت (جوستين)
تنتحب في صمت بينما ضمتها (جوليا)
بين ذراعيها . ثم قالت بهدوء : « أما
الآن فإننى سأبقى حتى الغد . فلتتردى
ملابسك ولتذهبي لجذتك وتطلبي

منها ألا تقلق . وضحي لها الأمور
وسوف يسير كل شيء على ما يرام .
وقبلت الوجنة الصغيرة ثم وضعتها على
فراشها ونهضت وهي تتجنب عيني
(لأنك). وبقي (لوك) بالحجرة ليتحدث
إلى (جوستين) وعندما خرج كانت
(جوليا) قد هبطت للطابق السفلي
تشرح (للوسيل) وفيليب أنه لا يوجد
أى داعى للقلق على الإطلاق .

وفجأة قال (لوك) : « أنا أريد التحدث
معك » وامتدت يده إلى ذراعها وبينما
اعتقدت أنه سيقودها إلى حجرته وجدته
يقودها إلى خارج المنزل مباشرة حيث
تقف سيارته اللاتدروفر. وأركبها السيارة
ثم انطلق بها بدون أى تعليق أو تفسير
على الإطلاق .

قالت (جوليا) بإقتضاب : « يجب أن
أكون هناك مع (جوستين). لا بد أن
أكون معها لأساعدتها على اجتياز هذه

المشكلة البسيطة» كان قلبها يدق

بسرعة اللاندروفر عندما استدار متوجهاً

لمنزله الخاص .

قال (لوك) وقد تجهم وجهه : « لقد

أظهرت قدرتها على التعامل مع الكبار.

لقد كنت أنت الشخص الوحيد الذى لم

تنطل عليه حيلها تماماً . إنها يمكن أن

تتجاوز مشاكلها بنفسها خلال ساعة أو

ساعتين. إن مشاكلى تلم بي فى هذه

اللحظة . ولمرة واحدة في حياتي أريد أن
أكون أنانياً تماماً » .

قالت (جوليا) بصوت حاد قاس : «
ليس معي . أنا لست أكثر من زائرة .
وسأمضى الليلة كضييفة (للوسيل) ثم
أعود لوطني » .

قال (لوك) مؤكداً في إيجاز : « أنا لم
أحاول إيقافك على مدى وقت طويل »
ثم تابع قائلاً : « لقد قطعت كل الطريق
من مرسيليا لتعودي من أجل (جوستين)

. أفلا يمكنك إضاعة دقائق قليلة من

أجلى .

أومأت برأسها بينما وجه لها نظرات
خاطفة حادة ولكنها كانت متوترة داخلياً
وكل أعصابها على وشك الانفجار. لقد
كان بإمكانه تماماً أن يتحدث مع في
(ماناد دى ميتشاد) إذا ما كان يود
الحديث في أمر يتعلق (بجوستين) . إذاً
فلماذا يتجهان مثل هذه السرعة إلى
ضياعته الخاصة ؟

لا شك أنها كانت تكاد تكتشف
السبب. لقد كان التصميم واضحاً على
وجه (لوك) وأدركت أن من الأفضل ألا
تتحدى ذلك الرجل القوى المتوتر.
أوقف السيارة الثقيلة أمام المنزل ثم
استدار بعد نزوله ليساعدها على النزول
ولكن لم يقل أى شيء حتى وصلا إلى
حجرة الصالون.

وصفق الباب خلفه بصوت مدو. ثم
استدار لها وقد تركزت عيناه على عينيها

.

قال يكلمات حادة : « عندما ذهبت
إلى «ماناد» هذا الصباح كنت أنت قد
رحلت بالفعل » ثم تابع: « بدون أى
كلمة .. بدون أدنى التفاتة رحلت عنى
« .

وتسارعت أنفاس (جوليا) لدى هذا
التأكيد المذهل .. لدى هذا الاندفاع
الصريح بعد عنف الأمس .
وقالت بلهجة مؤكدة غاضبة: « الرحيل
عنك ليس له دخل بالأمر » .
ثم تابعت لقد كنت راحلة عن
(كامارجو) وعائدة لوطني . وفي الغد
سوف أفعل ذلك مرة أخرى . لقد جئت
هنا من أجل (جوستين) وهى التى
سارحل عنها لأنها لم تعد بحاجة لى » .

سألها بلهجة حادة : « هل من الطبيعي
أن ترحلى بمثل هذا الأسلوب . هل
كنت ستذهبين بهذه السرعة والسرية
دون أن تقولى كلمة وداع واحدة ؟ »
قالت (جوليا) بتوتر : « أنا أفهم أننا قد
قلنا وداعاً بالأمس » ثم تابعت : « لقد
بدا لى أنه لم يبق شىء آخر نقوله لبعضنا
. وعلى أية حال أنت لم تكن هناك »
قال بصوت يشوبه الخضوع : « لقد
وصلت بعد رحيلك مباشرة » بعدك

بدقائق قليلة.. وكان المنزل في حالة
اضطراب حيث قررت (جوستين) فقد
القدرة على النطق . لقد كنت ساتبلك
على أية حال «

قالت (جوليا) بصوت مؤكد : « لم أكن
لأعود مرة أخرى إذا كنت قد وصلت
انجلترا فعلاً . فإن (جوستين) كانت
ستعود إلى حواسها سريعاً بعد وقت
قصير جداً » .

قال بهدوء : « لم أكن سأتبعك من أجل
(جوستين) » وحملق في وجهها الغاضب
المتورد خجلاً ثم قال : « لقد كنت سأتى
من أجلى » .

قالت (جولبا) بصوت مرتعش : « وكنت
ستضيع وقتك » لم تكن متأكدة من
سبب رغبته فى بقائها هنا . وتابعت قائلة
: « ورغم كل شىء فلا يوجد لدينا ما
نقوله لبعضنا » .

وسألها بصوت عذب : « ألا يتشاجر
المحبون في انجلترا؟ هل لا تعترهم غيره
عنيفة متوحشة مثلما فعلت أنا بالأمس
؟ »

ردت (جوليا) في غمغمة مرتجفة : «
نحن .. نحن لسنا حبيبان »
قال مؤكداً : « فقط لأنك لا تثقن بي .
فقط لأنني كنت ممزقا بين واجبي تجاهك
في أرض أجنبية وبين رغبتى فيك وإذا
كنت قد وثقت بي فكنا سنصبح حبيين

منذ أسابيع عديدة . وتقريباً منذ الليلة
الأولى لمجيئك إلى (كامارجو) .
قالت (جوليا) بصوت مهتز : « إنت لا
تملك أى حق فى الحديث بهذا الأسلوب
« . كانت تسدد بصرها إلى الأرض
لكلى تتحاشى نظرتة الملتهبة .
قال بصوت رقيق : « إنه ليس حق يا
عزيزتى . أنه حاجة . أنا أعرف أنك
تريدنى . إذا كنت تريدنى بدرجة كافية
فأنا أقوى وضع نهاية لهذا النقاش

بخصوص كونا حبيين أم لا.» ورفعت
بصرها يعينين واسعتين مجفلتين . كان
تحببته نفسه لها يرن في أذنها كانه صوت
موسيقى وتشبثت عيناه بعينها .
واختفت نظرات الكبرياء من عينية بينما
كان ينظر لها في تدلل تام .
وببساطة قال : « أنا أحبك يا (جوليا)

«

لم تستطع أن تنبس بنت شفه .
وللحظات قليلة كانت صامته مثلما

أدعت (جوستين) هذا الصباح ولكن بدا
أنه قد فهم فأبتسم لها ولكنه لم يفعل
شيئاً لتقريب المسافة بينهما .

قال : « لقد حكّت لي (لوسيل) ما قالتها
(جوستين) وما تخيلته . وحكّت لي كيف
رددت انت عليها . لقد قلت أنني رائع
وشريف ويجب على (جوستين) ألا تحكي
لي وتؤذيني . وإذا كنت تعتقدان في ذلك
عندما قلتيه فكيف تشكين في عندما

أقول لك بأنني أحبك وأنه لا يوجد ولن
يوجد أحد غيرك لي «

قالت : « أنا .. أنا اعتقدت أن

(روزان) « ولم تستطع عيناها الزرقاويتان

أن تدعا عينيه وقالت : « لو أكن أريد

أن أوذى نفسي مرة أخرى » .

ووعدها بصوت رقيق : « لن تتعرضي

للأذى أبدا يا عزيزتي . ولا حتى شعرة

ذهبية واحدة من رأسك » .

للحن لم يفعل شيئاً سوى النظر إليها ثم
فتح ذراعيه واندفعت (جوليا) ليضمها
ويحتويها قريباً من قلبه . ودس وجهه في
شعرها وسرت رعشة حول جسده كأنها
زفير الارتياح .

قال : « الليلة الماضية . كنت همجياً
ومتوحشاً عندما رأيتك بين ذراعى رجل
آخر وتتقبلين قبلاته في رغبة »

قالت « أنا .. أنا لم أكن .. أستطع أن
أقاتله .. لقد كان قوي جدًا. وقد
فاجأني بظهوره » .

ورفع رأسه بعينه الداكنة الفاحصة وقال
: « ولم يكن لديك أي فكرة عن وجوده
هنا في (كامارجو) ؟ » .

قالت بلهجة صادقة : « الليلة الماضية .
لا . لقد رأيته أول أمس عندما ذهبنا إلى
الحلبة .. ولكن - وإلى حد غريب -
كنت قد نسيت كل شيء يخصه » .

سأل بصوت عذب لا يزال يشوبه بعض
التوتر: « لماذا لم تخبريني في هذا الوقت ؟
» .

قالت : « لم أكن أريدك أن تعرف »
وأحنت رأسها لتهرب من نظراته القاسية
ثم تابعت : « لم أكن أريد حدوث أي
شيء ممكن أن يغضبك ويفسد ..
ويفسد .. » .

قال : « يفسد ماذا يا (جوليا) ؟ »
وأحنى رأسه نحوها وعندما لم تجب رفعت

يده القوية وجهها وسألها مرة أخرى : «
يفسد ماذا ؟ » .

نظرت إلى عينيه لتجد نظرتة تحيط بها
بدون أى أمل فى النجاة .

همست : « لقد كنت أريد فقط أن
أكون معك . لقد كان كل شيء يسير
إلى الأسوأ كل فرد يحتاجك » ثم فجأة
وضعت رأسها فى يده وأغلقت عينيها
وهى تقول : « أنا أحتاجك أيضاً يا
(لوك) .. أنا أحتاجك أكثر من أى أحد

لأن كل شيء يبدو مظلماً عندما لا

تكون موجوداً »

وإذا كانت أرادت أن تقول شيئاً آخر

فلم تكن لتستطع لأنه لفها بذراعيه

وأدخل يده في شعرها بينما ضمها بقوة

بأسة كادت تزهق أنفاسها .

وسألها بإلحاح : « إذن فأنت تحبيني ؟ »

وهمست : « أعتقد أنك تعرف ذلك

فعلاً . أنا لست بارعة في اخفاء مشاعر

« .

وابتسم ببطء وتراخت مقاومته القوية

زافر بعض أنفاس مرتعشة .

وغمغم بصوت عميق : « أنت لست

كذلك يا عزيزي . لم أكن لأسمح لك

بتركي . كنت سأجرك حتى لو تركت

العالم لأنني أحتاج إليك . أحتاج إلى

دفعك وأمنك وجمالك الذهبي . ولن

نفترق أبداً »

بينما كان يحتويها بين ذراعية . وهمس «

أنت أشعة الشمس المشرقة . نسيم من

الربيع .. لقد كنت أريدك من ذلك اليوم
الذى جئت فيه بكل قسوة وكبرياء إلى
حجرة (جوستين) لتوجهين إلى اللوم ,
ذلك اليوم الذى سمحت لى فيه بالزيارة .
كان ذلك رغم أنك كنت منهكة تحت
وطأة مشاكلك الخاصة . لقد قاومت
ذلك» ثم رفع رأسها ونظر إلى وجهها
الذاهل وهو يعترف مبتسماً:

« ولكن ليس بقوة كبيرة. فمن الصعب
جداً أن يحارب الإنسان ضوء الشمس
بينما. يلفه الظلام »

وانتصبت : (جوليا) على أطراف
أصابعها وفعلت ما فعلته ذات مرة قبل
ذلك .. قبلته برقة وعذوبة .. وقد طفت
كل أحاسيسها غلى وجهها. وسرت
السعادة والأثارة عندما قبلها (لوك) .
كان سحراً .. غياباً ودوراناً ساحراً ذاك
الذى حملها إلى الضياء والسعادة... لم

تخيفها رغباته . كانت ترتجف من
السعادة . وقد توافق حينهما .. كانت
قبلاهما وحشية وملتهبة حتى تراجع
ينظر إليها.

كان هناك سؤالاً في عينيه .. سؤالاً
ملتهباً يبحث عن إجابة . فأخذها وهو
يعرف ما تحس به دون الحاجة إلى أى
كلمة .

وتوسلت له: « ارجوك يا (لوك) » وكان
رد فعله متوحشاً وقال بلهجه غليظة :

« أخيراً أنت تقولينها لأجل كل

الأسباب التي أريدها»

وأوقف الانفجار الحاد للألم اندفاعه

مؤقتاً ولكن كانت شفتاة تغطي شفتيها

حتى لفت ذراعيها حول عنقه ثبتت

عيناه بعينيها عندما نظر لها للحظة طويلة

يتفحص وجهها المتورد وعينيها

الزرقاوتين البريئتين .

وغمغم بصوت عذب : « فتاة فاتنة »

والتهبت الرغبة

مرة أخرى في وجهها وهو يقول : « فتاة
فاتنة .. مجنونة »

وقالت في ارتباك وخجل : «أنا.. لم
يحدث على الإطلاق أن .. » واتسعت
ابتسامته . وهو يقرب منها ويعض على
بشرتها برفق وقال بتلذذ هاديء زاد من
خجلها :

« إنه متأخر جد أن تقولى لى ذلك الآن
يا عزيزتى . لقد كنت امتلكك فى عقلى
لوقت طويل إنه مجرد تحقيق لأحلامى

وبعد قليل ستعود. وأما الآن فإنني
سأضملك وأتوسل إليك أن تمنحيني
عفوك عما سببته لك من أذى .
قالت بسرعة : « أنت لم تفعل .. ليس
حقيقي » . ولكن ضحكته الخفيفة
المدمدمة وذراعاها الملتفان حولها الزماها
الصمت بينما أخفت وجهها بين كتفيه
وأسلمت نفسها لنعيم سعادتها . لقد
انتمت إلى (لوك) وفي داخلها كانت

تعرف أنه سيكون أبدياً لأنه يجب أن
يكون .

ومؤخراً كانت بين ذراعيه في دفء
واطئنان .

قالت بصوت رقيق وكأنها تخشى أن
تفقدته حتى الآن : « لقد اعتقدت بأنك
تنوى الزواج من (روزان) » ونظر إليها
وقد تغضنت جبينه ولكن سرعان ما
انفرجت أساريره ثم سألها في اعتداد :

لماذا يجب أن أتمنى الزواج من فتاة عنيدة
بينما يمكنني أن أحصل على امرأة دافئة
مطبعة « ثم رق صوته عندما رأى وجهها
معتماً : « إذ كنت قد سببت لك الغيرة
والألم فأنا آسف لذلك . أنا أعرف

(روزان)

منذ أن كانت طفلة وأنا أقترض أنا جميعاً
كنا نتباسط معها ، إنها تنزع إلى التملك
وكانت تتأرجح بشدة ما بيني وبين

(فيليب). لقد حدث ما رأيته لأنه كان

دورى لا شىء غير ذلك «

قالت (جوليا) بامعان : « هل تعتقد أن

(فيليب) ... ؟ » .

ولكن (لوك) ضحك بسعادة وهز رأسها

وقال مازحاً : « كلا .. أنا لا أعتقد أن

(فيليب) .. لقد أفسدها التدليل وهى

ليست مناسبة على الإطلاق . وذلك

بغض النظر عن حقيقة أنه لا يجبها وحتى

إذا فكر فى ذلك فسأبذل قصارى

جهدى لأثنيه عنه « ثم أضاف بحزن »
مثلما حاولت أن أثنى (جوليس) .
حاوات جوليا أن تبتعد عن (دابردرى)
والتركة المؤلمة التى خلفتها وراءها فقالت
بسرعة: « ماذا عن الأرض التى يقول
(فيليب) أنك تحتاجها ؟ »
قال (لوك) ساخراً : « لقد حكى لك
الكثير . ورغم ذلك فهو لا يعرف كل
خططى . إن عائلة (دوبين) يفكرون
جدياً فى الانتقال إلى الشمال . و

(روزان) ابنه وحیده ولن تستطيع إدارة
القطعات بمفردها على الرغم من
مهاراتها في ركوب الخيل ومعرفتها برعاية
الماشية , وسوف تكون أفضل إذا ما
كان ميراثها شيئاً أصغر من السهل
التحكم فيه. وعندما يرحلون فقد رتبت
لشراء ممتلكاتهم وأرضهم . وهى ستزيد
من أرضنا وتجعل (الجوستين) ميراثاً
منفصلاً»

قالت (جوليا) : « (لوك) .. متى .. نتي
نتزوج ؟ » .

قال بفسوة : : « وسنتزوج » وأدخلها
في دائرة ذراعيه المحكمة وهو يقول : «
لن أدعك تغيبى عن عيني مرة أخرى» .
وقالت بتريث : « عندما نتزوج هل
سترغب فى تبني (جوستين) »
ولوهلة أظلم وجهه لكنه جذبها بين
ذراعيه حتى خرجت أنفاسه بين شعرها.
وسألها بصوت رقيق : « ألا يوجد شيء

فى هذا العالم لن تفعلينه من أجلى يا

حلوتى (جوليا) ؟ » .

وأجابته بسرعة : « لن تكون هناك أى

خسارة . فأنا أحبها أيضاً »

وأجاب وهو يعاود الابتسام لها : «

وكذلك يفعل كثير آخرون هناك

(لوسيل) التى ستشعر بالضياء بدونها .

وهناك (ماريس) وهناك (فيليب) اللذان

يبالغان فى تدليلها . وهناك أيضاً هؤلاء

الفجر الذين تعتقد خطأ

أنهم عائلتها , وعندما تصبح سليمة
صحيحة البدن فستعود إلى مدرستها
وإلى أصدقائها القدامى .. وعلى كل
حال فأنا حارسها الشرعى حسب وصية
(جوليس) كلا يا حبيبتى . أنا لا أحب
أن أتبنى ابنة أخى واحتوى وجهها بين
كفيه ثم قال : « أنا أريد أطفالاً خاصين
بى .. أطفالاً لهم عيون زرقاء كسماء
حزيران وشعر كانه ضياء الشمس » .

وأحتجت قائلة : « أوه ي كلا يا (لوك)

. إنهم سيكونون داكنى البشرة قساة

مثلك أنت »

قال مبتسماً : « وسيركعون تحت قدميك

يعبدون عذوبتك . ورقتك وجمالك مثلما

أفعل وستكون الأرض أرضهم وتحيط بهم

عائلة محبة ويكون لهم جد مشهور فى

انجلترا » .

سددت (جوليا) نظراتا إلى وجهه وهي
تقول بسرعة : « يجب أن أعود لأخبره

«

قال مؤكداً : « سندهب سوياً وعندئذ
يلحق بنا الباقيون لحضور الزفاف .
ويمكن (لماريس) عندئذ أن تلقى نظرة
على مستشفى والدك وترى إذا كانت
فعلاً تريد أن تسير على نفس خطاك .
على الرغم من أن لدى شك كبير في أنها
ليست إلا منبهرة بأهميتك»

قالت (جوليا) فى غضب: « أنا لست
مهمة» ولكنه ابتسم ساخراً ثم أخرج
زفرة حادة وهو يقول : « بالنسبة لى..
أنت كل شىء » . وأطبقت شفتاه على
شفتيها .

* * *

والآن فإنها تنظر بإطمئنان إلى المشهد
الذى يدور حولها. لقد كانت أرضها
وكانوا أهلها. كانت (لوسيل) تجلس
بفخر وهى تعتنى بطفل (لوك) بينما

أحاط بهما الأصدقاء والأقارب المعجبون
بالطفل الوليد الجميل
ذى الشعر الأسود الفاحم والعيون
الزرقاء إلى حد مذهل .
كانت (جوليا) تتمنى أن يتمكن والدها
من حضور ذلك اليوم ولكنه كان قد
تركهم فى اليوم السابق ليحضر مؤتمراً
هاماً فى باريس . ولكنه وعدها أن يكون
موجوداً فى العام القادم . ولقد انتزعت

(جوستين)

الوعد منه. وعلى أية حال فقد قضى
كثيراً من الوقت في زيارتهم .
كانت (ماريس) في إنجلترا وقد منعتها
واجبات التمريض من الحضور. وكان
(لوك) سعيداً لأنها كانت في بيت (بول
ردفورد) في أمن ورعاية تامين .
قال (لوك) (لفيليب): « يا إلهي ..
أنظر.. إن هذا الثور بمثل ضراوة وقوة
(تامرلين) ». ومال بحسده للأمام يرقب

الثور الذى كان يضطر الرجال إلى العدو
حتى حافة الحلبة أكثر من مرة .
وادمدم فيليب : « ليست مفاجأة » ثم
تابع : « إن (تامرلين) من نفس الأب
كما تعلم » .

قال (لوك) بصوت ناعم : « لست
أدرى إذا... »

ولكن يد (جوليا) امتدت سريعاً إلى
ذراعه وهى تقول فى حسم : « إنك لن
تنزل إلى هذه الحلبة » وأطلق (فيليب)

ضحكة هادره عندها رأى (لوك) يهز
كتفيه مستهجنًا ثم يتراجع في مقعده وهو
يميل قبعته تجاه الشمس .

وسددت (جوليا) نظراتها إلى (فيليب)
وهي تقول بقوة : « ولا أنت »
وابتسم (لوك) ببطء وهو ينظر بطرف
عينيه إلى أخيه ثم قال بلهجة جافة : «
في أنجلترا يسمون ذلك (هيمنة المرأة)
على ما أعتقد » .

ورد فيليب ساخراً : « ويبدو أنك تزدهر
في ظلالها » ولم تكن ضحكة لوك الهادئة
تختفي في تلك الأيام وهي تدفع دماء
الخنجل إلى وجهه (جوليا) . فقال بهدوء :
« ولكن لها مميزاتها » وإمسك يد
(جوليا) ورفعها
إلى فمه وقبلها .
وأتجه (لوك) ببصره نحو (لوسيل) بحملها
الصغير الذي تحمله في فخر .

كانت عيناة تمتلىء بنفس الخوف الذى
أحس به عندما رأى أبنه لأول مرة
والتفت العينان الزرقاويتان إليه مباشرة
ثم ذهبتا فى نوم عميق .
قال (لوك) بصوت عذب إن إبننا هذا
حكيم بالإضافة إلى أنه جميل . فهو ينام
كثيراً وبدع أمه معظم الوقت معى .
وسألت (جوليا) : « هل ستنتظر حتى
موعد الرقص ؟ » وم تكن تأبه بإذا ما

كانوا سيقصون أم لا ., وتعلقت عينا

(لوك) بعينها لبرهه وغمغم قائلاً :

« أعتقد أن من الأفضل أن نعود للمنزل

يا عزيزتى » . وأومأت (جوليا) موافقة

بينما اشتدك يده على يدها .

لقد ذهبت الوحده. ورحل الظلام إلى

الأبد. والآن لم يعد هناك سوى هذه

الأرض الخالدة الغامضة التى لا تضم

سوى السماء والماء والثيران السوداء

الضارية والخيول البيضاء الهائجة ..

و(لوك) .. (لوك) الذى لو يكل أبداً من
حبها .. الذى ملأ أيامها بالسعادة ..
وأخرجت زفرة هادئة مطمئنة ومالت
برأسها على كتفه فامتدت يده تربت
على وجهها وهو يقول واعداً :
« فيما بعد يا حبيبتى .. فيما بعد »

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.rivaya.ga

تمت